

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

| | |
|------|----------------|
| PJ | Cheikho, Louis |
| 7631 | Majani al-adab |
| C538 | |
| 1913 | |
| v.4 | |

مَجَانِي أَلَدَرْبِ

فِي

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عَنِّي بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الْأَب لُؤْلُؤُ شَيْخِ الْيَسُوعِيِّ

الْجُزْءُ الرَّابِعُ



طَبْعَةُ عَاشِرَةِ مَصْحُوحَةٍ

فِي مَطْبَعَةِ الْآبَاءِ الْيَسُوعِيِّينَ فِي بَيْرُوتِ سَنَةِ ١٩١٢

بِرِخْصَةِ تَجَارِسِ مَعَارِفِ وَلايَةِ بَيْرُوتِ الْجُلَيْمَةِ ١٧٤

حَقُوقُ طَبْعِهِ مَحْفُوظَةٌ لِّلْمَطْبَعَةِ

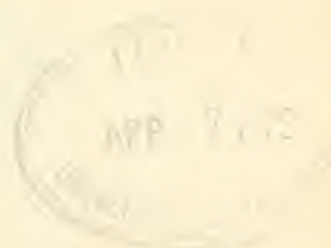
PI

701

1918

1913

1918



الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّدِينِ

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجَّانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُجُجَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سَمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَصْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِتْقَالِ . تَلَاَّتْ عَلَى
صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جِبْرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ . وَتَهَلَّلَتْ عَلَى وَجَنَاتِ
لُكَايَاتِ آثَارِ مُلْكُوتهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرَتْ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبَرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَتَوَلَّهَتْ الْأَذْهَانُ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
لَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح موافق الایمجي للجرجانی)

الْعَظَمَةُ لَكَ وَالْكِبَرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الذَّاتِ . وَمُفِضَ الْخَيْرَاتِ .
وَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَفَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ . وَمُبْدِيَ
الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيِّزِ وَالْمَكَانِ . وَفَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ
جَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَخَرَّكَ الْأَفْلاكِ الْمُدَبَّرَاتِ . وَمَزِينَهَا بِالنُّجُومِ
ثَوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ . وَمُقَرِّرَ الْأَرْضِ وَمُهَيِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ
أَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ . وَكَثُرَتْ
الْأَوَّلُكَ وَنَعْمَاؤُكَ . أَفِضْ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهِّرْ نُفُوسَنَا عَنْ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحْمَتِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرَمَتِكَ
(عجائب المخلوقات للقرطبي)

متن الشبانية في التوحيد

٣

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظِمُ عِمْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَفَرَّدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بَغَيْرِ بَدَايَةٍ وَأَخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُؤَبَّدًا
سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ الْإِكْبَانَاتِ لَوْقَتَهَا قَدِيمٌ فَأَنْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا جِهَةَ تُحْيِي الْإِلَاهَ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَبَّدَا
إِذَا الْكُونُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكُونِ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حَلَ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمٌ الْغَرِّ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْبُهُ تَعَالَى رَبَّنَا أَنْ يُجَدَّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَعَيْنِهِ فَذَلِكَ زَنْدِيقٌ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَأَكْبَنَ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ زَوِيهِ مُسْنَدًا
رُويَ أَنَّ الزَّخَّشَرِيَّ سَأَلَ الْإِمَامَ الْغَزَّالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:

الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :

قُلْ لِمَنْ يَفْقَهُمْ عَنِّي مَا أَقُولُ أَنْزَلَكَ الْبَحْثَ فَذَا شَرْحُ يَطْوُلُ

ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِلَّاكَ وَلَمْ تَدْرِ مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ
 لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتٍ رُكِبَتْ فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَجُولِ
 أَنْتَ أَكَلِ الْخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يُوُولِ
 فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي بَيْنَ جَنَبَيْكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولِ
 كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُصُولِ
 فَهُوَ لَا كَيْفٌ وَلَا أَيْنٌ لَهُ هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُحُولِ
 وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ وَهُوَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لَا يَزُولِ
 جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَالَا وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولِ

قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ وَضَحَ الْحَقُّ وَأُسْتَبَانَ السَّبِيلُ
 أَهْدَتْ الْخَلْقَ بَيْنَ كَافٍ وَنُونٍ مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
 مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ
 وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَبَرٌّ وَوَعُورٌ مُجْهُولَةٌ وَسَهُولُ
 وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَاحِحَاتٌ وَغُيُونٌ مَعِينَةٌ وَسَمِيلُ
 وَرِيَاخٌ تَهْبُ فِي كُلِّ جَوٍّ وَتَحَابُّ يَسْقِي الْجِبَاهِ ثَقِيلُ
 وَدَرَارٍ بَكُمْ وَشَمْسٌ وَبَدْرٌ وَنُجُومٌ طَوَالِغٌ وَأَفُولُ
 حِكْمَةٌ تَاهَتْ الْبَصَائِرُ فِيهَا وَأَعْتَرَاهَا دُونَ الذُّهُولِ ذُهُولُ

فَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْعَرْشُ وَالْكَرُّ سِيَّ وَالْحُجُبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُسْكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَخَبِي الْحُوتِ فِي الْمَاءِ فَهُوَ كَافٍ كَفِيلُ
 سَرْمَدِي أَلْبَقَا أَخِيرٌ قَدِيمٌ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عُلَاهُ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ مَكَانٌ يَحْتَوِيهِ أَوْ خُدُوءَةٌ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عَمِيدُ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى
 أَلْفَتْ بَرَّهُ الْبَرَائَا فَهُمْ فِي سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي
 أَحْيِ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصَلْبِي وَأَجْرِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلٍ
 وَأَفْتَقِدْنِي بِرَحْمَةٍ وَأَقْلْبِي كَيْفَ يَظْلَمَا قَلْبِي وَعَفْوُكَ بَحْرٌ
 رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرٌ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلٌ
 وَالرَّجَافِيكَ وَالرِّضَامِيكَ فَضْلُ وَلَكَ الْمُنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

نُجْبَةٌ مِنْ مَتْنِ بَدْءِ الْأَمَلِي فِي التَّوْحِيدِ

٦

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَلِي لِتَوْحِيدٍ يَنْظُمُ كَاللَّيْلِ
 إِيَّاهُ الْخَاقِ مَوْلَانَا قَدِيمٌ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدِّرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طَرًّا
تُسَمَّى اللَّهُ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَا
وَلَيْسَ الْأِسْمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَّى
وَمَا إِنْ جَوْهَرٌ رَبِّي وَجِسْمٌ
وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَانِ وَجْهًا
وَلَا يَمُضِي عَلَى الدِّيَانِ وَقْتُ
وَمُسْتَعْنٍ إِلَّا هِيَ عَنْ عِبَادِ
يُمِيتُ الْخَلْقَ طَرًّا ثُمَّ يُحْيِي
لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٍ وَنُعْمَى
وَلَا يَفْنِي الْجَحِيمُ وَلَا الْجِنَانُ
يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ
فَيَسُونُ النِّعَمَ إِذَا رَأَوْهُ

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

٧

أَعِيبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ
وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ
وَأُنْزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ
وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ

وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
بُلِيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
زَمَانُ الْجَوْرِ وَالْجَارُ الْمُرِيبُ
طَوْتُهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبُ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرٍ غَيْرِ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيِّ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابِ
كَرِيمٍ مُنْعِمٍ بِرَأْفَتِهِ
حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
فَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقِلْ عِثَارِي
وَأَمْرِضْنِي أَلْهَوِي لِهَوَانِ حَظِي
وَعَانِدْنِي أَلْزَمَانِ وَقَلِّ صَبْرِي
وَعَدِّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدْوِي
وَأَنسِنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
وَأَكِينِي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي
هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَأَعْتَصَامِي
إِلَهِهِ أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَايِ
وَكَمْ مُتَمَلِّقٍ يَخْفِي عِنَادًا
وَحَافِرٍ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا
وَمُتَمَتِّعٍ أَلْفَوِي مُسْتَضْعَفٍ بِي
وَذِي عَصِيَّةٍ بِالْأَكْرَامِ يَسْعَى
فِيَادِيَّانِ يَوْمَ الدِّينِ فَرَجُ
وَصَلِّ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ

وَمِنْ تَفَرُّجٍ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ
وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكُرُوبُ
وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
جَمِيلُ السِّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
رَحِيمٌ غَيْمٌ رَحْمَتُهُ يَصُوبُ
فَإِنِّي عَنْكَ أَنَاثَتِي الذُّنُوبُ
وَأَكُنْ لَيْسَ غَيْرُكَ لِي طَلِيبُ
وَصَاقَ بَعْبِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نُيُوبُ
فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
لِمَنْ قَدْ بَيَّرَهُ فِيهِ عَجِيبُ
بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَلَا أُنِيبُ
فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَأَنْتَ عَلَى سَرِيرَتِهِ رَقِيبُ
وَسَهْمُ الْبَغْيِ يَذْرِي مَنْ يَصِيبُ
قَصَصَتْ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
إِلَى سَعْيٍ بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
هُمُومًا فِي الْفُؤَادِ لَهَا دَيْبُ
إِنِّي وَتَبَّ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَتَوَلَّ نَصْرِي وَشَدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَّتِ الْخُطُوبُ
وَأَفْنِ عِدَايَ وَأَقْرِنِ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا لَطَّالِعِهِ غُرُوبُ
وَأَلْهِمْنِي لِذِكْرِكَ طَوْلَ عُمْرِي فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
عَظْمِي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى دَاوُدَ آمَلِي خَصِيبُ

قصيدة له في الابتهاال الى الله تعالى

٨

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَا هُوَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَأَطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يَرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَأَسْأَلُهُ مَسْئَلَةً وَغَضًّا إِنَّهُ مَبْسُوطَتَانِ إِسْأَلِيهِ يَدَاهُ
وَأَقْصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَبُكْلُ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
شَمَتَ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
فَعَزَّيْزُهَا وَذَلِيلُهَا وَغَنِيهَا وَمَلَأَتْ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ حَجَبَتِهِ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونُهُ
صَمَدٌ بَلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَحْرَسُ الْأَفْوَاهُ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بُجُودِهِ أَبَدًا فَمَا النُّظْرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ
وَأِلَيْهِ أَذْغَعَتِ الْعُقُولُ فَأَمَتَ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ بِالْغَيْبِ تَوَثَّرَ حَبَابُ إِيَّاهُ
طَوْعًا وَكَرْهًا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ وَلَهُ سُجُودُ أَوْجُهُ وَجِبَابُهُ
عَلَيْهَا الطَّوْعُ وَالْإِكْرَاهُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ إِلَهُ
أَبْدَى نَجْمِكُمْ صُنْعِهِ مِنْ نُطْقَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
وَدَحَا بِسِطِّ الْأَرْضِ فَرَشًا مُثَنًّا بِالرَّاسِيَّاتِ وَبِالنَّبَاتِ حُلَاهُ
تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
رَبُّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْحَصْرِ مَا أَعْطَاهُ
كَمْ نِعْمَةٍ أُولَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلًى عَاقَاهُ
فَإِذَا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ فَادْعُ الْإِلَاحَ وَقُلْ سَرِيعًا يَا هُوَ
لَا تُخْسِنُ الظَّنَّ الْجَمِيلَ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَهِ خَابَ رَجَاهُ
وَلِحِلْمِهِ سُجَّانُهُ يُعْصِي فَلَمْ يَجْعَلْ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ
يَأْتِيهِ مُعْتَدِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرَ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرعي في حمد الله

٩

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدٌ فَإِنْ لَدَائِمٍ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحَ شَاكِرٍ لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
وَجُودُكَ مُوجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجُو لِكَشْفِ الْعَظَائِمِ
وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
فَيَا قَالِقَ الْأَصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَيَا كَافِلَ الْحَيَاتَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
وَيَا خَصِي الْأُورَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْخَصِي
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعِصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيهِ بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا

وله أيضاً من قصيدة في الرجاء بالله

١٠

إِكْلَ خَطْبٍ مِنْهُمْ حَسْبِي اللَّهُ
وَأَسْتَعِثُّ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمُجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْآلَاءُ وَالْمَثَلُ أَوْ
الْقَادِرُ الْأَمْرُ النَّاهِي الْمُدَبِّرُ لَا
مَنْ لَا يُقَالُ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفَ وَلَا
وَلَا يُغَيَّرُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَلَا
وَلَا يُعْبِرُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْسَتْ تُؤَبِّ الرِّجَاوُ النَّاسُ قَدْ رَقَدُوا
فَمَلْتُ يَا عِدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
فَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ

لَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَالضُّرُّ مُشْتَمِلٌ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ

قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

١١

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَأَى اللَّهُ مَعَكَ وَأَتْرَكَ الْكُلَّ وَحَادِرَ طَمَعِكَ
وَأَلْزَمَ الْقَنَعَ بِمَنْ أَنْتَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْكُونِ حَتَّى يَسَعَكَ
بِالْصَّفَاءِ كَدْرُ الْحُسْنِ فَبِغَبْ وَأَطْرَحِ الْأَغْيَارَ وَأَتْرَكَ خُدَعَكَ
لَا تُؤَمِّهِ بِكَ وَأَطْلُبْ مِنْكَ مَا فَرَّ مِنْ يَوْمٍ بِشَانِ ضَيْعِكَ
نُورِكَ اللَّهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا وَأَحْذِرِ الْأَضْدَادَ تَطْفِئُ شَمْعَكَ
وَأَعْبُدِ اللَّهَ بِكَشْفٍ وَأَصْطَبِرْ وَعَلَى الْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكَ
لَا تَقُلْ لَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ وَلَا تَطْلُبِ الْفَتْحَ وَحَرِّزْ وَرَعَكَ
كَيْفَمَا شَاءَ وَكُنْ فِي يَدِهِ لَكَ إِنْ فَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكَ
فِي الْوَرَى إِنْ شَاءَ خَفَضَ ذِقَتَهُ وَإِذَا شَاءَ عَلَيَّهِمْ رَفَعَكَ
وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ دُونِهِ وَالضُّرُّ لَا إِنْ نَفَعَكَ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مِنْ يَمْنَعُهُ ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكَ
لَيْسَ يُوقِيكَ إِذَا أَحَدُ وَإِنْ اسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيْعَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ جَاعِلًا بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَلَمْكَ
كَأَمَّا نَابَكَ أَمْرٌ ثِقَ بِهِ وَأَحْتَرِزْ لِلْغَيْرِ تَشْكُرْ وَجَمَعَكَ
لَا تُؤَمِّلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ زَرَعَكَ
لَيْتَ لَوْ تَشَعَّرُ مَاذَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مَا مَوَّلَى الْمَوَالِيَ أَخْتَرَعَكَ
كُنْتَ لَا شَيْءٌ وَأَصْبَحْتَ بِهِ خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكَ

تَابِعًا كُنْ دَائِمًا أَنْتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنْهُ لَوْ تَبِعَكَ
وَدَعَ التَّدْبِيرَ فِي الْأَمْرِ لَهُ وَأَصْنَعَ الْمَعْرُوفَ مَعَ مَنْ صَنَعَكَ
وَأَحْفَظَ حُرْمَةً مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رَمَتْ فِعْلًا أَوْ تُكَادِي سَمْعَكَ
كُنْ بِهِ مُعْتَصِمًا وَأَخْضَعْ لَهُ لَا تُعَانِدْ فِيهِ وَاهْجُرْ بِدَعَاكَ
١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْمَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قَصْدِي رِضَاكَ بِكُلِّ وَجْهِ أَمَكْنَا وَلَنْ رَضِيتَ فِذَاكَ غَايَةً مَطْلَبِي
لَوْ أَبْذَلَنْ رُوحِي فِدَى لَرَأَيْتَهَا وَأَلْقَصْدُ كُلُّ الْقَصْدِ بِلِ كُلِّ الْمُنَى
وَبَقِيتُ فِي خَجَلٍ كَعَبْدٍ قَدْ جَنَى أَمْرًا حَقِيرًا فِي جَنَابِكَ هَمْنًا
وَلَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ بِإِيجَادِي كَمَا وَالْأَكُلُ مِلْكُكُمْ فَمَا مِنِّي أَنَا
لَوْلَا تَطَوُّلُكُمْ عَلَيَّ وَفَضْلُكُمْ أَنْعَمْتُمْ أَيْضًا بِكَوْنِي مُؤْمِنًا
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْعَى وَيَشْكُو فَضْلَكُمْ مَا كُنْتُ مُوجُودًا وَلَا مِنِّي ثَنًا
وَأَنَا الْمُسِيكِينَ الَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ لَوْ عَمَرَ الْأَبْدَيْنِ يَشْكُرُ مُعَلَّنًا
فَبِإِسْمِكُمْ وَبِعِزِّكُمْ وَبِجَاهِكُمْ لَلْعَفْوِ مِنْكُمْ طَالِبًا وَلَقَدْ جَنَى
قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفَتْ وَدَعْتُ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
لَا أَسْتَلِذُّ بِغَيْرِ وَجْهِكَ مَنْظَرًا وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف

هَوَتْ الْمَشَاعِرُ وَالْمَدَا رَكَ عَنْ مَعَارِجِ كِبَرِيَاكَ

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بِهَائِكَ
أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَيْنَ عِلْمِي مِنْ ثَنَائِكَ
مُتَّحِبٌ فِي غَيْبِكَ أَوْ أَحْيَى مِنْعٌ فِي عِلَائِكَ
وَضَهَرَتْ بِالْآثَارِ وَأَوَّافِعَالٍ بَادٍ فِي جَلَائِكَ
عَجَبًا خَفَاؤُكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورُكَ مِنْ خَفَائِكَ
مَا الْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسَ الْأَشِعَّةُ مِنْ ضِيَائِكَ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَسْتَجِبٌ مِنْ عَطَائِكَ
مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
إِلَّا وَوَجْهَتَهَا إِلَيْكَ بِالْإِقْتِدَارِ إِلَى غَنَائِكَ
فَأَنْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْتَغِيثُكَ عَائِدًا بِكَ مِنْ بَلَائِكَ
قَدَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقٍ أَيْدِي أُمْتِحَانِكَ وَأَبْتِلَائِكَ
وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَوْ أَمْكَانٍ صَدًّا عَنْ فِتَائِكَ
وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْعَنَاءِ صِرٌّ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
فَإِذَا أَرْعَوَى أَوْ كَادَ نَا دَتْهُ الْقُيُودُ إِلَى وَرَائِكَ
فَالْطُّفُ بِهٍ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عِلْمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
وَأَسْلُكَ بِهِ سَنَنَ الْهُدَا يَهٍ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعُ الْإِلَاهَ وَاحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةِ فَهُوَ الْأَطِيفُ لِمَا أَرَادَ فَعَالًا

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ بِيَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوََالَ
فَدَعَ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بَطَالِيَهُمْ لَهْجًا تُضَعِّعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

تَقَى اللَّهَ وَالزَّمْ هَدَى دِينَهُ وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَالزَّمِ الْقَلَسَفَةَ
وَلَا تَغْتَرَّرْ بِأَنَاسٍ رَضُوا مِنْ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسَّفَسَفَةَ
وَدَعَ عَنْكَ قَوْمًا يَعْيِبُونَهَا فَقَلَسَفَةَ الْمَرْءِ فَلِ السَّفَةِ
لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيَّ أَنَشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ الْحِمَى وَيَنْزِلُ الرُّكْبُ بِمَغْنَاهُمْ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِلِقَائِهِمْ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي بِأَيِّ وَجْهِ أَتَلْقَاهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ لَأَسِيًّا عَمَّنْ تَرَجَاهُمْ

أَلْبَابُ الثَّانِي

فِي الزُّهْدِ

الزهد في الدنيا والانتقطاع إلى الله

١٥ (مِنْ التَّهَجُّجِ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاعَةٍ . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ
فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مُنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَا بَسَهُمُ إِلَّا قِتْصَادُ وَمَشِيهِمْ

أَلْتَوَا ضِعْ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . زَلَّتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي زَلَّتْ فِي الرِّخَاءِ .
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخُلُوقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَاجِلَتُهُ كَمَنْ قَدَرَاَهَا فَهُمْ فِيهَا
 مُسْتَعْمُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَاَهَا فَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوَهَا وَأَسْرَتْهُمْ فَقَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لَا أَنْفُسَهُمْ مُتَمِّمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا زُكِّي أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 عِلْمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةَ فِي الدِّينِ . وَحِزْمًا فِي لَيْلٍ . وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلاً فِي فِائَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهُوَ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهُوَ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ قَرِحًا .
 حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَقَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفُضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تَحِبُّ . قُرَّةَ عَيْنِهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَرَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى . يَزُجُّ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَّهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنزُورًا
أَكْنَهُ . سَهْلًا أَمْرَهُ . حَرِيزًا دِينَهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتَهُ . مَكْظُومًا غَيْظَهُ . إِنْ
كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ . وَيُطِيعُ مَنْ حَرَمَهُ . وَيَصِلُ مَنْ
قَطَعَهُ . بَعِيدًا فُحْشَهُ . لَبِنًا قَوْلَهُ . غَائِبًا مَنكَرَهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفَهُ . مُقْبِلًا
خَيْرَهُ . مَذْبَرًا شَرَّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ . وَفِي الْمَسَاكِينِ صَبُورٌ . وَفِي
الرِّخَاءِ شَكُورٌ . لَا يَحْجِيفُ عَلَى مَنْ يُغِيضُ . وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ
بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يَنْسِي مَا ذَكَرَ .
وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتَتِ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا
يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغِيْبْ صَمْتُهُ . وَإِنْ
ضَحِكَ لَمْ يَبْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بَغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَقَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتْهُ
وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَزَاهَةٌ . وَدُنُوهُ
مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعَدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظْمَةٌ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَتَغَصَّتْ عَيْشِي أَلْهُومُ
وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

وَالْآنَ حَانَ الرَّحِيلُ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَرَوَدُّ غَيْرُ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
يُصْرِّحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
أَبَارِزُ اللَّهِ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُجَّانُهُ حَلِيمٌ
فَكَمْ خَلَعْتُ الْعَذَارَ جَهْلًا وَلَمْتُ فِي الْغِيِّ مَنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رِشَادِي وَمَنْجَى الْحَقِّ مُسْتَقِيمٌ
لَا أَتَّعِي عَنْ قَبِيحٍ فِعْلِي وَلَا أَصْلِي وَلَا أَصُومُ
عَصَيْتُ طِفْلاً وَصِرْتُ أَعْمَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي يُحُومُ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمَلُ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومُ
يَا جَامِعَ الْمَالِ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْضِي مَالَكَ الْفَرِيمُ
وَتَقْضِي وَزْرَهُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوُ عَيْشٍ خِتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمٌ
يَا وَاسِعَ الْلُطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي فَقُلْ أَنَا الْمُسْتَقِرُّ الرَّحِيمُ
وَإِنْ شَكَاهُ مِنْ خُصُومٍ سَوْءٍ فَحُلْ مَا تَعْقِدُ الْخُصُومُ
وَسَامِعِ الْكُلَّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْظُمَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
الْآخِرَةَ بِالْإِعْمَلِ . وَيُرْجَى التَّوْبَةُ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا يَقُولُ الرَّاعِبِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

مُنَعٌ لَمْ يَقْنَعْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
 وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ . وَيُبْغِضُ الْمَذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ
 ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقَمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنٌ
 لَا هَيْأَ . يُحِبُّ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا أَتَبَّى . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ وَلَا
 يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرِ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ أَسْتَعْنَى بِطَرِّ وَفَتْنٍ . وَإِنْ أَفْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهْنٍ .
 يَقْصِرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسَافَ الْمُعْصِيَةِ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرِثَتْهُ مِحْنَةٌ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
 الْعَبْرَ وَلَا يَعْتَبِرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ . فَهُوَ بِأَقْوَلِ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ أَعْمَلِ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَغْرَمًا . وَالْغُرَمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْقَوْتَ . يَسْتَغْطِمْ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَحْتَقِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُوْ مَعَ
 الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يَطَاعُ وَيَعْصِي .
 وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ النَّهْجِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً
 بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ وَعِبْرَةً لِنَازِلٍ مُفَكِّرٍ
 (لبهاء الدين)

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ فَجَمَعَتْنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنْسَتُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحَتِي • فَجَزَانِي خَيْرًا •
ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٍ طَائِلَةٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ وَبَذَخٍ
زَائِدٍ • فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُو لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَنَخْدَةً بِوَرْدٍ
ثَمِيرٍ • فَفَعَلَ • فَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا بَقِعَ وَرَدَةٌ قَدْ لَسِيَهُ الْخَادِمُ فَحَمَتُ إِلَيْهِ
فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا • ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مُصْجِعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنَ الْخُدَّةِ
فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَاحِي فِي صُورَةٍ فَطِيعَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفَقَ مِنْ غَشِيَتِكَ
وَأَنْتَبَهَ مِنْ رَقَدَتِكَ ثُمَّ أَتَانِي يَقُولُ :

يَا خَلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْلًا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صَمَّ الْجُنْدَلِ
فَأَمَهَدَ لِنَفْسِكَ صَاحِبًا تَسَعَّدُ بِهِ فَلْتَتَدَمَّنْ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ
فَأَنْتَبَهَتْ رُعُوبًا • وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستقطف المستظرف الابشيهي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنَرِيُّ فِي الزُّهْدِ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَاعِي السَّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى فَصِيمَ تَوَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
لَا الدَّهْرُ يَبْقَى وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَاحُ أَعْلَى وَلَا النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَا يَرْحَلَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهُمَا الثَّوَيَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
١٩ قَالَ ابْنُ جَبْرِ الْكِنَانِي أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ الْخَتْمُ يَقْطَعُهُ
يَمْسِي وَيَصْبِحُ فِي عَشَوَاءٍ يَخْبِطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالُ تَخْذَعُهُ
يَغْتَرُّ بِالدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصَحْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يَفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يُضِيعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحِمَيْرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فُوَادُ بِأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابُ وَجَفَنُ لَقِيضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابُ
تَنَاءَتْ دِيَارُ قَدْ أَلْفَتْ وَجِيرَةً فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابُ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَلْبَغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أَبْحَرُ وَهَضَابُ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابُ
إِذَا مَرَّ عُمْرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابُ

ذو النون والرهادة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَمَا أَنَا سِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا أَطْفَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ .

فَرَأَيْتَهُمَا مُتَّصِلَةً الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتْ
الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحِيتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
قَامَتْ نَجَتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْحُلُوفِ .
وَلِعَظَمَتِكَ سَجَّتِ النَّيْنَانُ فِي الْبَحَارِ الزَّاخِرَاتِ . وَجَلَّالِ قُدْسِكَ
تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ
وَضُوءُ النَّهَارِ . وَالْفَلَاحُ الدَّوَّارُ وَالْبَحْرُ الزَّخَّارُ . وَالْقَمَرُ النُّوَّارُ وَالْأَنْجُمُ
الزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ الْعَلِيُّ الْقَهَّارُ . ثُمَّ أَنْشَدَتْ :
يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خَاوَاتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ أَلْزَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْفُؤَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالَ
فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَزِيدِيَنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي . ثُمَّ
رَفَعَتْ طَرَفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أَحْبَبُكَ حُبِّينِ حُبُّ الْوُدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلُ لَذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوُدَادِ فَحُبُّ شُغْلَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشْفُكَ لِلْحُبِّ حَتَّى أَرَاكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
ثُمَّ شَبَّهَتْ شَهْدَةً فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للبعاي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
وَأَجَلٌ مُطْلِعٌ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ فَتَّانٌ . وَأَمَانِيٌّ جَرَّارَةٌ الْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

فَسْتَحِيبُ . وَتَرْجُهَا فَتَحِيبُ . نَاقِضَةٌ لِلْغَزِيمَةِ مُرْتَجِعَةٌ لِلْعَطِيَّةِ . كُلٌّ مِنْ
فِيهَا يَجْرِي . إِلَى مَا لَا يَذَرِي . وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ الصَّقَلِيُّ :

وَلَا يَغُرُّكَ مِنْهَا حُسْنُ بُرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رِدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ :

لِدُنْيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظَلَامٌ يَحَارُّ بِهِ الْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ فَنُطْرَةٌ تَعْبُرُ
فَلَا تَعْمُرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْخُرَابَ لِمَا تَعْمُرُ
وَلَا تَذَخَّرَنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَقْنَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذَخَّرُ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

٢٢

وَأَعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرُ
الْخَيْرِ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشَرُ فَذَاكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فُخْرَ إِلَّا فُخْرُ أَهْلِ التَّقَى غَدًا إِذَا ضَمَّهُمُ الْحَشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرًا مِمَّا يَذَخَّرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ التَّحْفِ) . وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ . وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ .

وَأَسْعِدُوا لِمَوْتٍ قَدْ أَظْلَمَكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صَاحِبِينَ يَوْمَ فَنَاءِهِمْ . وَعَلِمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدَّلُوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا
 وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا الْحَظَّةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ جَدِيرَةٌ بِقِصَرِ
 الْمُدَّةِ . وَإِنْ غَايَةً يَجْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرِيٌّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنْ قَادِمًا يَهْدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لَمْسَتْحٌ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .
 فَتَرَوُّوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا . فَأَتَقَى عَبْدٌ
 مِنْ نَفْسِهِ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ . فَإِنْ أَجَلُهُ مُسْتَوْرِعٌ عَنْهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعٌ لَهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمُعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا . وَيُخَيِّبُهُ التَّوْبَةُ
 لِيُسَوِّفَهَا . حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَأْخُذُ حَسْرَةً
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً . وَأَنْ تُوَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ . نَسَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُجْعَلَ وَأَيَّامُكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 تَقْصُرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ . وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا
 كَأَنَّهُ

(لباء الدين)

قَالَ أَبُو أَعْتَاهِيَّةَ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهُ إِنِّي مُودِّعٌ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّفَرُّقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مِتْنَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَ رَبِّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمُنِيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَا بَابِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ أَمْلَكَ غَيْرِهِ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةٍ لَيْسَ نَفْسُهُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ
يَا رَاعِي الشَّاءِ لَا تُغْفَلْ رَعَايَتُهَا
إِنِّي لَهِيَ مَنَزَلٍ مَا زِلْتُ أَعْمَرُهُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ دُونُ نَفْسٍ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنْهَا مَذْأَدًا لَنَا
وَمَنْ يَمُتْ هُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَبٌ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْآكَالُ فَانِيَةٌ

٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكَاسِرَةِ لِآلِ الْمُحَرِّقِ:

مَاذَا نُؤْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ
أَهْلُ الْخَوَرَتِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ
زُلُوفِ الْبَاقِرَةِ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ
وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهِي بِهِ
وَمِنْ رَقِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ فُتِّشَتْ مَعْقُولُ
فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرْعِيتَ مَسْئُولُ
عَلَى يَقِينِي بِأَنِّي عَنْهُ مَقْبُولُ
إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْأُولُ
وَكَلَّنَا عَنْهُ بِالذَّاتِ مَشْغُولُ
وَالْحَيُّ مَا عَاشَ مَغْشِيٌّ وَمَوْصُولُ
وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا كُولُ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَامَ بْنَ عَمْرٍو
 هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً
 نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي
 فَمَا لِي لَسْتُ مُشْغُولاً بِنَفْسِي
 أَمَا فِي السَّالِفِينَ لِي أَعْتَبَارُ
 كَأَنِّي بِالْمُنِيَّةِ أَرْجَعْتَنِي
 وَخَافِي نِسْوَةٍ يَبْكِينَ بَعْدِي
 وَحَقِّكَ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعاً
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ
 وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ
 حَلَقَةٌ فِيهَا أَرْتِفَاعٌ وَانْحِدَارُ
 بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي عِلْيَانِهَا
 إِذْ هَوَى فِي هَوَاةٍ مِنْهَا فَعَارُ
 ٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً
 شُخْوصاً وَأَشْبَاحاً يُخَالِفُ بَعْضُهَا
 لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْحَقِّ رَاقِي
 لِبَعْضٍ وَأَشْكَالاً بَغِيرِ وَفَاقِ
 تَجِيءُ وَتَمُضِي بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ
 وَتَقْنِي جَمِيعاً وَالْعُرْكَ بَاقِ
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُدْكاً لَا بَقَاءَ لَهُ
 هَلِ الْحَيَاةُ بِذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذُبَتْ
 حَمَلَتْ نَفْسَكَ آثَمًا وَأَوْزَارًا
 إِلَّا كَطَيْفِ خَيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هَذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ
وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالْثَقَى
٢٨ قَالَ الْبُسْتِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِفَوْدِهِ
عَذْلُكَ أَنْ أَضَالْتَ رُشْدَكَ خَاطِئًا
وَأَلْفَيْتُهُ عَنْ غَيْبِهِ لَيْسَ يَقْصِرُ
وَلَيْلُ الشَّبَابِ الْوَحْفِ دَاجٍ فَمُعْذِرُ
فَهْلُ لَكَ فِي سِنِّ الْكُهُولَةِ عَازِرُ
إِذَا زَعْتَ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْلِكَ مُقْمِرُ
قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيوَانَ كِسْرَى :

يَا مَنْ بَسَنَى بِشَاهِقِ الْبُنْيَانِ
هَذِي الْمَصَانِعُ وَالْدَّسَاكِرُ وَالْبِنَا
أَنْسَيْتَ صُنْعَ الدَّهْرِ بِالْإِيوَانِ
كَتَبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطُرًا
وَقُصُورُ كِسْرَانَا أَنْوَشِرَوَانِ
إِنَّ الْأَحْوَادِثَ وَالْخَطُوبَ إِذَا سَطَتْ
بِيَدِ الْيَلَى وَأَنَا مِلِ الْجُدْثَانِ
أَوْدَتْ بِكُلِّ مُوْتَقٍ الْأَزْكَانِ

ذكر النية والعواقب

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَتَادَيْتُهَا
وَأَيْنَ الْمَذَلِّ إِسْطَاطَانِهِ
فَوُدِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى
شَخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرِ
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا خُبْرُ
وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخُبْرُ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضَوْا
أَمَا لَكَ فِيهَا تَرَى مُعْتَبَرُ

تَرْوَحُ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتَحْيَى مُحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ

٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبُرْبَرِيِّ وَأَجَادَ:

تَلُوْ وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تَعْدُ لَنَا
سَرِيعَةً الْمُرِّ تَطْوِينَا وَنَطْوِيهَا
كَمُ مِنْ عَزِيزٍ سِلْقَى بَعْدَ عَزَّتِهِ
ذُلًّا وَضَاحِكَةً يَوْمًا سَتَبْكِيهَا
وَلِلْخُوفِ تَرَبِّي كُلِّ مُرْضَعَةٍ
وَلِلْحَسَابِ بَرَى الْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُنْعَى وَهِيَ سَالِمَةٌ
حَتَّى يَقُومَ بِنَادِي الْقَوْمِ نَاعِيهَا
أَمْوَالَنَا لَذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمُهَا
وَدُورُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ نَبْيِهَا

٣١ وَلِإِي الْعَتَاهِيَةِ:

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجُمُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَذْنُوحُ وَرُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمُسْتَوْرُ مِنْهَا بَيْنَ تَوْبَتِهِ فُضُوحُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلِ صَاحِخِ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ ضِ عَلَى قَوْمٍ فُتُوحُ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَإِلَّا مَوْتُ يَغْدُو وَيَرْوُحُ
 لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
 رَحْنٌ فِي الْوَشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
 كُلُّ نَطَاحٍ مِنَ اللَّهِ رَ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
 مُخٌ عَلَى نَفْسِكَ يَامِسْ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمَّ رَتَ مَا عُمَرَ نُوحُ
 ٣٢ قَالَ بِهِاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
 ضَاعَ عُمْرِي فِي اغْتِرَابٍ وَرَجِيلٍ مُسْتَمِرٍ
 وَمَتَى يَوْمٌ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَدْرِي
 لَيْسَ بِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِثًّا مِنْ مُسْتَقَرٍّ
 بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
 وَمَتَى أَخْلَصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 وَلَقَدْ آنَ بَانَ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
 أَتَرَى يُسْتَدْرَكُ الْفَا رِطٌ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي
 ٣٣ قَالَ آخِرُ :

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَفَانِيَ وَلَوْ حَالِكَ حَالِكَ
 لَمْ تَدْرِ نَفْسُكَ قَدًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

لَجَنَةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكِ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكٍ

قَالَ أَبُو لَعْتَهِيَةَ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَانَ الْأَرْضَ قَدْ طَوَيْتَ عَلِيًّا وَقَدْ أَخْرَجْتَ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي عَرِيتُ مُفْرَدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَانَ الْبَالَكِيَّاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرْنِ مَنِيَّتِي فَتَعَيَّنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيًّا

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ عَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُثْبَاكِ خَاتَمَكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ دُنْيَاكِ
مَرَّتْ بِنَا تَحَرًّا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكِ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكِ طُوبَاكِ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرًّا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْأَفْرَاتِ أَبْلَغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكِ
مِنْ مُوْتَقٍ بِالْمَنَآيَا لَا فُكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدَّمَاءَ عَلَى الْفِيلَةِ بَاكِ
أَظْنُهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِ

٣٥ وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمَنِينَ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَأْشُرُ الْكَفَا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِ الْحَسَنَاتِ
أَيُّنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنًا أَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْأَجِيرَانُ مَا فَعَلُوا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأَسَاءَ غَيْرِ صَافِيَةٍ فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنًا
تَبْكِي الْمُنْزِلُ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرَّ وَالْمِنَاتِ

حَسْبُ الْحَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَلَهُمْ أَلَّا يُظَنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنًا
 ٢٦ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّطْرَنَجِيِّ يَعُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَالِكِ الْخُطُوبِ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلدَّاعِي الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ أَتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ سِرِّ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ سِرِّ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا يَبْتَغِي الْعَتَهِيَّةَ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَأْمُوتُ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تَحْيِفُ وَمَا تُحَايِ
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيئِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَانِ :

أَيْنَ الْمُلُوكُ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَصْبَحُوا رَهْنَ قَبْرِ بِالَّذِي عَمِلُوا عَادُوا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا دَثَرُوا
 أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أُذْخِرُوا
 أَتَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو الْعَتَهِيَّةِ وَلَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي مَعَانِي الزُّهْدِ :

إِعْمَدْ نَفْسَكَ وَادْكُرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ وَلَا تُغَرَّنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

سَابِقُ خُوفِ الرَّدَى وَاعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَفُتِّحْ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزَخْرَفُهَا
لَا يَحْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
٣٨ وَلَهُ أَيْضًا :

قَدْ سَمِعْنَا الْوَعْدَ لَوْ يَنْفَعُنَا
كُلُّ نَفْسٍ سَتَوَانِي سَعْيِهَا
جَفَّتِ الْأَفْلامُ مِنْ قَبْلُ بِمَا
يَهْرَبُ الْمَرءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَابِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسُ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ
وَصِرَاطٌ مَنْ يَزَلْ عَنْ حُدُودِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَتَلَحُّظِي مُلَاحَظَةَ الرَّقِيبِ
وَتَشْرِئِي كِتَابًا فِيهِ طِيٌّ
بِحِطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيدِي

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تَلُوحُ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبٍ
أَزَالَ اللَّهُ يَا صَاحِبِي شَبَابِي فَعَوَّضْتُ الْبَغِيضَ مِنَ الْحَبِيبِ
وَبَدَّلْتُ التَّكَاسُلَ مِنْ أَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَعْلُوهَا أَصْفَرَارٌ إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ
قَالَ الْإِلَهِي بِي:

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكَرَاتِ تُعَاجِلُ أَنْ تَرَقَى إِلَى اللَّهُوَاتِ
وَقَدْ زُمَ رَحْلِي وَأَسْتَقَلَّتْ رِكَائِي وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حَدَاتِي
إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
وَمِنْ أَعْيُنٍ سَآتٍ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهِ فِي التُّرْبِ مُنْعِفَاتِ
وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحُسَرَاتِ

في الدهر ونوائبه

٣٩ أَنشَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَصِدُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي خِلاَ وَلَمْ يَرَعْ لِي حَقًّا
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أَهْلَ عَلَى طَغْيِهِ خَلْقًا
وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَّدَتْهُمْ غَرْبًا وَمَزَقَتْهُمْ شَرْقًا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النُّجْمَ عِزًّا وَرَفَعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعُ لِي رِقَاً
رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جَمْرَتِي فَهَا أَنَا ذَا فِي خُفْرَتِي عَاجِلًا أُلْقَى
قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْدِي :

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ أَنْ يَعِيشَ مُسَلِّمًا جَذَلَانُ لَا يُدْهِمُ بِخُطْبٍ يُحْزَنُ

أَفَرَطْتَ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْتَصِدْ وَأَعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفْتِنُ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُكِنٍّ وَمِنَ الْهَوَالِ وَجُودٌ مَا لَا يُمْكِنُ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَتَمِّهِ فَعَلَامَ نَزَجُوا أَنَّهُ لَا يُزْمِنُ

قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

٤٠

إِلَى كَمِّ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرٌ سَاعَةٌ مِنْهُ تَشْتَرِي بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضِعَّةً
أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرِّغْدِ وَعَيْشَةِ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَهِيمَةِ
فِيَا دُرَّةَ بَيْنَ الْمَزَابِلِ أَلْقَيْتِ وَجَوْهَرَةً بَيْعَتْ بِالْجَسِ قِيمَةً
أَفَانَ بِبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةٍ
أَأَنْتِ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لِمُسْتَهْمٍ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ بَعَثَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِيسَةً وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَلَفَتْ بِهَا دُنْيَا كَثِيرُ غُرُورِهَا تُقَابِلَانَا فِي نُصْحِهَا بِالْخُدِيعَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجْدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً يَمْثِلُهَا يَصِيرُ الْفَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تُحَاطَبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مِنْ نَاجَاكَ لِغَيْرِ طَرَفِهِ تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تَنَاجِيهِ مُعْرِضًا وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَتَخَنَّى غَيْرَ مُحْبِتٍ
تَقُولُ مَعَ الْعَصِيَانِ رَبِّي غَافِرٌ صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمُشِيَّةِ

وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَايَرٌ
فَكَيْفَ تُرْجِي الْعَمُو مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَفَّلَ نَفْسَهُ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ نَفِثَهُ
تُسِي بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً
فَلَمْ تَصْدَقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ
وَلَسْتَ تُرْجِي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَلَمْ يَكْفَلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّةٍ
وَتَهْمِلُ مَا كَلَّمَتْهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
عَلَى حَسَبِ مَا يُضِيهِ الْهَوَى بِالْقَضِيَّةِ

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا
وَاجْتَلِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي
لَوْ خَوَّفَتْكَ الْحُجُومُ بَطْشِي
أَنْتَ سُجَّاعٌ عَلَى الْمَعَاصِي
عِنْدِي أَلَكِ الصُّلْحُ وَهُوَ بَرِي
فَأَسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ تَرَاهَا
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عُيُوبِي
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعَصَاةِ شَأْنٌ
يَا مَنْ مَالَا بَرُّهُ النَّوَاحِي
عَنُوا فَإِنِّي رَهِيْنُ ذَنْبٍ
لَمْ تَدِرْ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
إِنَّ أَتْبَاعَ الْهَوَى هَوَانُ
إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
تَسِيرُ مُرَحًى لَكَ الْعَنَانُ
لَشَوَقَتْ قَلْبَكَ الْجَنَانُ
وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
وَعِنْدَكَ السَّيْفُ وَالسِّنَانُ
فِي النَّارِ مَسْجُوتَةٌ تِهَانُ
هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجْمِ أَوَانُ
وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
وَشَأْنُهُ الْعُطْفُ وَالْحَنَانُ
لَمْ يَخْلُ مِنْ بَرِّهِ مَكَانُ
حَاشَاكَ أَنْ يَفْلُقَ الرَّهَّانُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُذْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدٍ الْعُذْرِيُّ:

يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْرُورٌ فَأَذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَأَسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنِ بِهِ فَيَدْنَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وَبَيْنَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُعْتَبِرٌ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَغْنُوءُ الْأَعَاصِيرُ
حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهْمُهُ وَاللَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
يَكْبِي الْغَرِيبَ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
قَالَ آخَرُ:

وَيْلِي إِذَا كَانَ الْجَحِيمُ جَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُحْجَتِي وَبِهَائِي
يُبْلِي الْعَذَابُ مُحَاسِنِي وَيَشِينِي وَيَطُولُ مَنِي فِي الْجَحِيمِ بُكَائِي
وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سُوءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَلَسَيْتَ وَعْدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
وَتَرَى وَجْهَ الطَّالِبِينَ كَأَنَّهُمَا بَدْرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ
كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَدْهَشُوا وَكُسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءُ

٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَعِثًا بِهِ تَعَالَى:

يَا مَنْ يَغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْفَأَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ أُنْبَسَطُوا
وَعَدْتَ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْجَلَمُ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفَ أُرْتَبَطَتْ شَمُّ الْأَنْوَفِ بِهَا وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ فَقِيرٌ بَبَابِ الْجُودِ مِنْكَ سُرٌّ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدَ الْكَفِّ أَخْجَلُهُ
يَا وَاسِعًا ضَاقَ خَطُوهُ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتِهِ
إِرْحَمْ عِبَادًا بَضْنِكَ الْغَيْشِ مَا لَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلْيَاكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخِرُ :

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
فَدَعَ الصَّبَا يَا قَابُ وَآلَهُ عَنْ الْهَوَى
وَأَنْظَرُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ مُودَعٍ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ بِالْقَتَى
قَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ :

تَعَافُ الْقَدَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتُؤَثِّرُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الذَّهْ
وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمُسْكِينِ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

وَتَرَفُّدُ يَامِسْكِينُ فَوْقَ نَارِقِ وَفِي حَشْوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلَهَّبُ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَيْقِ جَهَالَهَ وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ بِذَلِكَ تَلْعَبُ
ع قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنْمُو بِالْخَطَايَا وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَخْشَى مِنَ الدِّيَانِ طَرْدًا بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَدَاكَ جَهْرًا وَتَتَلَسَّى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
وَتَخْلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانَ إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاہُ
وَتُكْرِرُ فِعْلَهَا وَمَا سُودُ بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا حُزْنَ أَلْسِيءِ لَشُومٍ ذَنْبِ وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ حِمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتِ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بَسَاہُ
يَعْضُرُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنِ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كتب على القبر

٤٥ تُوِّفِي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

يَا وَاقِفِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْحِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمُ
لَوْ تَزَلُّونَ بِشُعْبِنَا لَعَرَفْتُمْ أَنَّ الْمُرْطَ فِي التَّرْوِدِ نَادِمُ
لَا تَسْتَغْرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ وَالْمَوْتَ الْمُرْقِ هَادِمُ
سَاوَى أَلَرْدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةٍ حَيْثُ الْمُحْدَمُ وَاحِدٌ وَالْحَادِمُ
وَمِمَّا أُجِدَّ عَلَى قَبْرِ :

إِنَّ الْحَسْبَ مِنَ الْأَحْبَابِ يُتَبَسَّرُ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَرَابٌ وَلَا حَرَسُ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَدَّتْهَا يَأْمَنُ يَعِدُ عَلَيْهِ الْفُظُّ وَالنَّفْسُ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْبَسَرُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ قَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسُ

قَالَ ابْنُ الرِّقَاقِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

أَخْوَانَنَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ
سَبَقْتَكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعَمْرِ طِيَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بَدَّ لَاحِقِي
بِعَاشِكُمْ أَوْ بِأَصْحَابِ عَاجِي فِي الثَّرَى أَلَمْ نَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعَاشِرِ رَائِقِ
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمُضِرْ بِي مَتَرَحِمًا وَلَا يَكُ مَنَسِيًّا وَفَاءَ الْأَصَادِقِ

٤٦ أَمَرَ أَبُو الصَّلْتِ الْأَشْجَلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ :
سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا بِأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَارْتُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يُجُورُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ الْقَاءُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلْبُ الْذُنُوبِ كَثِيرُ
فَإِنْ أَلْكُ حُزْنِيًا بِذَنْبِي فَإِنِّي بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ ثُمَّ عَنِّي وَرَحْمَةٌ فَتَمَّ نَعِيمٌ زَائِدٌ وَسُرُورُ

حُفِرَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ :

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحَيِّهِ فَمَنْ حَقَّ مِيتَ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَانُ رَوْعَةً خَائِفٍ لِتَقْرِيطِهِ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغَيِّهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقٍ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ حَقِيْقِهِ

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّيُّ أَخِيَّاطُ عَلَى إِسَانِ مَيِّتٍ :

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَفَاتِي جَدًّا صَنِّي وَلَحْدًا عَمِيقًا
سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا
نَظَّمُ أَسْعَدُ مُصْطَفَى الْأَتَمِيمِي قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ :

قَبْرُهُ بِهِ مِنْ أَوْثَقَتِهِ ذُنُوبُهُ وَغَدَا أَسْوَأَ فِعَالِهِ مُتَخَوِّفًا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةِ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُرِ مَا صَفَا
مَاذَا صَوَى قَبْرَ الْأَتَمِيمِي أَرْخُوا مُسْتَمْنَحٌ لِلْعَفْوِ أَسْعَدُ مُصْطَفَى

٤٨ مَا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْحَمِيرِيِّ دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَقْبَرَةٍ
وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ نَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ فَرَعِ ذِي يَمَنٍ مَلَكَتُ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنٍ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي الْبَحْرِ أَجْمَلُهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنٍ
بِالْحُسْفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ ذُوقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحِقْدِ وَالْإِحْنِ
فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو دُولٍ حَتَّى كَانَ مَغَارَ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
حَتَّى إِذَا ظَفَرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
وَنَلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ آمِلُهُ مِنْ قَتْلِي الْخُبَشِ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي
جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ دَفْعُ وَلَا يُشْتَرَى بِأَقْوَمِ بَأْثَنٍ
مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَسْوَأَ الْأَمْرِ مَةً قَطَرَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهْنِ
قَدْ صِرْتُ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلِمَةٍ لِلَّهِ دَرِيٍّ مِنْ ثَاوٍ وَمُرْتَهَنٍ

الْبَابُ الثَّلَاثُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنُهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ . فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجَعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيْعًا . وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْتَنِي الْحَيَاةَ وَالْتَّسَمُ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَالِمِدًا وَرَفَاتًا سَحِيْمًا وَصَعِيدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى . وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ أَسْفَرَنِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاخِ ظِلَامُهَا . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ . وَهَمَّتْهُ لِي قُرَّةٌ عَيْنٍ فَأَمَّ تَتَعَنِّي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيكًا . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ رَحِمَ عَلَى مَنْ اسْتَوْدَعْتُهُ الرَّدْمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنِسْ وَحْشَتَهُ وَأَسْرِ سَوَاءَهُ يَوْمَ تَبْكَشِفُ السَّوَاءَاتِ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ سِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَهُ الرِّضَا بِرِضَايَ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَتْ: أَسْتَوْدَعُكَ مِنْ أَسْتَوْدَعُكَ
فِي أَحْشَائِي جَنِينًا. وَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةِ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَى أَنْسِهِنَّ وَأَشَدَّ
وَحْشَتِهِنَّ. وَابْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ. فَلَمْ تَزَلْ
تَقُولُ هَذَا وَتُحَوِّدُهُ حَتَّى أَبْكَتْ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا. وَحَمِدَتْ اللَّهَ وَصَلَّتْ
رَكَعَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والرائية

٥. لَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ امْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
فَقَالَتْ: لِلَّهِ دَرُكٌ مِنْ مُجْنٍ فِي جَنٍّ وَمُدْرَجٍ فِي كَهْنٍ. نَسَأَلُ الَّذِي
فَجَعَلَا بِمَوْتِكَ. وَابْتَلَانَا بِفَقْدِكَ. أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ. وَدَلِيلَ
الرُّشْدِ دَلِيلَكَ. وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ. وَيَنْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ.
فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَاظِلِ شَرِيفًا. وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا. وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
الْحَيِّ مُسَوِّدًا. وَإِلَى الْخُلَيْفَةِ مُوَفِّدًا. وَلَقَدْ كَانُوا الْقَوَاكِ مُسْتَمْعِينَ.
وَلَرَأَيْكَ مُتَّبَعِينَ. وَأَنْتَ أَهْلُ الْحُسْنِ التَّنَاءِ وَطِيبِ الْبَقَاءِ. أَمَا وَالَّذِي
كُنْتُ مِنْ أَجَلِهِ فِي عِدَّةٍ. وَمِنْ الْحَيَاءِ إِلَى مُدَّةٍ. وَمِنْ الْمُقْدَارِ إِلَى
غَايَةٍ. وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَايَةٍ. الَّذِي رَفَعَ عَمَّاكَ لَمَّا فَنَيْتُ أَجَلَكَ. لَقَدْ
عِشْتُ حَمِيدًا مَوْدُودًا. وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا. ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ:

لِلَّهِ دَرُكٌ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَغِيبُ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
لِلَّهِ دَرُكٌ أَيَّ حَشْوٍ تُرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نَكْرِ

إِنْ كَانَ دَهْرٌ فِيكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثًا بِهِ وَهَنْتُ قَوَى الصَّبْرِ
فَلَكُمْ يَدِ اسْدَيْتَهَا وَيَدِ كَانَتْ تَرُدُّ جَرَارَ الدَّهْرِ
ثُمَّ انْصَرَفَتْ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا
أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسُئِلَ عَنْهَا إِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ (زهر الآداب للقيرواني)
٥١ قَالَ أَبُو جَبَالِ الْبَرَاءِ بْنُ رَبِيعٍ الْقُحَيْسِيُّ يَرْثِي إِخْوَتَهُ :

أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةً أَمْ مِنْ أَمُوتٍ أَجَزَ
ثَمَانِيَّةً كَانُوا ذَوَابَّةَ قَوْمِهِمْ بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَسَاءَ وَأَمْنَعُ
أَوْلِيكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزْنَتُهُمْ وَمَا الْكَفَّ إِلَّا إِبْصَعُ ثُمَّ إِبْصَعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمْفَعُ
وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَقْدَاهُ لَمْفَعُ
٥٢ وَقَالَ الشَّجْعَانُ بْنُ عَمْرٍو السَّامِيُّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحٌ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَاخُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّخَاخُ
سَأَبِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَقَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَحْنُ الْجَوَاخُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعٌ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَاحُ
لَنْ حَسُنْتَ فِيكَ الْمُرَاثِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلِ فِيكَ الْمَدَاخُ
٥٣ وَقَالَ مُوَيْلِكَ الْمَرْمُومُ يَرْثِي امْرَأَتَهُ أُمَّ الْعَلَاءِ :

أَمْرٌ عَلَى الْجَدِّ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ
 أَنِي حَلَّتْ وَكُنْتُ جِدَّ فَرُوقَةٍ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ
 فَلَقَدْ رَكَّتْ صَغِيرَةٌ مَرْحُومَةٍ
 فَقَدَتْ شَمَائِلَ مِنْ لَزَامِكَ حُلُومَةٍ
 وَإِذَا سَمِعْتُ أُنَيْنَهَا فِي لَيْلِهَا
 ٥٤ وَقَالَ أَعْرَابِي يُرِثِي بَنِيهِ :

أَسْكَنْ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْقَدَا
 فَيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
 وَقَامَتْنِي دَهْرِي بَنِي مُشَاطِرًا
 فَصَارُوا دُيُونًا لِلْمَنَايَا وَلَمْ يَكُنْ
 كَانَهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتُ غَيْرَهُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا الْخُوفُ قَبْلَ وَقَاتِهِمْ
 فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى
 رَثَى ذُو الْوِزَارَتَيْنِ ابْنُ عَبْدِ الْأَبَرِّ رَجُلًا مَاتَ مُجْدُومًا :

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا
 كَانَ مِثْلَ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ
 سَالِمَ الْعَقْلِ سَقِيمَ الْجَسَدِ
 حَسِدَ الدَّهْرِ عَلَيْهِ فَصَدِي

٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يُرِثِي وَلَدًا لَهُ :

قَصَدَ الْمُنُونُ لَهُ فَمَاتَ فَقِيدًا
 وَمَضَى عَلَى صَرْفِ الْخُطُوبِ حَمِيدًا

يَا بِي وَأُمِّي هَالِكًا أَفْرَدْتُهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ فَرِيدًا
سُودُ الْمُقَابِرِ أَصْبَحَتْ بِيضًا بِهِ وَغَدَتْ لَهُ بِيضُ الضَّمَائِرِ سُودًا
لَمْ زُرْهُ لَمَّا زُرِينَا وَحْدَهُ وَإِنْ أُسْتَقَلَّ بِهِ الْمُنُونُ وَحِيدًا
لَكِنْ زُرِينَا الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ فِي فَضْلِهِ وَالْأَسُودَ بْنَ يَزِيدَ
وَأَبْنَ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَائِقِ مَعْمَرًا وَأَبْنَ الْمُسَيَّبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدًا
وَالْأَخْفَشَيْنِ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً وَالْعَشَيْنِ رَوَايَةً وَتَشِيدًا
كَانَ الْوَصِيَّ إِذَا أَرَدْتَ وَصِيَّةً وَالْمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبْتَ مُفِيدًا
وَلَى حَفِظًا فِي الْأَزِمَةِ حَافِظًا وَمَضَى وَدُودًا فِي الْوَرَى مَوْدُودًا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزْيَةِ وَالِدًا ظَفَرَتْ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مَوْلُودًا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السَّوَابِقَ فِي الْعُلَى وَالْعَالَمَ ضَمَّنَ شِلْوَهُ مَلْخُودًا
يَا مَنْ يُفِيدُ مِنَ الْبُكَاءِ مُوَلَّهُمَا مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَقْنِيدًا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةَ لِلْأَسَى مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدًا
إِنَّ الَّذِي بَادَ السَّرُورُ بِمَوْتِهِ أَعْيَتْ عُدُوًّا فِي الْوَرَى وَحَسُودًا
أَلَانَ لَمَّا أَنْ حَوِيَتْ مَأْثَرًا وَمِنْ السَّمَّاحِ دَلَايِلًا وَشُهُودًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ وَجْهَ الصَّبَاحِ وَغَرَدَتْ تَقْرِيدًا
لَوْلَا أَحْيَا أَنِّي أَرْنُ بَبْدَعَةٍ مِمَّا يُعَدِّدُهُ الْوَرَى تَعْدِيدًا
لَجَعَلْتُ يَوْمِي فِي الْمَلَاعَةِ مَأْتَمًّا وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَوْلِدِ عِيدًا
٥٦ قَالَ السَّمَرْدَلُ يَرْتِي أَخَاهُ حَكَمًا:

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكَمًا وَرَاحُوا
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَتَيْتُ أَتِي
أَخِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
فَقَدْ أَفْنَى الْبُكَاءَ عَلَيْهِ دَمْعِي
مَضَى إِسِيدِيهِ لَمْ يُعْطَ ضِمًّا
قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا
قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا
وَكُنْتُ سِنَانِ رُفْجِي مِنْ قَتَايِ
وَكُنْتُ بَنَانِ كَفِّي مِنْ يَمِينِي
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
فَقَدْ أَبَدُوا ضَعْفَانَهُمْ وَشَدُّوا
فِدَاكَ أَخِي نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَفِيقٍ مَرَّائِي لَيْدٍ :

وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
فَقَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ نَافِعُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
بِهَا يَوْمٌ حَلَّوْهَا وَعَدُّوا بِالْأَقْعِ
كَخَاضَمٍ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمَشَائِعِ
يَحْجُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ
بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِغُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْكَثَافِ دَارِ مَضْتَةٍ
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا
وَيَمْضُونَ أَسْأَلًا وَخَلْفُ بَعْدَهُمْ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْوِهِ

وَمَا أَلِيرُ إِلَّا مُضْمَرَاتُ مِنَ التُّقَى
 أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَيْتُ مَنِيَّتِي
 أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْفُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنُهُ
 فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمُنِيَّةَ مَوْعِدُ
 أَعَادِلُ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنِّيَا
 أَتَجَزَّعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْفَتَى
 لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الصَّوَارِبُ بِالْحَصَى
 ٥٨ لَمَّا تَوَفَّى مُحَمَّدٌ بْنُ صَالِحٍ قَالَ
 سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ يَرِثِيهِ :

بِأَيِّ يَدٍ أَسْطَوْ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
 وَهَاضَ جَنَاحِي حَادِثُ جَلِّ خَطْبُهُ
 وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنْ صُرُوفَهَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَلُّدُ أَنَّنَا
 فَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةً
 وَلَا لِي مِنْ الْأَخْوَانِ إِلَّا الْكَاشِرُ
 فَقَدْتُ فُتًى قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةً
 لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَخَذَتْ مِنِّي النُّوَابِ حُكْمَهَا
 وَلَا تَرَكْتَنِي أَزْهَبَ الدَّهْرُ بَعْدَهُ
 أَبَانُ يَدِي عَضْبُ الدُّبَابِينَ قَاضِبُ
 وَسَدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
 فَقَدْ نَالَكَ فَقْدُ الْغَيْثِ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ بِالثَّارِ طَالِبُ
 فَوَجَّهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهُ مُغَاضِبُ
 كَمَا زَيَّنْتَ وَجْهَ السَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
 فَمَا تَرَكْتُ حَقًّا عَلَى النُّوَابِ
 لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نَابُهُ وَالْخَابُ

سَقَى جَدًّا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنُ صَالِحٍ
 إِذَا بَشَّرَ الرُّوَادَ بِالْغَيْثِ بَرَقَهُ
 فَعَادَرَ بَاقِيَ الدَّهْرِ تَأْثِيرُ صَوْبِهِ
 ٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَرِثِي
 الشَّرَاقَةَ لِيَقَاتِلَهُمْ فَأَصِيبَ بِسَهْمٍ :

عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِي أَلْهَمَامُ
 وَفَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
 أَيْتَمَ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ الْأَنَامِ
 عِظَامُهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
 وَأَمْتَعَتْ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
 وَالْقُرَى تَشْكُو مِنْكَ طَوْلَ الْحِمَامِ
 كَيْمَا نَحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
 غَنَى عَنْ الْجَبْرِ وَصَوَّبَ الْغَمَامِ
 وَكَانَ فِي اللَّيْلِ كَبْدَرِ الظَّلَامِ
 وَقَدْ رَأَاهُ وَهُوَ صَعْبُ الْمَرَامِ
 يَضْرِبُهُمْ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْقَتَامِ
 يُفْلِتُ مِنْ وَقَعِ صَقِيلِ الْحَسَامِ
 عَلَى رَبِيعِ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامِ
 مَا هَيَّجَ أَشْجَو دُعَاءِ الْحَمَامِ
 يَاعَيْنِ جُودِي بِالْدمُوعِ السَّجَامِ
 عَلَى قَتَى الدُّنْيَا وَصَنْدِيدِهَا
 لَا تَذْخِرِي الدَّمْعَ عَلَى هَالِكِ
 طَابُ ثَرَى حُلُوفَانِ إِذْ ضُمِنَتْ
 أَغْلَقَتْ الْحَيَاتُ أَبْوَابَهَا
 وَأَصْبَحَتْ خَيْلُكَ بَعْدَ الْوَجَى
 إِرْحَلْ بِنَا نَقْرُبْ إِلَى مَالِكِ
 كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
 وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشْمَسِ الصُّحَى
 وَسَائِلُ يَعْجَبُ مِنْ مَوْتِهِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعْلَمًا
 وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْدُ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
 لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَقَدَهُ

٦٠ وَقَالَ أَيضًا يَرِيهِ :

يَا حُفْرَةً ضَمْتُ مُحَاسِنَ مَالِكٍ
 هَفِي عَلَى الْبَطَالِ الْمُعْرِضِ خَدَهُ
 خَرَقَ الْكِتَابَةَ مُعَلِّمًا مُتَكَبِّرًا
 ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
 هَدَمَ الشَّرَاءَ غَدَاةَ مَضْرَعِ مَالِكٍ
 قَتَلُوا فَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
 حَرَمُوا مَعَدًّا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا
 تَرْكُوهُ فِي رَهْجِ الْعِجَاجِ كَأَنَّهُ
 هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِقَدِّهِ
 لَا يُبْعِدَنَّ أَخُو خِرَاعَةٍ إِذْ ثَوَى
 عَزَّ الْغَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ
 وَبَكَاهُ مُصْحَفُهُ وَصَدْرُ حُسَامِهِ
 وَغَدَّتْ تُعَقِّرُ خَيْلُهُ وَتَقْسَمُ
 أَفْتَحُمْدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بِمَنْ

مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانٍ
 وَجِينَهُ لِأَسِنَّةِ الْفَرَسَانِ
 وَالْمُرْهَفَاتُ عَلَيْهِ كَالنَّيْرَانِ
 فَأَلَّأَرْضُ مُوحِشَةً بِلَا عُمرَانِ
 شَرَفَ الْعُلَا وَمَكَارِمَ الْبَنِيَانِ
 تَقَوَّى عَلَى اللَّزَبَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
 عَصَبِيَّةً فِي قَلْبِ كُلِّ يَمَانٍ
 أَسَدُ يَصُولُ بِسَاعِدِ وَبَنَانٍ
 وَتَمَسَّكَتْ بِالْخَسِ وَالْدَبْرَانِ
 مُسْتَشْهِدًا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَانِ
 مُحَبَّةً بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
 وَأُسْلَامُونَ وَدَوْلَةُ السُّلْطَانِ
 أَدْرَاعُهُ وَسَوَابِغُ الْأَبْدَانِ
 كَانَ الْعَجِيرَ لَنَا مِنَ الْحِدَثَانِ

٦١ قَالَ بِهِاءَ الدِّينِ الْعَالِمِي يَرِي وَالِدَهُ :

قَفْ بِالطُّلُولِ وَسَاهَا آيَنَ سَاهَاها
 وَرَدِّدِ اطَّرَفَ فِي اطَّرَافِ سَاحَتِها
 وَإِنْ يَفُتِكَ مِنَ الْأَطْلَالِ مُخْبِرُها
 وَرَوِّمِنْ جِرْعِ الْأَجْفَانِ رِيَّها
 وَرَوِّحِ الرُّوحَ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَها
 فَلَا يَفُوتُكَ مَرَّأَها وَرِيَّها

رُبُوعُ فَضْلٍ يُضَاهِي التَّيْبَ تَرْبَتُهَا
وَدَارُ أُنْسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَصْبَاهَا
عَدَا عَلَى جِيرةٍ حَلُّوا بِسَاحَتِهَا
صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
بُدُورُ تَمِّ غَمَامِ الْمَوْتِ جَلَّلَهَا
شُمُوسُ فَضْلِ سَحَابِ التُّرْبِ غَشَّاهَا
فَالْمَجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسِفًا
وَالدِّينُ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
يَا حَبْدَا أَرْمَنْ فِي ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ
مَا كَانَ أَقْصَرُهَا عُمْرًا وَأَحْلَاهَا
أَوْقَاتِ أُنْسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا ذُكِرَتْ
إِلَّا وَقَطَعَ قَبْ الصَّبِّ ذِكْرَاهَا
يَا سَادَةَ هَجْرُوا وَأَسْتَوْطِنُوا هَجْرًا
وَاهَا لِقَلْبِ الْمُغْنَى بِمَدِّكُمْ وَاهَا
رَعِيًا لَلْآيَاتِ وَصَلِ بِالْحِمَى سَلَفَتْ
سَقِيًا لِأَيَّامِنَا بِالْحَيْفِ سَقِيَاهَا
لِفَقْدِكُمْ شَقَّ جَيْبُ الْمَجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ
أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
وَحَرٌّ مِنْ شَانِحَاتِ الْعِلْمِ أَرْفَعَهَا
وَأَنْهَدَ مِنْ بَاذِخَاتِ الْجَلْمِ أَرْسَاهَا
يَا ثُلُوبًا بِالْمُصَلَّى مِنْ قَرَى هَجْرٍ
كَسَيْتَ مِنْ حُلُلِ الرُّضْوَانِ أَرْضَاهَا
أَقَّتَ يَا بَحْرُ بِالْبَحْرَيْنِ فَأَجْتَمَعَتْ
ثَلَاثُهُ كُنَّ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
ثَلَاثُهُ أَنْتَ أَسْدَاهَا وَأَغْرَرَهَا
جُودًا وَأَعْدَبُهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْحُلِيَاءِ مَا حَوِيَا
لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
يَا أَخْصَصًا وَطِطْتَ هَامَ السُّهَى شَرْفًا
سَقَاكَ مِنْ دِيمِ الْوَسْمِيِّ أَسْمَاهَا
وَيَا ضَرْيَحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا
عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَرْكَاهَا
فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ النُّضْلِ أَحْرَاهَا
وَمِنْ شَوَافِحِ أَطْوَادِ النَّفْسِ أَرْ
وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
فَأَسْتَحَبَّ عَلَى الْفَلَاحِ الْعُلُويِّ ذَيْلَ عَلَا
سَاهَا وَأَرْفَعَهَا قَدْرًا وَأَنْهَاهَا
فَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْعُلِيَاءِ أَعْلَاهَا

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحْتَ عَلَى عُصُونِ أَرَاكِ الدَّوْحَ وَرَقَاهَا
٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يَرِثِي جَابِرَ بْنَ نَاصِرٍ الدِّينِ :

أَفَكُرْ فِيكَ مُقَصِّرُ الْأَمَالِ وَالْمِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجُمَالِ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصَلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدَى لَأَفْتَدَيْتَكَ سَرَاتِنَا بِفَانِسِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسُ أَقْبَلَتْ صَرَعًا تَكْدَسُ بِالْقَنَا الْعَسَالِ
أَعَزَّ زَعَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تَرَى فَوْقَ الْفِرَاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَالسَّمَرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَالسَّابِغَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَدَلْ وَالْبَيْضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا الْمُنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْتَهَا حِرْصُ الْحَرِيصِ وَحِيلَةُ الْمُحْتِمَالِ
مَا لِلْخُطُوبِ وَمَا لِلْأَحْدَاثِ النَّوَى أَعْجَلَنَ جَابِرَ غَايَةَ الْإِعْجَالِ
لَمَّا تَسَرَّبِلَ بِالْفَضَائِلِ وَارْتَدَى بُرْدُ الْعُلَى وَاعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ وَآرَى الْمُسْكَرِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالِ
أَبَا الْمُرْجِي غَمِيرُ حُرْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ
وَلَنْ هَدَاكَ مَا الْوَفَاءُ بِهَا لَكَ وَأَيْنَ بُلَيْتَ نَمَا الْوَدَادُ بِكَالِ
لَا زِلْتُ مَغْدُوقَ الثَّرَى مَطْرُوقَهُ بِسَخَابَةِ مَجْرُورَةِ الْأَذْيَالِ
وَحُجِبَنَ عَنْكَ السَّيِّآتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مُعَبِّدٍ تَرِثِي خَالَدَ بْنَ نَضْلَةَ :

أَأْمِمْ هَيْهَاتِ الصِّبَا ذَهَبَ الصِّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْحِلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

أَيْنَ الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا جِيرَةً أَمْسُوا دَفِينِ جَنَادِلٍ وَتَرَابٍ
مَاتُوا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحَدْتُ صَرْفَ الْمَوْتِ عَنْ أَحِبَائِي
مَا حِيلَتِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحٌ كُلُّ مُصَابٍ
٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرِثِي أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا نَوَهَ الدَّاعِي بَلِيلٍ فَأَسْمَعَا بِخَرْقٍ كَرِيمٍ كَانَتْ فِي النَّاسِ أَرْوَعًا
مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ صَرْعِي وَلَا بَدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأَصْرَعَا
كَانَ لَمْ نَكُنْ يَاعْمُرُونِي دَارِ غِبْطَةٍ وَجَمِيعًا وَلَمْ تَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدٍ مَعَا
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ تَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
فَلَمْ يَبْلُ ذِكْرُ مِنْكَ كُنْتَ تُجِدُّهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ الْبَنَى فِيكَ أَسْرَعَا
وَمَا دَنَسَ الثُّوبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبَلَى فَتَقَطَّعَا
وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى لَكَ مَضْجَعَا
٦٥ أَنشَدَ مُحَرِّزُ بْنُ عُلْقَمَةَ يَرِثِي أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى الْمَتَابِرُ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرَ تَكْرُمٍ وَقَلِيلَ عَابٍ
بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَنَدْفَعُ مَرَّةَ الْقَوْمِ الْغَضَابِ
صُمُوتٌ فِي الْمَجَالِسِ غَيْرُ عِيٍّ جَدِيرٌ حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ
كَرِيمٌ أَطْلَقَ لَا طَمَعُ غَمِينٍ وَلَا فَحَاشَةُ نَزَقِ السَّبَابِ
كَرِيمٌ مَوَاحِنِ الْأَحْسَابِ عَفٌّ إِذَا الضَّالِيلُ مَالُ بِهِ التَّصَابِي
دَلُوفٌ بِالْقَرَى وَاللَّيْلُ قَرٌّ إِلَى الْمُسْتَسِينَ ذُرَى الرِّكَابِ

٦٦ وَقَالَ الْأَبَرُّ بْنُ الْأَبَرِّ يَرِثِي أَخَاهُ بَرِيدًا وَتُرَوَّى إِسْلَامَةَ الْجُفْيَى :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلُوهُمَا
أَمَّا تَعْلَمِينَ الْخُبْرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا
فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ
فَتَى كَانَ يُعْطِي السِّيفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ
وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَعْتَدِي
وَقَالَ أَيضًا فِيهِ : ٦٧

تَطَاوَلَ لَيْلِي لَمْ أَمْنَهُ تَقَلُّبًا
فَإِنْ تَكُنْ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا
فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَغْنَى يُجَرِّقُ فِي الْغَنَى
فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيًا
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ
كَأَنَّهُ لَمْ يُصَاحِبْنَا بِرَيْدٍ بَغِيطَةٍ
وَلَمَّا نَعَى النَّاسَ بَرِيدًا تَغَوَّلَتْ
عَسَاكِرُ تَغَشَى النَّفْسَ حَتَّى كَانَتْ بِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدٍ مُصِيبَتِي
قَالَتْ الْخَنَسَاءُ تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا : ٦٨

قَدَّيْ بَعِينِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ
أَمْ أَفْقَرَتْ إِذْ خَلَتْ عَنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
فَيْضُ يَسِيلُ عَلَى الْخُدَيْنِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا
لَا بَدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرِ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ
وَإِنَّ صَخْرًا لِحَامِينَا وَسَيِّدُنَا
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهُدَاةُ بِهِ
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَقْدِرْ شَيْئَهُ
طَلَقَ الْيَدَيْنِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ مُعْتَمِدٌ
٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا:

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
٧٠ قَالَ الْمُتَمِّمُ يَرَى أَخَاهُ مَا لَكَ:

إِذَا ذَرَّتِ الرِّيحُ الْكَثِيفَ الْمُرْبَعَا
سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
أَرَى كُلَّ حَبَلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَفْطَعَا
وَكُنْتَ جَدِيدًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسْتَعَا
ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَعَا

وَعَشْنَا مَجْرِي فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ مَا لَكَ بَعْدَ مَا
قُلْتَ لَهَا طَوْلُ الْإِسَاءَةِ سَاءَ نِي
أَصَابَ الْمُنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتَبَا
وَأَشْجَمَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّا
أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ الْوَجْهِ أَفْرَعَا
وَلَوْعَةً حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ يَرَى بَعْضَ مَنْ يَغِزُّ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا
عَهْدُكَ لَا تَطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْرًا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلَكِنْ
فِيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ إِضْعَافِ حَالِي
يَغِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
فَوَا أَسْفِي لِحُسْنِكَ كَيْفَ يَبْلِي
وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي
تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
وَيَا خَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ
وَمَا عَوْدَتِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
وَتَقْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي تَنَاكَ
فَكُلُّ النَّاسِ يَغْدُرُ مَا خَلَاكَ
دَهَالِكُ مِنَ الْمُنِيَّةِ مَا دَهَاكَ
وَكَيْفَ أَطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفِكَ آكَ
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
وَلَيْسَ يَزَالُ مَحْتُمًا هُنَاكَ
وَمَا أُسْتَوِفِتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكَ
وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
وَحَقَّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَ
وَلَمْ أَنْفَكْ فِي خَطْبِ أَتَاكَ

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدِّ تَبَاكِي
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنْ نَوَاكَا
حِزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي حِزَاكَ
فِيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكَ
سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْتَانًا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَ
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُزَفُّ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَ
٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَرُدُّ الْبُكَاءَ وَقَلَّ الْبُكَاءُ لِقَتْلَى كُذَّاءَ
أَصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
بَكَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَاءِ
وَكَانُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا انْتَضَى زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى الضِّيَاءَ

٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوَى هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِلْعَبَّاسِيِّ:

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتْلَى كُذَّاءَ وَقَتْلَى بِكُشُوفَةٍ لَمْ تُرْمَسِ
وَقَتْلَى بَوَجٍّ وَبِالْأَلْبَتِينَ يَشْرَبُ هُمْ خَيْرُ مَا أَنْفَسِ
وَبِالزَّائِبِينَ نَفْسُ تَوْتٍ وَأُخْرَى بِنَهْرٍ أَبِي فُطْرُسِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَنْخَتَ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنٍ مُتَعَسِّ
إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاكِبِينَ وَإِنْ جَاسُوا زَيْنَةُ الْجَاسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِرَيْبِ الزَّمَانِ وَهُمْ أَلْصَقُوا الرِّغْمَ بِالْمَعْطَسِ
فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارِ ابْنُ يُقَالُ لَهُ مَعْنُ قَاتَ فَقَالَ يَرِيهِ :

يَا مَوْتُ مَا لَكَ مُوَلِّعًا بَضْرَارِي إِنِّي عَلَيْكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَأَنِّي لَكَ وَارِثُ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يَوَّلُ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدَتْ قَرِيبَهُ لَيْسَتْ بِنَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمُرُءُ سَوْفَ وَإِنْ تَطَاوَلَ عُمُرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحُفْرَةِ الْحَفَّارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَانَهُ مِنْ حُسْنِ بَنِيهِ قَصِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلَنِي بِأَعْزَى أَهْلِي كُلِّهِمْ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةٌ الْجَبَّارِ
هَلَا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْفَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْأَخْتَارِ
وَتَرَكْتَ رَبِّيَ إِلَيَّ مِنْ أَجْلِهِمَا عَفْتُ الْجِهَادَ وَصَرْتُ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرَى أَبَاهَا وَأَخَوِيهَا :

مَنْ حَسَنَ لِي الْأَخَوِينَ كَالْغَضَنِزِ أَوْ مَنْ رَأَاهَا
قَرْمَانَ لَا يَتَطَالَمَانِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهَا
وَيَلِي عَلَى أَبْرِي وَالْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُهُولِ وَلَا فَتَى كَنَتَاهَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي يَرِي ابْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخْلِيهَا
نَعَى النُّعَاةَ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَالَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَالْعَرَمُ كَأَنَّا مِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ آلَانِهِ يَأْقُومُ أَحْصِيهَا
وَرَوِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَتُورِدُهَا بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُنْجَابَتْ مِنْ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مُجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطِيرٍ الْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولًا لِقَبْرِهِ سَقَمْتُكَ الْغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
فِيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلْسَّمَاحَةِ مُضْجِعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْجُرُّ مُتْرَعًا
بَلَى قَدْ وَسَّعْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ دُمِيتُ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضُفْتُ حَتَّى تَصَدَّعًا
فَتِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَأَنْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنِيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِّيُّ النَّصْرَانِيُّ يَرْثِي أَبَا الطَّيِّبِ الْمُسْتَبِيِّ

الْدَّهْرُ أَخَذْتُ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنَ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِيهَا يَا أَحْمَدُ
قَصَدْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ نَفِيسَهَا بُحْلًا بِمِثْلِكَ وَالنَّفَاسُ تَقْصَدُ
ذُقْتَ الْكَرِيمَةَ بَغْتَةً وَفَقَدْتَهَا وَكَرِهَ فَقْدُكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَطْغَتِ الْخُطَابُ فَإِنِّي صَبَّ الْفُؤَادِ إِلَى خَطَايَاكَ مُكْمَدُ
أَتْرَكْتُ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدُكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُنْشَدُ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمَدُ

٧٩ وَرثاهُ أَيْضًا أَبُو الْقَاسِمِ الْمُظْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَاتِبُ :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِي الْمُتَّبِعِي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبَكْرِ الزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَابْنًا وَابْنُ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
٨٠ لِأَيِّ عَبْدٍ الرَّحْمَنِ الْعَطْوِيِّ مِنَ الْمُرْقُصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ:
وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
وَلَيْسَ فَتِيقُ الْمَسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الشَّنَاءُ الْخُلْفُ
وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

أَلْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَحْتَجَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
٨١ قَالَ جَرِيرٌ يَرِثِي الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
إِنَّ الْخُلِيفَةَ قَدْ وَارَى شِمَائِلَهُ غَبَاءُ مَلْحُودَةٍ فِي جُوهَا زُورُ
أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَأَنَّا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مِنْيَتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عُمَرُ
وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدْيَتَهُ أَغْلَوْا مُخَاطَرَةً لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ فَرَعٍ لَمَّا آتَاهُ بِدِيرِ الْقُسْطَلِ الْخَبَرُ
٨٢ قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ يَرِثِي الْعَلَّامَةَ الْعَبَّادِيَّ :

يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرٍ عَبَثًا أَقْصِرْ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْهُمُومِ مُلِي
كَمْ مَنَظَرٍ رَاقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنِ الْحِيلِ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَيَاكِ
وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُولُ
وَكَمْ عَزِيزٍ أَذْنُهُ الْمُنُونُ وَمَا
يَا عَارِفًا دَهْرُهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً
هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعْتُ
وَهَلْ رَأَيْتُ أَنْاسًا قَدْ عَلَاوْا وَعَلَوْا
أَوْ هَلْ لَسَيْتَ لِدَوَائِلِ الْمَوْتِ أَوْعِيَتْ
وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَامٍ
وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَتْ لَهُ أُمَمٌ
لِأَجْلِ ذَا طَالَ مِنْهُ النَّوْحُ وَانْحَدَرَتْ
عَلَى إِمَامٍ هُمَامٍ فَاضِلٍ فَطَنُ
لَهُ يَدٌ وَرَدَّتْ بِحَرِّ الْهَدَى وَرَوَتْ
وَكَمْ لَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ بِجَوْهَرِهَا
٨٣ قَالَ الْيَزِيدِيُّ بْنُ مُغِيرَةَ الْمَقْرِيُّ يَرِثِي الْكِسَاءِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ
الْحُسَيْنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَمَا تَأْنِي الطَّرِيقُ :
تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ
سَيْفِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونِ الَّتِي خَلَتْ

تَحْتَ التُّرَابِ وَكَمْ سَنَمٍ وَكَمْ بَطَلٍ
قَدْ صَارَ بِالْمَوْتِ مَعْرُورًا عَنْ الدُّوَلِ
إِنْ صَدَّهَا عَنْهُ مِنْ مَالٍ وَلَا خَوْلٍ
وَإِنْ جَهَلَتْ تَصَارِيفُ الزَّمَانِ سَلِ
أَذْنَاكَ أَنْ أَبْنَ أَتَى غَيْرُ مُنْتَقِلٍ
فِي الْفَضْلِ زَادُوا بِمَا نَالُوا عَنْ الْأَجَلِ
عَيْنَاكَ عَنْ وَاضِعٍ نَعْشًا وَمُحْتَمِلٍ
أَوْ هَلْ خَلَا أَحَدٌ دَهْرًا بِلا خَالٍ
لَكِنَّ ذَا الْفَضْلِ مُحْمُولٌ عَلَى عَجَلٍ
كَفَقْدِ مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ وَلَا عَمَلٍ
كَمَوْتِ شَخْصٍ مِنَ الْأَوْعَادِ وَالسَّفَلِ
مِنَّا الدُّمُوعُ كَسِيلٌ وَابِلٌ هَطِلٌ
جَبْرِ لَيْبٍ مَلَاذٍ لِلْعُلُومِ وَلِي
حَدِيثُهُ عَنْ فُنُونِ السَّادَةِ الْأَوَّلِ
جَلَّتْ وَمَا أَحْتَاجَ مَعْنَاهَا إِلَى حَالٍ
٨٣ قَالَ الْيَزِيدِيُّ بْنُ مُغِيرَةَ الْمَقْرِيُّ يَرِثِي الْكِسَاءِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ
الْحُسَيْنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَمَا تَأْنِي الطَّرِيقُ :
تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ
سَيْفِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونِ الَّتِي خَلَتْ

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذَرَيْتُ دَمْعِي وَالْفَوَادِ عَمِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخُطْبُ أَشْكَلَ مِنْ لَنَا يَا بَيِّنَاتِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
وَأَقْلَقْنِي مَوْتَ الْكَسَائِيِّ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلْنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَارَقَ عَيْنِي وَالْعُيُورُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانِ أَوْدِيَا وَتَحَرَّمَا وَمَا لُهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحَزَنِي إِنْ تَخَطَّرَ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ بِذِكْرِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ جَدِيدُ

٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَرِثِي الْأَصْمَعِي :

أَسِفْتُ لِفَقْدِ الْأَصْمَعِي لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
تَقَضَّتْ بَشَاشَاتُ الْمَجَالِسِ بَعْدَهُ وَوَدَعْنَا إِذْ وَدَعَ الْإِنْسُ وَالْعِلْمُ
وَقَدْ كَانَ نَجْمُ الْعِلْمِ فِيْنَا حَيَاتِهِ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَفَلَ النَّجْمُ
٨٥ قَالَ الْمُعْتَمِدُ يَرِثِي أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوَفِّمِ الْأَسْلَ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ يُرَى مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
شَهَابٌ خَبَا وَقَدْهُ وَعَارِضٌ غَيْثٌ أَفَلَ
شَكَتْ دَوَاتِي فَقَدْهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلُ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرِثِي الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ السُّيُوطِي :

مَاتَ الْكَمَالُ فَمَاتُوا وَلِيَ الْحُجِّي وَالْجَلَالُ
فَلِلْعُيُونِ بُكَاءٌ وَلِلدُّمُوعِ أَنْهَمَالُ
وَفِي فَوَادِي حُزْنٍ وَلَوْعَةٍ لَا تَرَالُ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَجِلْمٌ وَارْتَهُ تِلْكَ الرِّمَالُ
 بِكَيْ الرِّشَادُ عَلَيْهِ دَمًا وَسِرَّ الضَّلَالُ
 قَدْ لَاحَ فِي الْخَيْرِ نَقْصٌ لَمَّا مَضَى وَاخْتِلَالُ
 وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
 عُلُومُهُ رَاسِخَاتُ تَزُولُ مِنْهَا الْجِبَالُ
 بِقَبْرِهِ الْعِلْمُ ثَاوٍ وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ مُعَبِّدٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنَ مُعِينٍ :

لَقَدْ عَظُمَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزْيَةٌ
 فَتَمَّأُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي التُّرَى
 فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عِبْرَةً
 إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَظُمَ رِزْيَتِي
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُوْتَى فَيَسْأَلُ بَعْدَهُ
 لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةً
 فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ
 وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّنَا
 وَلَيْسَ بِمَنْ عَذَّكَ دَمْعُ شَقِيحَتِهِ
 أَعْمَرَكَ مَا لِلنَّاسِ فِي الْمَوْتِ حِيلَةٌ
 وَلَكِنَّمَا أَبْكَى عَلَى الْعَالَمِ إِذْ مَضَى
 فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَفَرَ بَدِينِهِ
 غَدَاةُ نَعَى النَّاعُونَ يَحْيَى فَأَتَمَّعُوا
 وَكَأَدَ فُؤَادِي حَسْرَةً يَتَصَدَّعُ
 وَلَا جَزَاءَ إِنَّا إِلَى اللَّهِ نَرْجِعُ
 يَحْيَى إِلَى مَنْ لَسْتُ رِيحُ وَنَفْسُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُنْجِعُ
 مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَقَشَّعُوا
 وَأُذِرَجَ فِي أَكْفَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
 رَعِيَّةٌ رَاعٍ بِثَمِّهِمْ فَتَصَدَّعُوا
 وَلَكِنْ إِلَيْهِ لَسْتُ رِيحُ الْمُتَجِّعُ
 وَلَا لَتَضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
 فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْرَعُ
 إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُتَمِّعُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِي يَرْثِي أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمَغْنِي :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ حُفِرَ وَلَا زِلْتُ تَسْقِي الْغَيْثَ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجَدِي عَلَيْكَ فَا مَ لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ الْفِرَاقُ إِلَى الْحَشْرِ

٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي رثاهُ الشَّرِيفُ الرُّضَيُّ الْمَوْسَوِيُّ بِقَوْلِهِ :

أَعْلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَأَ ضِيَاءَ النَّادِي
جَبَلُ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْجُبِّ اغْتَدَى مِنْ وَقَعِهِ مُتَابِعَ الْأَرْبَادِ
وَكَأَنَّكَ أَعْلَمَ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ

٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرْثِي الْعَلَمَةَ مُحَمَّدِي الدِّينِ الْكَافِي :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِي الدِّينِ كَافِي عِيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْمُهْجِ
كَانَتْ أَسَارِي هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دُرَرٍ تَرْتَهِي فَبَدَّلَ ذَلِكَ الدُّرَّ بِالسَّجِ
فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ فَتَرَّا وَقَوْمَ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عَوَجِ
يَانُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَفِئًا وَكَانَتْ النَّاسُ تَمْشِي مِنْهُ فِي سِرْجِ
فَلَوْ رَأَيْتَ الْفَتَاوَى وَهِيَ بَاكِئَةٌ رَأَيْتَهَا مِنْ مُجِيعِ الدَّمْعِ فِي لَحْجِ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءٌ عَنْهُ رِيحُ صَبَا لَأَسْتَشْفُوا مِنْ شَذَاهَا أَطِيبَ الْأَرْجِ
يَا وَحْشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكَتْ أَبْطَالُهُ فَتَوَارَتْ فِي دُجَى الرَّهْجِ
لَمْ تَلْحَقُوا شَاوِعَامٍ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنَّى وَرَثَتُهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَفْرِينَا وَيُثْرِنَا فِي حَالَتِهِ بِوَجْهِهِ مِنْهُ مُبْتَهَجِ

سَمِيَّاهُ وَكَسَاهُ اللَّهُ نُورَ سَنَاءٍ مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْغَفَرَانِ مُنْسَجٍ
 ٩١ وَقَالَ أَيضًا يُرِثِي الْحَجَّازِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْخَزَّزَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَقْوَالِ الشَّهَابِ تَحْفَةَ الْقَوْمِ زُهَةِ الْأَصْحَابِ
 كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَمْرِي فَتَوَارَى مِنْ الثَّرَى بِحِجَابِ
 فَقَدَتْ بِهِ أَيَّامِي الْمَعَانِي وَتَيَّأَى جَوَاهِرِ الْأَدَابِ
 هَطَلَتْ أَدْمُعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ
 وَذَوُّو الْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينَ وَلَّى صَكَّاهُمْ جَامِعًا بِإِلَّا مِحْرَابِ
 يَا شَيْهًا بَاطِلُوعُهُ فِي سَمَا الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَقُولُهُ فِي الثَّرَابِ
 لَكَ فِيهَا أَلْفَتْ تَذَكُّرَةٌ مِنْ مَا أَتَقَى ذُرَّهُ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ
 رَوْحُهُ أَيْنَعَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
 فَسَقَى تَرْبَهَا الرَّبَّابُ لَتَهَيَّرَ وَتَرَبُّو عَلَى سَمَاءِ الرَّبَّابِ
 وَرَأَى كَسْرَهُ فَقَابَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَبْرِ يَوْمَ الْحِسَابِ

٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ يُرِثِي صَلَاحَ الدِّينِ :

سَمِلُ أَلْمَدَى وَالْمُلْكِ عَمَّ شَتَاتُهُ وَالْدَّهْرُ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
 بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يُرْجَى نَدَاهُ وَتَتَقَى سَطَوَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ وَصَمَتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي غَنَتْ الْفَرْجُ لِبَاسِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أَدْرَكَتْ ثَارَاتُهُ
 أَعْلَالُ أَعْنَاقِ أَلْمَدَى أَسْيَافُهُ أَطْوَاقُ أَجْيَادِ الْوَرَى حَسَنَاتُهُ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحِكْمِ

٩٣ قَالَ الْعَسْجَدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكُفَايَةِ
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْبِسُ الْعُودَ ذَمِيمَ الْعُهُودِ سَيِّئِ
الظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْجَدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَبْهَةَ وَالصِّتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالتَّجْمَلَ الظَّاهِرَ وَالْدَّارَ الْجَلِيلَةَ وَالْفَرْشَ السَّنِيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِ . وَالسَّاطِنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحَظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَارُ وَامْتِنِعُونَ . وَأَيْنَ الْأَمَلُونَ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُنْصَرِفُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْخِلْعُ وَالتَّشْرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الضِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تَحْبِي الرِّئَاسَةُ
بِالتَّرَهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْخُرْعَاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْفَتَى إِذَا رَاحَ فِي فَرْطِ عِجَابِهِ
وَلَا فِي فَرَاهَةِ بَرْدُونِهِ وَلَا فِي مَلَاخَةِ أَثْوَابِهِ
وَأَكْبَهُ فِي الْفَعَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِ

٩٤ اجْتَمَعَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ وَحَمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرَ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
عَامِرُ حَمَّةَ : أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَيْدِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتْبَةِ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْحِلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمُعْسِرِ الْفَرِيمِ . وَالْمُسْتَغْفِرِ الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَتِّ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْفَخْشَالُ . وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالْفَنِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْحَرِيصُ
 الْكَائِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْمُخْلَفُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالصَّنِيعَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا مُطِلَّ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عَشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قُرِبَ مَنَحَ . وَإِذَا ظَلَمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُوقَ سَمَحَ . قَالَ : مَنْ أَلَامَ
 النَّاسَ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعَ . وَبَاطِنُهُ طَبَعَ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجَلُّ إِذَا اُنْتَصَرَ . وَلَمْ تُطْغِهِ عِزَّةُ الظُّفْرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيَبَ دُبْرَ أَذْنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسَ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْحِطَارَةَ . وَاعْتَسَفَ الْعِثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَذَلَ لِلْجُهُودِ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَفْقُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمُرِيزَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَقَ الْمَفْصَلَ
 قَبْلَ التَّخْرِيزِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ . وَتَخَطَّطَ عَلَى الْقِسَمِ . وَأَسْتَشَعَرَ
 النَّدَمَ عَلَى مَا أُتِّحَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ . قَالَ : مَنْ أَسْتَشَعَرَ

أَلْيَاسَ . وَأَظْهَرَ أَتَجَمُّلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْثَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسْمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَادَّكَرَ . وَنَظَرَ فَأَعْتَبَرَ . وَوَعُظَ فَازْدَجَرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَغْنَمًا . وَاتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا .
(لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادُ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ أَلْيَاسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ . وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَفْسِي اتَّخَفُظَ . وَإِنْ أَتَادُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّتْهُ الْجُرْعُ . وَإِنْ اسْتَفَادَ مَا لَا أَطْعَاهُ الْغَنَى . وَإِنْ عَصَتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَنَتِ الْبُيُوتُ . فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد اراد السفر

أُودِعَكَ الرَّحْمَانُ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِبًا رَحْمَادَ فِي أَوْبَتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النُّوَى إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَقُّ إِلَى طَلْعَتِكَ
وَأَخْتَصِرُ التَّوْدِيعَ أَخَذًا فَمَا لِي نَاطِرُ يَهْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلَ وَصَاتِي نَصْبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةُ الْعُمُرِ الَّتِي حُبِّكَتْ فِي سَاعَةٍ زُفْتُ إِلَى فِطْنَتِكَ

فَلْتَجَارِبِ أُمُورٌ إِذَا طَالَتْهَا تَشَحُّدٌ مِنْ غَفَلَتِكَ
فَلَا تَنْمَ عَنْ وَعِيهَا سَاعَةً فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَفْظَتِكَ
وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ
وَأَمْشِ أَهْوَيْنَا مُظْهِرًا عِفَّةً وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْتِكَ
وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ أَلْعِي مُسْتَقْبِحٌ وَأَبْعَ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
وَلِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَأَصْبَحْتَ أَخِيرَ فِي سَكَنَتِكَ
وَوَفَّ كَلًّا حَمَّةً وَلَتَكُنْ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عِشْتَ فِي بُكَرَتِكَ
وَحَيْثُمَا خِيمْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدَّتِكَ
وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةٌ مَا لَهَا صُحْبَةٌ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَلَا تَقُلْ أَسْلَمَ لِي وَحْدَتِي إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُذَّتِكَ
وَأَلْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا فَقَدْ تُقَاسِي الدَّلَّ فِي وَحْدَتِكَ
وَلِتَجْعَلَ الْعَقْلَ مُحَكَّا وَخُذْ تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَاطِظِهِمْ كَلَّا بَمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصْبِهِ وَأَصْحَبَ أَخَا يَرْغَبُ فِي صُحْبَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرُبَهُ إِنَّهُ وَفَكَرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثَرَتِكَ
وَأَنْمِ نَمُو النَّبْتِ قَدْ زَارَهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكَّنًا غِبُّ الدَّيِّ وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَالْشَّرُّ مَهْمَا أَسْطَعْتَ لَا تَأْتِيهِ تَذْكَارُهُ يَذْكُرُ لَطْفَ حَسْرَتِكَ
فَإِنَّهُ حَوْرٌ عَلَى مُهْجَتِكَ

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدِّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرَتْهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحَفْظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَأَحَقَّ بِالتَّمَدُّمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثَلَاثُ فَمِنْهُمْ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَانِيَةٌ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةٌ اجْتِنَابُ الرِّيبِ
وَأَصْغَرُهَا يَا بُنَيَّ إِلَى الْيَتِّ الَّذِي هُوَ يَتِيَةُ الدَّهْرَ وَسَامَ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ .
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نُزِيلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ . وَلَتَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَهُ مَعَهُ وَلَدٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ فَاجْعَلِ
التَّكَلُّفَ لَهُ سُلَامًا وَهَبْ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولُ الْوَسَنِ وَأَنْزَلَ بِقَلْبِهِ نُزُولَ الْمُسَرَّةِ حَتَّى يَتِمَّكَنَ إِلَيْكَ وَدَادُهُ .
وَيُخْلَصَ فَيْكَ أَعْتَادُهُ . وَطَهَّرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانُكَ . وَأَعْلَقَ تَمَعَاتُكَ
وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودٍ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ . أَوْ
حَسُودٍ لَهُ يَغَارُ لِجَمَلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَمَهَّدْ بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ . فَقَدْ يَبْدُوهُ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَأَمَّا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَمَلَهُ مَعْيَارًا وَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَمَلٍ . فَاحْتَدِ
بِأَمْثَلِهِ مَنْ جَرَّبَ . وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْأَمْثَلُونَ بَعْدَ جُهِدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خُلَاصَةٌ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَرُّبِهِمْ . وَلَا تَيْكِلْ عَلَى
عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعَبَ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَأَبْتَاؤُهُ غَالِيًا
بِتَجَارِبِهِمْ يُرْجِحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمَرْوَةٌ
وَتَجَرُّبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَنْقِيحًا
لِعَقْلِكَ وَحِثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يُحْسِنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَبَّرَهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَاغِ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَلَا فَائِزُهُ تَبْذُلُ النَّوَاةِ . فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يَتَّبِعُ
وَلَا كُلِّ شَخْصٍ يُكَلِّمُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعْمَى بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ رَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يَعْمَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا يَلَا أَوْفَى الْبَرِيَّةِ قِسْطُهَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَأَيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ . فَلَا تَعْمَلِ الدُّونَ بِمُعَامَلَةِ
الْكُفُوِّ وَلَا الْكُفُوِّ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تُضَيِّعْ عَمَلَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالْمُطَامِعِ وَيُشِيبُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةِ آجِلَةٍ . وَلَا تَجْفُ
النَّاسَ بِالْجُمْلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ مِنْهُ مَلٌّ وَلَا ضَجْرٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَتَقِفُ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سَلَامٌ بِكَيْتُ
عَلَى سَلَامٍ . وَإِيَّاكَ وَالْيَتَّ السَّائِرُ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَّتْ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِحِزْبِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا
وَأَحْرَصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تَبْقَى لَكَ الْوَدَّ فِي
صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَاحْذَرِ كُلَّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَغْرُسُهُ تُجْنِيهِ
إِلَّا ابْنُ آدَمَ . فَإِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ . وَقَوْلُ الْآخِرِ : ابْنُ آدَمَ ذُبُّ مَعَ
الضُّعْفِ أَسَدُ مَعَ الْقُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَثْبُتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُرِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
مَلَكَتِكَ . وَاسْتَمَلَ مِنْ عَيْنٍ مَنْ تَعَاشَرُوا وَتَقَفَّدُوا فِي ذَلَّتِ الْأَسُنُ
وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهِ . وَلَا يَحْمِلُكَ أَحْيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّامِ . وَبِالْأَنِينِ يَعْرِفُ أَلَمَ الْجَرْحِ وَاجْعَلْ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا
أَتَاكَ . مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ إِذَا الْفِكَارُ تَجَابُ الْهُمُومَ . وَتَضَاعَفُ
الْهُمُومَ . وَمُلَازِمَةُ الْقُطُوبِ . عَنْوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْخُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ . وَيَشْتُمُ الْعَدُوُّ وَالْعُجَابُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسُكَ
لَا نَكَ تَنْصُرُ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَخْزَانِ عَوْنًا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبَ الْحَزْنَ . وَلَا يَرْعُوِي بِطُولِ عَشِيَّتِكَ
الزَّمَنُ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرَاظَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْقَتْهُ الْهُمُومُ . وَعَشِيقَتُهُ

الْعُمُومُ . وَمَنْ صَغَرَهُ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى لُبِّ
بَصْدَرِ أَلْهَمٍ . وَمَنْ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَكَدُّ فِي الشَّدَةِ وَلَا
يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا فَرْحٌ وَيَتَكَدُّ فِي الرِّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ
(وَيُنْشَدُ) : تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُنْشَدُ) : وَعِنْدَ التَّأْهِ يَمْضُرُ
الْمُتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَائِبُ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
مُخْشِرٌ يَرُضِياعًا . وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذْمُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
مُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَصْغِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيدًا لَكَ فِيهِ
فَلَا يَحْمَلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكَنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
مَدَّ حُودَهُ . فَتَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ
فَصَعَبَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَاسِيَهُ فَبَقِيَ مُخْبَلِّ الْمَشْيِ كَمَا قِيلَ :
إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً فِي مَاضِيٍّ مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
حَسَدًا لِقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
فَأُضِلَّ مَشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا فَلَذَاكَ كَنُوهُ أَبَا بَرِّقَالٍ
وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَذْمُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَسْكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْحُرْمَانُ . وَاسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ
الْهَوَانَ . وَأَبْرُمُوا عَلَى النَّاسِ بِالسُّوَالِ فَمَقْتُوهُمْ وَعَجْزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ
مِنْ وُجُوهِهَا فَلَسْتَرَأَوْا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْذَارَ
لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ . وَلَا تَرِلْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَآخُو الْعِزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ
وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي الْأَبِّ الْحَكِيمِ • وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ • وَالْفُطْنُ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ • وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ خَافِيَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (ملخص عن المقرئ)

طرفة من وصية ابن طاهر لابنه

٩٧ أَمَا بَعْدَ فَعَالَيْكَ بِتَوَى اللَّهِ وَحَدَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عِزَّ وَجَلَّ
وَمُزَايَلَةَ سُخْطِهِ • وَحِفْظَ رِعْيَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ • وَالزَّمَّ مَا أَلْبَسَكَ
مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصِمُكَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ وَيُنْجِيكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَالْإِيمَ عَذَابِهِ • فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ
إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ أَسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ •
وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ • وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ • وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسَبِيلِهِمْ •
وَإِدْخَالَ الرِّاحَةِ عَلَيْهِمْ • وَمُواخِذَكَ بِمَا قَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ
وَمُسَائِلَكَ عَنْهُ • وَمُثِيبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ • فَفَرِّغْ لِدَاكَ
فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَاكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ
وَمَلَاكُ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُؤَفِّقُكَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ • وَلَكِنْ
أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالُكَ الْمَوَاطِبَةُ عَلَى مَا أَفْتَرَضَ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَمِعْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَمَلَتَهُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ
 الْمَرْءُ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَلَحْتُ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعَاصِي الْمَوْبِقَاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزْدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً لَهُ
 وَدَرَكًا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ
 لِأَمْرِكَ وَاهْتِمَامِهِ لِسُلْطَانِكَ وَالْإِثْمَانَةِ بِكَ وَالثَّقَةِ بِعَدْلِكَ . وَعَلَيْكَ
 بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبَيْنَ نَفْعًا وَلَا أَضَرَّ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقَوَامِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِصَادِ . فَآثَرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَابِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْثَارِ
 فِي الْبِرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَافَقَةُ
 أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَطِيعَ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ . فَاتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ وَتَزِدَ مَقْدَرُكَ
 وَتَصْلُحَ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُؤَلِّيهِ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرُهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ أَلْتَّهَمِ بِالْبِرَاءِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ هَاشِمٌ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانُ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ

إِنَّمَا يَكْفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ الْغَمِّ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ مَا يَنْفُصُكَ لَذَاذَةَ عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ مُحْسِنَ الظَّنِّ قُوَّةَ
 وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 مَحَبَّتِكَ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَتَفَرَّدَ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَفَرَّدَ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمُجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَا خُوذُ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ اتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَأَسْلَمُكَ
 بِمَنْ تَسْوِسُهُ وَتَرْعَاهُ نَهَجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى . وَأَقِمَّ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ . وَلَا تَعْطِلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَاعْتَرَمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمُ
 لَكَ مَرْوَتُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأَحْجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَادْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النَّمِيمَةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَأَجَلِهَا تَقْرِيبُ
 الْكُذُوبِ لِأَنَّ الْكُذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ . وَالزُّورُ وَالنَّمِيمَةُ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ
 النَّمِيمَةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَتِمُ لِبُطْعِمِهَا أَمْرٌ . وَأَحِبِّ أَهْلَ
 الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعِزِّ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ . وَوَاسِ الضُّعَفَاءِ وَصِلِ
 الرَّحِمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَاتَّمَسْ فِيهِ

ثَوَابُهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورَ وَأَصْرِفْ عَنْهُمْ
رَأْيَكَ . وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ . وَإِيَّاكَ
وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
مُسَاطُ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقَلَّةِ الْيَقِينِ
بِاللَّهِ وَأَخِاصِ لِلَّهِ وَحَدَّةِ النِّيَّةِ فِيهِ وَالْيَقِينِ بِهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمَالِكَ لِلَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ
وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَهْلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
وَالْمَبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعْمَ اللَّهِ وَإِحْسَانَهُ . وَاسْتَطَالُوا بِمَا
آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّهَ نَفْسِكَ . وَلَكِنْ ذَخِّرْكَ وَكُنُوزَكَ
الَّتِي تَذْخِرُ وَتَكْثُرُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالْمَعْدِلَةَ وَاسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ وَعِمَارَةَ
بِلَادِهِمْ وَالتَّنْقِذَ لِأُمُورِهِمْ وَالْإِغَاثَةَ لِلْمُتَوَفِّهِمْ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمَوُونَةِ عَنْهُمْ سَمَتْ
وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَانَتْ بِهَا الْوُلَاةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ
وَأَعْتَمَدَ فِيهَا الْعِزُّ وَالْمَنْعَةُ . فَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا
يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ . فَتَقَرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ وَكُنْتَ
بِذَلِكَ عَلَى جِبَايَةِ خَرَاكِ وَجَمَعَ أَمْوَالَ رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَهُ . وَكَانَ
الْجَمِيعُ لِمَا شَاءَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِبَاطِعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا
بِكُلِّ مَا أَرَدَتْ . وَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ
وَلَتَعْظُمَ خَشْيَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلُ الْآخِرَةِ فَتَهْتَاوْنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ .
فَإِنَّ التَّهَاوْنَ يُورِثُ التَّقْرِيطَ وَالتَّقْرِيطَ يُورِثُ الْبُورَ . وَلَا تَحْمِرَنَّ ذُنُوبًا
وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا . وَلَا تَأْتِيَنَّ مَذْحًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا . وَلَا تُغْمِضَنَّ
عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا
وَأَعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا سَيَّ
أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَمُهُمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ
عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُنْفِذُ فِي قِوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَالِحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ .
فَأَسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ ذَا الرِّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْخَبِيرَةَ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمَ
بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ . وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ
الْأَلَزِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَدَّاتِ وَأُسْنَدِ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَاكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
يَصْرِفَكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقِفْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
أَسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ .
وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْحُبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنْتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَفَشَتِ الْعِمَارَةُ
بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
وَقَرِيتَ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ
فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ مَرْضِيَّ الْعَدَا . فِي ذَلِكَ
عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدَلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعَدَّةٍ .
فَنَافَسَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمَ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَاجْعَلْ

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَّا لَكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَأَنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ . فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ
 وَالصَّنْعِ فَأَمْضِهِ . وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ .
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ
 أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ . فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنَقِضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ . فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ
 بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَكَثِّرْ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ . وَافْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِيَدِكَ وَكَثِّرْ مُبَاشَرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ . فَإِنَّ لَلْيَدِ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُلْهِيكُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 أَخَّرْتَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ
 اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورُ يَوْمَيْنِ فَيُثْقِلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ . وَإِذَا
 أَمْضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ . وَأَنْظِرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَسْتَيْقِنُ
 صَفَاءَ طَوْبِيَّتِهِمْ وَشَهَدَتْ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنَّصِيحِ وَالْمُخَالَطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ . فَاسْتَحْلِمْهُمْ وَأَحْسِنِ إِلَيْهِمْ . وَتَعَاهِدْ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَأَحْتَمِلْ مُؤُونَتَهُمْ وَأَصْلَحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا حِلَّتَهُمْ مَسًّا . وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

وَمَنْ لَا يَتَذَرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْمُخْتَرِ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَابِ
حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْفَعُ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِيَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ
أَمْرَهُمْ . وَتَعَاهِدُ ذَوِي الْبِأْسَاءِ وَأَيَاتِهِمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَأَجْمَلَ لَهُمْ أَرْزَاقًا
مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَقْدَاءً بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ
وَالصَّلَةِ لَهُمْ . لِيُصْلِحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَهً وَزِيَادَةً
وَأَجْرًا لِلْأَرْضَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَيُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقْ إِسْرَافًا . وَكَثُرَ مُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ
وَمَشَاوَرَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ . وَلَيْكِنْ هَؤُلَاءِ أَتْبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتِهَا وَإِثَارَ
مَسْكَرِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلَيْكِنْ أَكْرَمَ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ
مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَمْنَعْهُ هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ
وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ . فَإِنْ أُولَئِكَ أَنْصَحَ أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرُونَ
لَكَ . وَأَنْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ يَحْضُرُكَ وَكِتَابَكَ فَوْقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقَفًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ
حَوَائِجِ عَمَّا لَكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ
ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّذْيِيرَ لَهُ . فَمَا
كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى
التَّثَبُّتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَمْتَزِ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ
نُؤْيِهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْإِسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَاكَ . وَتَفْقَهُمْ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَكَثْرَ أَنْظَرَفِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ . وَلَيْكُنْ أَكْثَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ
رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِينًا وَلِلذِمَّةِ
وَالْمِلَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَوَلَاءَكَ . وَالسَّلَامُ (لابن الاثير)

وصية محمد الدكدجي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا فَيَكَاَنِي بِكَ فَذَنْبُكَ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتُ حَيْثُ هُمَا وَكَانَا بِأَلْبَا مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا
كَانَا إِذَا مَا أَبْصَرَ بِكَ عِلَّةً
كَانَا إِذَا سَمِعَا أُنَيْنِكَ أَسْبَلَا
وَتَمْنِيَا لَوْ صَادَقَا بِكَ رَاحَةً
فَنَسِيتَ حَتْمَهُمَا عَشِيَّةً أَسْكِنَا
فَلَمْ تَحْقُقْهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ
وَلَتَدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدَّمْتَ فِعْلًا صَالِحًا
فَأَحْفَظْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا
مِنْ شِعْرِ الْمُتَّيَّبِ الْعَبْدِيِّ :

٩٩

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدْ
أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمْ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَأَحِشْهُ فَإِلَّا فَأَبْدَأْ إِذَا حُشِتِ النَّدَمُ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَأَصْبِرْ لَهَا بِنَجَازِ الْوَعْدِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمُّ
 الْكَرِّمِ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ إِنَّ عِرْفَانَ الْفَتَى الْحَقِّ كَرَمُ
 إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبْتُ شَتَمَ
 ١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الشَّقِيُّ يُعْطِي ابْنَهُ بَدْرًا :

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا الَّذِي أَلَبَّ الْحَكِيمُ
 دُمُ الْخَلِيلِ بَوْدُهُ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ
 وَأَعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يُحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مُحَمَّدُ الْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
 وَأَعْلَمْ بِنَبِيِّ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالْتَبَلُ مِثْلُ الدِّينِ تُقَضَاهُ وَقَدْ يُلَوِّى الْغَرِيمُ
 وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
 وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغَنَى وَيَهَانَ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
 قَدْ يُقْتَرُ الْحَوْلُ الْتَقَى وَيُكْثَرُ الْحَقُّ الْإِثْمُ
 يَمْلَأُ لِذَلِكَ وَيُبْتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمُضِيمُ

وَالْمَرْءُ يَجْعَلُ فِي الْحَقِّ قَوْلًا كَلَامًا مَا يُعِمْ
مَا يُجْلُ مَنْ هُوَ لَمْ يَنْوِ نِ وَرَيْبَهَا غَرَضٌ رَجِيمٌ
وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمَشِيمُ
وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسُ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ

نخبة من حكم أبي عثمان بن ليون التيجاني

١٠١

زَاحِمٌ أُولَى الْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةً
وَلَا يَرُدُّكَ عَجْزٌ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقِهِ

الدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ
مَنْ ضَيَّعَ الدَّرْسَ يَرَى هَازِيًا عِنْدَ أَعْتَبَارِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
فِعْزَةُ الْعَالَمِ مِنْ حِفْظِهِ كَعِزَّةُ الْمُنْفِقِ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ لَا مَحَالَةَ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابًّا وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أَخْوَاكَ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالشُّجَّ
وَيَنْشُرُ مَا يُرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلَّنًا وَيُعْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنَّصْحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَّتَا وَيُعْلِظُ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَأتَا
يُسِرُّ إِنْ اتَّصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيُخْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوْ انْتَقَصْتَ
وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي أَحَدٌ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدْتَا

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَانَتْ عَنْهُ أُلُوبِي الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفَرَةٌ عَنْهُ يُبْقِي لَكَ إِنْكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ التَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ الشَّأْنَا
إِنَّ التَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مَنْ أَسَا لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غِنَى

مَنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَرَعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَالِهِ لِنَاطِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوَسُّمُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْدَاءِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النَّفُوسِ بِلَا مَوْنَةٍ وَنَيْلٍ عِزِّ الْأَعْزَاءِ

وَمُسْتَقْبَحٌ مِنْ أَخٍ خُلَّةٌ وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسْتَرْدَلُ
كَأَعْمَى يَخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عِثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَغْفُلُ

خُذِ الْأُمُورَ بِرَفْقٍ وَاتَّسِدْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبٍ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تَوَقَّى الْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ ذُو الرِّفْقِ أَوْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَازَيْتَهُ أَبَدًا بِفِعْلِهِ زِدْتَهُ فِي غَمِّهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطًا

سَرِيَّةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَالُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَاجْعَلْ سَرِيْرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَبْغِيهِ وَبُرْهَانًا

تَثَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لَشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرٍ وَفَكْرٍ
قَبِيحٍ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُخْطِى وَرَجِعَ لِتَثَبَّتِ دُونَ عُدْرِ

نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه

١٠٣

يَا مَنْ يُسَارِي الْعُلَى عَفْوًا بِمَا تَعَبَ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا
هَيَّاهُ تَيْلُ الْعُلَى عَفْوًا بِمَا تَعَبَ
حَوَى نَصِيبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبَ

أَلْحَرْ فِي التَّحْقِيقِ مُعْتَقٌ ذَاتِهِ
وَمَنْ أَقْتَنَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ غَضَبُهُ
فَأَصْحَ لَوْعَظِي وَأَنْفَعُ بِنَصَائِحِي
وَأَمِتْ بِجَهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي
وَعَايِكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَفْتَى
وَأَعْلَمُ أَنَّ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي
وَالْمَرْءُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رِكَضَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيْثُ عَالَمٌ
لَا سِيَّامًا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لِفَتَى
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ
مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
مِنْهُ وَوَفَرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
وَأَجْهَلَ بِبَاقِي الْعُمُرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
تَحِيًّا الْبَصِيرَةَ وَالَّتِي بِمَمَاتِهِ
إِنْ عُدَّتِ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
يَأْتِي الْفَتَى فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
إِلَّا لَوْهَنْ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
يَعْتَدُهُ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
عَيْشُ رَحَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
فَاعْلَمْ بِأَنَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَعْدَمُ مِنْ
إِذَا فَطَمَتْ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمَتْ
وَلَا تُعَنِّفُ إِذَا قَوِّمَتْ ذَا عِوَجٍ
حُلُو الْعِتَابِ وَرَمِ الْعَتَبِ تَزِيجًا
فَأَجْعَلْ لَهُ يَاعْقِدَ الْفَضْلُ تَدْرِجًا
فَرُبَّمَا أَعْقَبَ التَّقْوِيمُ تَعْوِجًا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَائِفٌ غَضَبٍ غَاصِبٍ
إِذَا نَامَتْ الْأَجْفَانُ بِتِّ مُكَابِدَا
فَهَلَّا أَقْتَنَيْتَ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٌ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ الْعِلْمُ وَالْتَقْوَى هِيَ الْبَأْسُ وَالْحُجَى

وَلِلْمَرْءِ أَضْدَادٌ يَرُومُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَادُ شِرَارِهِمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدٌّ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْخِيَارُ لَهُ ضِدٌّ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِخُ قُرْنَاءَ السُّوءِ عِشْرَتُهُ
فَأَحْكُمَ عَلَيْهِ بَانَ الدَّهْرُ قَدْ صَدَمَهُ
كَمْ مِنْ وَجُودٍ إِذَا اسْتَوْضَحَتْ صُورَتُهُ
يَكُنْ قَصَارَاهُ مِنْ إِنَائِهِمْ نَدَمَهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْ لَا خَصَائِصُهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مُحْصُولِهِ عَدَمَهُ
مِنْ الْفَضَائِلِ سَاوَى رَأْسُهُ قَدَمَهُ

نخبة من اراجيز الشيخ السابوري

١٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدَبِّرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
الْوَاحِدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
هَذَا كِتَابُ جَامِعِ الْأَدَابِ
ذِي الْمُنَى وَالطَّوْلِ إِلَهِ الْخَلْقِ
حَبْرَتُهُ بِمَنْطِقِي تَحْمِيرًا
مُفَصَّلٌ مُنْتَظَمٌ الْأَبْوَابِ
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
لَمْ آلُ فِيهِ اُنْصَحَ وَالتَّيْسِيرَا
فِي الرَّأْيِ وَالْأَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ

وَكُلَّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُنْتَجِبٍ يُؤَثِّرُ عَنْ أَهْلِ الْحُجَى وَالْأَدَبِ
وَمَا أَنَّى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبٍ مُسْتَلَحٍّ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى تَحْمُودٍ مَا أَنْشَاهُ
وَيُنْجِيكُمْ الْمَغْفَلَ الْمُغْمُورَا حَتَّى تَرَاهُ أَرْبَا نَحْرِيَا
وَالْمَرْءُ أَنْ يَسْتَكْمِلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعْيشُ سَلَامًا أَحْتَابَا
لَكِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِنَقْضِ الْأَمْرِ وَالْإِبْرَامِ
وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجْرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأَفْطَنُ لِمَصْرِفِ الدَّهْرِ وَالْعَجَائِبِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَالْتَجَارِبِ
كَذَلِكَ مَنْ عَاشَرْتَ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
لَا تَحْمَدُنْ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا بَحْلَبٍ مِنْ بَرَقِهِ إِذَا بَدَا
فَرُبَّمَا أَخْلَقَكَ الطَّرِيقُ بِالْأَمْرِ أَنْتَ بِهِ غَرِيبُ
إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النِّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى اتِّقْصِيرِ أَلْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَذِي غَالِيلِ شَرِّ بِنَاءِ
وَأَنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ فَرُبَّمَا طَلَبْتَهَا فَفَرَّتْ
وَالْأَمْرُ أَنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عَلٍ فَاطْلُبْهُ قَبْلَ فَوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
مَنْ لَمْ يَعْطِ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَتَّعِظْ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
رُبَّ رَحَا دَارَتْ مِنْ يَلِيهَا تَطْحَنُ فِي الْحُرُوبِ مُرَكَّبِيهَا

مَنْ جَاسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحُسَادَا لَمْ يَعْدَمْ الْخَبَالَ وَالنَّسَادَا
 وَوَحْدَةُ الْمَرْءِ بِلَا أَنْيسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ الْجَلِيسِ
 نَاصِحٌ أَخَاكَ فِي الْمَلَمَّاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
 إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَطِنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيحَةِ
 مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدَعْ الصِّدْقَ لَهُ صَدِيقَا
 مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْعَارَا

العلم وحفظ اللسان

١٠٥

أَلَصَّمْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّامِ وَشَهِدْتُ لَهُ بِفَضْلِ الْخَبَرِ
 وَحَارِسُ مَنْ زَلَلَ اللِّسَانَ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنِ الْبَيَانِ
 فَعَذِّبْهُ مُعْتَصِمًا مِنَ الْخَطَا أَوْسَقُ يُفْرِطُ فِي مَا قَرَطَا
 إِنَّ السُّكُوتَ يُعْقِبُ السَّلَامَةَ قُرْبَ قَوْلٍ يُورِثُ النَّدَامَةَ
 اسْتَبْدَلَ الْخُفْيَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
 يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمَهُ مَنْ لَا يَزُمُ قَوْلُهُ رِيْخَطَمَهُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرْخِ مِنْ غَمِّهِ
 مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
 إِسْرَافُ ذِي الْإِطْرَابِ فِي الْمَقَالِ أَضَرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
 لَا شَيْءٌ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ
 إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عَشْرَ لَاشِيءٌ إِنْ لَمْ يَسْتَسْهِ الرَّأْيَ وَالتَّدْبِيرُ
 لَا تُطْلَقَنَّ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنْ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونِ الضَّرَرُ

فَأَقُولُ مَا أَرْسَلْتَهُ عَلَى عَجَلٍ مُّوَكَّلٍ بِهِ الْعَثَارُ وَالزَّلَّالُ
يَا رَبِّ مُحْتَقِرٍ مِنَ الْمَقَالِ يَهِيحُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَالْمُظْطَرَّةُ زَائِغَةٌ سَبِيلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَنْ يَقُولُهَا
لَا تَطْلُقَنَّ فِي مَجْلِسٍ مَقَالَهُ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالَهُ

الصبر

١٠٦

وَالصَّبْرُ فَأَعْلَمُ مِنْ أَعَدِّ الْعُدَدِ عَلَى صُرُوفِ النَّائِبَاتِ أَلْعُودِ
فَأَجْعَلُهُ إِنْ هُمْ أَلَمَ مَعْقِلًا وَأَجْعَلُهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ مَوْزِلًا
فَالْدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارٍ خُتِلَفَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَاءِ صَابِرًا سَالًا كَمَا يَسْأَلُو الْبَهِيمُ صَاغِرًا
فَأَصْبِرْ إِذَا مَا عَصَاكَ الزَّمَانُ فَكُلَّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَعْصِمُ الصَّبْرُ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثٍ
إِذَا أَتَى مَا لَا تَطِيقُ دَفْعُهُ فَالصَّبْرُ أَوْلَى مَا أَقْتَنَيْتَ نَفْعُهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَأَصْبِرْ لِضَيْفِ بَيْتِكَ يَوْمًا تَزَلَا لَا يَلْبَثُ النَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صِدْقُ الْمُنْطِقِ أَكْرَمُ بِهِ أَكْرَمُ بِهِ مِنْ خُلُقِ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَا جِ إِلَى الْفَلَاحِ
شَرَفٌ بِهِ أَخْلَاقُكَ الْكَرِيمَةِ أَسْتُرُ بِهِ حَالَا تِكَ الذَّمِّمَةِ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الْمُتْرُونَ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمَ أَفْضَعَ الْمَسَاوِي
صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى الْمُهَاطِي
مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ
ثُمَّ أَتَى بِالصِّدْقِ لَمْ يُصَدِّقْ
مَنْ عَذِبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ
فَالصِّدْقُ لَيْسَ كَانِئًا مِنْ شَانِهِ
وَأَكْنَةُ الْمُنْطِقِ بِالصَّوَابِ
خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَابِ
لَا تَعْصِيَنَ قَوْلَ ذَوِي التَّجَارِبِ
لَا تَسْتَعِنَ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبِ

المكارم

١٠٨

وَأَنْزِعْ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ
تَمْحُوكَ الْأَعْزَازَ وَالْكَرَامَةَ
أَزِينْ حَايَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ
وَأَجْمَعْ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ
فَارْحَلْ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا
وَأَسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
فَإِنَّهَا تَمْحُوكَ الْفَضَائِلَ
عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالِ
فَكُلُّ مَا أُسْتَحْيَتْ أَنْ يُقَالَ
فَرُضَ عَلَيْهِ النَّفْسَ فِي الْأَعْمَالِ
عَلَيْكَ حُسْنَ الْبَشْرِ فِي الْإِقَاءِ
فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قَبُولًا
فِيكَ فَلَا تَجْتَنِهِ فِعَالًا
يُهْدِي لَكَ الْأَجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا
يَذُودُ عَنْكَ الْهَمَّ وَالْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس وقيل لعلي بن ابي طالب

صَرَمْتُ حَبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ (*) وَالْدَّهْرُ فِيهِ تَصَرُّمٌ وَتَقَلُّبٌ

(*) انما اراد الشاعر بزینب هنا الدنيا وبالغانيات في البيت بعده ما دأبنا

وَكَذَلِكَ وَصَلُ الْغَايَاتِ فَإِنَّهُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَا عَنْكَ مَا قَدَفَتْ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَخْشَى مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلِ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَائِكَةُ حِينَ نَسِيَتْهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أودِعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَاتَّمَعْ هُدَيْتَ نَصَائِحًا أَوْلَا كَمَا
أَهْدَى النَّصِيحَةَ فَاتَّعَظْ بِمَا لَهُ
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوْنُ لَا نَهْ
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غَضَاتِهَا
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْخَفِيرُ مَكَانَهُ
وَيَبْشُرُ بِالترَّجِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَاتَّقِ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرَسَنَّ فَالْجَرِصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ

وَأَزْهَدُ فِعْمُكَ مَرٌّ مِنْهُ الْأَطِيبُ
وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيُّنَ مِنْهُ الْمُتَّهَبُ
وَأَذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَأَبْكِيهَا يَا مُذْنِبُ
لَا بُدَّ يُخْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
أَنْفَاسُنَا بِهِمَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ
سَرَدُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلِّبُ
دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَجْرِبُ
بُرْ نَصُوحٌ لِلْأَنَامِ فَجَرِّبُ
فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوْذِيُّ الْأَدْرَبُ
مَا زَالَ قِدْمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدِّبُ
مَضَضٌ يَذِلُّ لَهُ الْأَعَزُّ الْأَنْجَبُ
قَتْرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُغْنِي
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
وَلَقَدْ كَسَى ثَوْبَ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيصَ وَيُنْعِبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزَمْهَا تَقَرُّ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَمَلْ مِنْهُ الرِّضَا
وَارْعَ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
وَإِذَا بُلِيتَ بِمَكْرَةٍ فَأَصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرْ مُوَاخَاةَ الدُّنْيَى لِأَنَّهُ
وَأَخْتَرُ صَدِيقِكَ وَأَعْظَمُ فِيهِ تَفَاخُرًا
وَدَعْ الْكُذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحَقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحَقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظُ لِسَانِكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنْ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
وَالسِّرَّ فَأَكْثِمَهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا

رَعْدًا وَيُحَرِّمُ كَيْسَرٌ وَيُحْيِي
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
إِنَّ الْمُطِيعَ لِرَبِّهِ الْمُقَرَّبُ
وَأَعْدِلْ دَعَاكَ يَطْبُ لَكَ مَكْسَبُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجَبُّ
بِتَذَلُّ وَاسْتِغَاثَةٍ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَامَا لَا يُنْكَبُ
أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكَرِيهُ الْأَصْعَبُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعْذِي كَمَا يُعْذِي الْأَصْحِيحُ الْأَجْرَبُ
إِنَّ الْقُرَيْنَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكُذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلُّ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغِيبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
ثُرَاتُهُ فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذَا لَا يَنْشَبُ
فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعَبُ
شِبْهُ الزَّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَأَحْذَرُ عَدُوِّكَ إِذَا تَرَاهُ بِاسْمًا
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِلَدَةٍ
فَارْحَلْ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ الْفَضَا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُ مَوَاعِظٍ
فَأَصْغِرْ لَوْعِظٍ قَصِيدَةً أَوْلَا كَهَا
فَالْمِثُّ يَبْدُو نَابُهُ إِذَا يَغْضَبُ
فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَبَّبُ
حُلُو اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَقَلَّبُ
وَيَرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يَرْوَعُ الثَّعَابُ
وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعُقْرَبُ
وَخَشِيتُ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
طُولًا وَعَرْضًا شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبُ
فَالنَّصِيحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
جَاءَتْ كَنْزُهَا الدَّرْبُ بَلْ هِيَ أَعْجَبُ
أَمْثَلُهَا لَذْوِي الْبَصَارِ تُكْتَبُ
طَوْدُ الْعُلُومِ الشَّاحَاتِ الْأَهْيَبُ

لامية ابن الوردی

١١٠

إِعْتَرَلَ ذِكْرَ الْأَغْنَانِي وَالْغَزَلِ
وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَثْرُكَ الْغَادَةِ لَا تُخْفِلُ بِهَا
وَأَفْتِكُرِي فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجُرِ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتُ فَتَى
وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقًا بَطَلًا
وَقُلِ الْفَضْلُ وَجَانِبُ مَنْ هَزَلَ
فَلِأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْلُ
تُمْسِ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَتُجَلُّ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلُّ
كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلُ
جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلُ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطْلُ

كَتَبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
 أَيْنَ مُرُودٌ وَكَنَعَانٌ وَمَنْ
 أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
 أَيْنَ أَرْبَابُ الْحُجَجِ أَهْلُ النُّهَى
 سَعِيدُ اللَّهِ كُلًّا مِنْهُمْ
 أَيُّ بَنِي آتَمَعَ وَصَايَا جَمَعَتْ
 أَطْلَبَ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
 وَاحْتَفَلَ بِالْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
 وَانْهَجَرَ النَّوْمَ وَحَصَاهُ فَمَنْ
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
 فِي أَرْذِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعَدَى
 جَمِلَ الْمُنْطِقَ بِالنَّحْوِ فَمَنْ
 أَنْظَمَ الشَّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي
 فَهُوَ عُتُونٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
 مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةُ
 إِطْرَاحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتِهَا
 عَيْشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
 كَمْ جُهُولٌ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا
 كَمْ سُجَاعٌ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى
 قُلْ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
 مَلِكُ الْأَرْضِ وَوَلِيٌّ وَعَزَلٌ
 هَلَاكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْقُلُلُ
 أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ
 وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ
 حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ
 أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
 تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
 يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرُ مَا بَدَلُ
 كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلُ
 وَجَمَالَ الْعِلْمُ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
 يُجْرِمُ الْإِعْرَابَ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلُ
 فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ الْخَلْلُ
 أَحْسَنَ الشَّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
 وَعَنْ الْبَحْرِ اجْتَرَأْ بِالْوَشْلِ
 تَحْقِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
 عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلُ
 وَعَالِمٌ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَلٍ
 وَجَبَانٌ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

فَاتْرَكَ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكَلَ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ الْفَقْرِ مَا قَدْ حَصَلَ
قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبِي وَجَسَنَ السَّبَكُ قَدْ يُنْفَى الرَّغْلُ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا يَنْبَتُ التَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصْلِ
قِيَمَةِ الْإِنْسَانِ مَا يُجَسِّنُهُ أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمْ أَقَلُ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلِ رُبَّةٍ وَكَأَلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ حَاوَلَ الْعُرْلَةُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ
دَارِ جَارِ الشَّوْءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلُ
جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرِ بَطْشَهُ لَا تَعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
لَا تَلِ الْأَذْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ
إِنَّ يَصِفَ النَّاسَ أَعْدَاءُ لِمَنْ وَلِيَ الْأَذْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
فَقَصِّرِ الْأَمْوَالَ فِي الدُّنْيَا تَفِرْ فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
غِبْ وَزُرْ غِبًّا تَرِدْ حُبًّا مَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَأَ
لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالُ كَمَا لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الظُّفْرِ
خُذْ بِصَلِّ السَّيْفِ وَاتْرَكَ غِمْدَهُ وَأَعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَقْرِ دُونَ الْحُلِّ
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ فَأَعْتَرَبْ تَلَقَّ عَنْ الْأَهْلِ بَدَلُ
فَمُكَّتِ الْمَاءُ يَبْقَى آسِنًا وَمَرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلَ

نونية ابي الفتح البستي

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نَهْمَانُ وَرَبْحُهُ غَيْرَ مُحْضٍ خَيْرُ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ
يَا عَامِرًا لِحِزَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا
زِعَ الْفُؤَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزَخْرِفُهَا
وَأَرَعَ سَمْعَكَ أَمَثَالًا أَفْصَلَهَا
أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحَدَمَتِهِ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فِضَائِلَهَا
وَكَنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا لِنَبِيِّ أَمَلٍ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدْ فِي عَوَاقِبِهِ
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا
مَنْ مَدَّ طَرَفًا بِفَرْطِ الْجَهْلِ مُخْوَهَوًى
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ
مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَوَاقِبِهِ

فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَقْدَانُ
بِاللَّهِ هَلْ لِحِزَابِ الْعُمُرِ عُمُرَانُ
أَنْسَيْتَ أَنْ سُرُورَ الْمَالِ أَخْزَانُ
فَصَفَوْهُمَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْخُرَّ مِعْوَانُ
فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمِنْ هَانُوا
فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
إِلَيْهِ وَالْمَالُ الْإِنْسَانُ فَتَّانُ
وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْخُرْصِ سُلْطَانُ
أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ
عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بَرْهَانُ
نَدَامَةٌ وَلِحْصِدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ

مَنْ اسْتَتَمَ إِلَى الْأَسْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشَرِ إِنَّ الْحُرَّ هَمَّتْ
 وَرَافِقُ الرَّفَقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَغْرُكَ حَظُّ جَرْدِ خَرْقِ
 أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانُ وَمَقْدَرَةُ
 فَالْرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فِغْمَةٍ
 صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ لَا تَهْرِكْ غَالَتَهُ
 دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبَهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرِى مِنْ نَهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالتَّهْ دَوْلَتُهُ
 سَحَابَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِاقِلْ حَصِرُ
 لَا تَوَدِّعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذَلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِيُورِدِهِ
 لَا تَحْدِثَنَّ بِمَطْلٍ وَجَهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقِظِ
 فَلَا تَدَايِرُ فُرْسَانَ إِذَا رَكَضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 وَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ

قَمِيصُهُ مِنْهُمْ صَلِّ وَثَعْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ عَنْوَانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُهُ إِنْسَانُ
 فَالْخُرْقُ هَدَمَ وَرَفِقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَّانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْ أَوْرَاقُ وَأَفْنَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلٌ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَحَابَانُ
 فَمَارِعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ
 غَرَايِزُ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبِرُّ يُجَدِّدُهُ مَطْلُ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التُّضْجِ بُحْرَانُ

كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدَسَ مِنْ عَمَوزٍ
وَذُو الْقَنَاقَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأَلَّفُهُ
حَسْبُ الْفَقْرِ عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ
عَمَّا رَضِيَ عَا لِبَانٍ حِكْمَةٌ وَتَقَى
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ
يَا ظَالِمًا فَرَحًا بِالْعِزِّ سَاعَدَهُ
مَا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُرْغِي سِيرَتَهُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجْجِ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِيًا
لَا تَغْتَبِرْ بِشَبَابٍ رَاقٍ خَضِلُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاعَجْتَ نَفْسَكَ لَمْ
هَبِ الشَّيْبَةُ تُبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا
وَكُلُّ كَسْرِ فَإِنَّ الدِّينَ يُجْبِرُهُ
خُذْهَا سَوَائِرَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةٍ
مَا ضَرَّ حَسَنَاتُهَا وَالطَّعْجُ صَائِغُهَا

فَقِيهِ لِلْحُرِّ قُبَيَّانُ وَغُنَيَّانُ
وَصَاحِبِ الْحِرْصِ إِنْ أَثَرَى فَغَضَبَانُ
فَاطْلُبْ سِوَاهُ فُكُلُ النَّاسِ إِخْوَانُ
إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخَلَّانُ
وَسَاكِنَا وَحْنِ مَالٍ وَطُغْيَانُ
وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَهْرِ يَقْظَانُ
وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقَ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
أَبْشِرْ وَأَنْتَ بِغَيْرِ الْمَاءِ رِيَّانُ
وَأَنْتَ مَا يَنْبَغِي لَا شَكَّ ظَنَّانُ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامُنُ
مِنْ كُلِّهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ نَشْوَانُ
فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
يَكُنْ لِمَالِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
مَا عُدْرَ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصَ وَإِيمَانُ
وَمَا لِكَبْرِ قَنَاقَةِ الدِّينِ جَبْرَانُ
فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّبَيَّانَ تَبَيَّانُ
أَنْ لَمْ يَصْغَهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَانُ

الْبَابُ الْخَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ

مثال في معان مختلفة جمعها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ * عَيَّ صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عَيٍّ نَاطِقٍ * الصَّمْتُ يَكْسِبُ أَهْلَهُ الْمَحَبَّةَ * اسْتَكْثَرَ مِنْ
الْهَيْبَةِ الصَّمُوتُ * النَّدَمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ * يَشْجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أُطْرُقِي وَمِيشِي ٢ * (إِنْ كَشَفَ الْأَمْرَ بَعْدَ اكْتِمَالِهِ) * حَصَّصَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرُّغْوَةِ * صَرَّحَ الْحُضُّ عَنْ الرُّبْدَةِ * أَفْرَحَ الْقَوْمَ
بَيَضَتِهِمْ ٣ * بَرَحَ الْخَفَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) لِلْقَادِمِ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرُدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْلًا
الْعُمَرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفَكَ ٦ * فِي الزَّوْجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالْيَمَنِ *
بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ ٧ * هُنْتُ وَلَا تَهْكَدُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَلَتْ

(*) اعلم ن ما في الحاشية من الشروح كن متصلًا بالأمثال ففصلناه عنها لاتهام السياق

- ١ شبه بالخالب الجاهل الذي يعلب شخبًا في إناء وشخبًا في الأرض
- ٢ أصله أَنْ يُخَلِّطَ الوَبْرَ بالصوف . والمطراق العود الذي يُضْرَبُ بِهِ بَيْنَ مَا خُلِطَ
- ٣ أي أخرجوا فرخها . يريدون أظهور واسرم
- ٤ أي جملك الله كذلك
- ٥ أي أقصاه
- ٦ أي نعم بالك
- ٧ يريد بالرفاء الكثرة (كذا
- ٨ أي أصابك خير ولا أصابك ضرر

في الاصل) . يُقَالُ رَفَأْتُهُ إِذَا دَعَوْتَ لَهُ بِالْكَثَرَةِ

أُمُّهُ ١ * (الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ) * خَوَى نَجْمُهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * بَاخَ مَيْسَمُهُ
وَكَبَا جَوَادُهُ * خَمَدَ ضَرَامُهُ وَنَضَبَ مَاوُهُ * إِنْتَلَمَ رُكْنُهُ وَأَنْهَارَ جُرْفُهُ *
نَقَبَ خِفَّهُ وَدَمِنَ ظِلْفُهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْمُهُ * غَارَ مَاوُهُ وَسَقَطَ
بِهَآؤُهُ * قَرَعَ فِتَاؤُهُ وَصَفَرَ إِنَاؤُهُ * (رَمَى الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمُعْضَلَاتِ) *
رَمَاهُ بِأَقْحَافِ رَأْسِهِ * وَرَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْآثَانِي ٢ * الْعَصِيَّةِ وَالْأَفِيكَةِ ٣ *
كَأَنَّمَا أَفْرَغَ عَلَيْهِ ذُنُوبًا ٤ * (الْمَكْرُ وَالْحُلَابَةُ) * قَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ *
ضَرَبَ أَخْطَاسًا لِأَسَدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : الذَّبُّ يَأْدُو لِلْغَزَالِ ٧ *
(فِي الرَّجُلِ الْمُبْرِزِ فِي الْفَضْلِ) * مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمَذْكِي
حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمُرُ ٩ * جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَافٌ أَوْ غِلَابٌ * لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ
دُونَ الْغَايَةِ الْقُصْوَى * (الرَّجُلُ النَّبِيَهُ الذِّكْرُ) * مَا يُحْجَرُ فَلَانٌ فِي
الْعِيْكُمْ ١٠ * مَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ بِسِرٍّ ١١ * أَشْهَرُ مِنَ الْأَبَاقِ * وَهَلْ

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن : قاتله الله وأخراه الله . ومنه
قول امرئ القيس : ما له لا عد من نفره ٢ يريد قطعة من الخيل يجعل إلى جنبها
الثلثان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه بالبهتان ٤ إذا كلمه كلمة يسكت بها
٥ أي خادعه حتى أزاله عن رأيه . ويروى عن الربيع حين سأل عائشة عن الخروج إلى
البصرة فأبت عليه : فما زال يفيل في الذروة والغارب حتى أجابت
٦ يريدون المناكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرًا جنى عِلَالًا وظل يضرب أخماسًا لأسداس
٧ أي يَحْتَلُهُ لِيُوقِعَهُ ٨ أصله السابق من الخيل ٩ أي كما يسبق الفرس
القارح الحُمُر ١٠ ألعكم الجوالق يريد أنه لا يخفى مكانه
١١ يضرب لكل أمر مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المُنْذَرُ بن ماء السماء
فَضْرِبَتْ مِثْلًا

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ وَمِثْلُهُ : وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّازِرِ الصَّبْحُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فَلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرُ * (الرَّجُلُ الْغَرِيزُ يَغْرِ بِه
 الدَّلِيلُ) * إِنَّ الْبَغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لَا حُرَّ بِوَادِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مَنْ عَزَّ بَرٌّ * مَنْ قَلَّ ذَلَّ * مَنْ أَمِرَ قَلَّ الْأَمْرُ
 أَيُّ كَثُرَ) * (الرَّجُلُ الصَّعْبُ) * فَلَانَ الْوَى بَعِيدُ الْهَيْمَةِ * مَا
 بَلَّغَتْ مِنْهُ بِأَفْوَاقٍ نَاصِلٍ ٤ * مَا يَقَعُّعُ لِي بِالشَّيْءِ * مَا يُصْطَلَى بِنَارِدٍ *
 مَا تَقَرَّنَ بِهِ الصَّعْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ الْخَرِيرُ) * إِنَّهُ لِنِقَابٌ وَإِنَّهُ
 لِعِصْرٌ ٥ * أَنَا جَذَلِيهَا الْحَكَّاءُ وَعَذِيْقَهَا الْمَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ : إِنَّهُ
 لَجَذَلٌ حِكَاكٌ * عَنِتَّةُ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقَرَّعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا أَمْعَى ٩ * مَا حَكَّكَ قَرْحَةً إِلَّا أَدْمَيْتَهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهَ مُقْبِلَةً وَتَظْهَرُ مُدْرِيَةً . وَلَا يَعْرِفُهَا دُفْلَةً إِلَّا الْعَالِمُ الْخَرِيرُ .
 فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْمَجْرَبُ) * إِنَّهُ أَشْرَابُ

١ الْبَغَاثُ صَفَارُ الطَّيْرِ يَسْتَنْسِرُ نَسُورًا ٢ يُرِيدُونَ عَوْفَ بَنِي تَحْلَمَ شَيْبَانِي وَكَانَ
 نَيْمًا مَارِدٌ حَصْنٌ بِدُومَةٍ وَالْأَبْلَقُ حَصْنُ السَّمُوعِ ٣ وَصَدَّ السَّهْمُ كَسُورِ الْفُوقِ
 (السَّاقِطُ النَّصْلُ يَقُولُ : فَيْذَا لَيْسَ كَذَلِكَ ٥ النِّقَابُ الذِّكْرُ وَبَعْضُ الْعَالَمِ الْخَرِيرُ
 ٦ قَالَ الْأَصْبَعِيُّ : الْجَذَلُ تَصْغِيرُ الْجَذَلِ . وَهُوَ عَوْدُ يُنْصَبُ لِلْأَبْلِ الْجَرْبَاءُ لِحَكِّهِ مِنْ
 الْجَرْبِ فَأَرَادَ أَنْ رَأْيَهُ يُشْفِي بِهِ . وَالْعَذِيْقُ تَصْغِيرُ عَذَقٍ . وَالْعَذَقُ بِالْفَتْحِ الْخَلَّةُ نَفْسُهَا . فَإِذَا مَاتَ
 الْخَلَّةُ الْكَرِيمَةُ نَوَامِنْ جَانِبِهَا الْمَائِلُ بَنَاءٌ مُرْتَفَعًا يَدْعُوهُ لِكَيْ لَا تَسْقُطَ فَذَلِكَ التَّرْجِيْبُ . وَصَغُرَ هُمَا لِلدَّحِ
 ٧ وَالْعَنِتَّةُ شَيْءٌ يُعَالَجُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا جَرِبَتْ ٨ وَأَوَّلُ مَنْ فُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا
 سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الْكِنَانِيُّ . ثُمَّ فُرِعَتْ لَهُ مِنْ بَنِي الطَّرِبِ الْعَدَوَانِيُّ . وَكَانَ حَكَمٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبُرَ
 حَتَّى أَنْكَرَ عَقْلَهُ . فَقَالَ لَبْنِيهِ : إِذَا أَنَا زَعْتُ فُقُومِي . وَكَانَ إِذَا زَاغَ فُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا فَيُزَعُّ
 عَنْ ذَلِكَ ٩ وَهُوَ الَّذِي يُصِيبُ بِالظَّنِّ

بَانْتَقَعَ ١ * إِنَّهُ لَحَزَّاجٌ وَلَاحُجٌ * حَابَ الدَّهْرُ أَشْطَرَهُ وَشَرِبَ أَفْأَوِيَقَهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُتَجَدِّسٌ ٣ * أَوَّلُ لَغْزٍ وَأَخْرَقٌ * لَا تَغْزُ إِلَّا بِنِغْلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَا حِمٌ بَعُودٍ أَوْ دَعٌ * أَلْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْحِمْرَةَ . وَقَالَتِ أَلْعَامَةُ : الشَّارِبُ
 لَا يُصْفَرُ لَهُ * (أَلَا يُنْقَالُ مِنْ ذُلٍّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتَ كَرَاعًا فَصِصْتَ
 ذِرَاعًا * كُنْتَ عَنَزًا فَاسْتَيْسَتْ * كُنْتَ بَغَاثًا فَاسْتَسَمَرْتَ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبْنَاهَا مُعْجَبَةٌ * الْقَرْنَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ * (تَشْبِيهُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَامَ * الْعُصْيَةُ مِنَ الْعَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلَ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقَبْلِ . وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شَنِشَنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ ٤ * قَالَ زَهَيْرٌ :

وَهَلْ يَنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا الْتَخْلُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَلْعَامَةِ : لَا تَلِدُ الذِّبَّةُ إِلَّا ذَيْبًا * حَدِّدُوا النِّعْلَ بِالنِّعْلِ
 وَحَدِّدُوا الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ٥ * (الْحَلِيمُ) * إِذَا تَرَا الشَّرُّ فَاقْعُدْ ٦ * وَمِنْهُ .
 الْحَلِيمُ مُطَيَّةُ الْجُهُولِ * لَا يَتَصَفُّ حَالِمٌ مِنْ جَاهِلٍ * آخِرُ الشَّرِّ قَانٌ
 شِئْتَ تَجَلَّتْهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَكَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود الغدير والشر ٢ أي اختر من الدهر خيره وشره . فالشطر هو شطر الحلبة
 والفيقة اسم اللبن حين يمتنع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو الحرب . وأصله من
 التواجد يقال : قد عض على ناجذه إذا استحكمت ٤ يقال هذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه ٥ والقفة الريشة من ريش السهم تحدى على صاحبها
 ٦ أي فاحاسم ولا تسارع إليه

الرَّيْحُ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوفِهِمُ الطَّيْرُ * رَبَّمَا أَسَمِعُ فَأَذَرُ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأَذْنِي
 غَيْرُ صَمَاءَ * (مُداراةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَأَخْلِبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
 إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا أَلِيَّةَ ٢ * سَوْءُ الْأَسْتِمْسَالِ خَيْرٌ مِنْ حَسَنِ الصِّرَعَةِ *
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبَشُّ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَنْفَرُ عَنْهُمْ *
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ : شَرُّ أَرَأَى النَّاسِ مَنْ دَارَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
 شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السِّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
 الْعَلَانِيَةِ * يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَهُ لِشَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تَبْغِضُهُ *
 (الْإِسْتِعْدَادُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ نُزُولِهِ) * قَبْلَ الرُّمِيِّ يَرَأِشُ السَّهْمُ * قَبْلَ
 الرِّمَائَةِ تُلَأُّ الْكَفَّانُ * خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ ٣ * شَرُّ الرَّاْيِ الدَّبري *
 الْحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ * التَّمَقُّدُ قَبْلَ النُّزُولِ * يَاعَاقِدُ أَذْكَرُ حَلًّا *
 خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغَبَّةٌ * لَيْسَ لِلدَّهْرِ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 الْعَوَاقِبِ * (حُسْنُ التَّدْبِيرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخُرْقِ) * الرِّفْقُ بَيْنَ
 وَأَخْرَقُ سُومٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتِ * قَلْبُ الْأَمْرِ ظَهْرًا
 لِبَطْنٍ * وَجْهُ الْحَجَرِ وَجْهَةٌ مَا * وَلِ حَارَّهَا مِنْ تَوَلَّى قَارَّهَا * (الْأَمْرُ
 الشَّدِيدُ الْمُغْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضُمُّ الْخُنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
 كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحُولُ * رَأَى الْكُوكَبَ ظَهْرًا * قَالَ طَرَفَةُ : وَتُرِيهِ
 النُّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ * (هَلَاكُ الْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ الْعَفْءُ * وَطَارَتْ

٢ معناه إن لم يكن حظوة فلا

٣ أي باستقباله قبل أن يُدير

١ يقول : إذا لم تغلب فدار والطُّف

تقصير. وألا يالو ويأتلي وهو (تقصير

بِهِمْ عِقَابٌ مَّلَاعٍ ١ * وَالْمَنَآيَا عَلَى الْخَوَايَا ٢ * أَتَشْتَهُمُ الدَّهْمُ تَرْمِي
 بِالرَّضْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَنَادِي وَلَيْدُهُ ٤ * اِلْتَقَتْ حَاقَتَا الْبَطَانِ *
 وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّبِي وَجَاوَزَ الْحَزَامُ الطَّبِيئِينَ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِينُ
 الْعَظَمَ * (الْيَاسُ وَالْحَنِيْبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
 بِحُجَّتِي حَنِينٌ ٦ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَنِيْبَةِ وَنَظِيرُهُ : سَكَتَ الْفَأْ وَنَطَقَ
 خَلْفًا ٧ * (الْظُّلْمُ تَرَجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَغْوَةً وَقَعَ
 فِيهَا ٨ * يَعْدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتُرُ * عَادَ الرَّمِي عَلَى الزَّرْعَةِ ٩ *
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَأَلْبَاحِثٍ عَنْ مُدِيَّةٍ * رُمِي بِحَجَرِهِ وَقُتِلَ بِسِلَاحِهِ *
 (نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هَلَعٌ وَلَا
 هِلَاعَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ ١٣ *

١ يقال ذلك في الواحد والجمع . وأحسبها معدولة عن ملع ٢ قال أبو عبيد : الخوايا في
 هذا الموضع مركب من مراكب النساء واحدتها حوتة . وأحسب أصلها أن قوماً قتلوا أنفسهم
 ع الخوايا فصارت مثلاً ٣ معناه الداهية العظيمة ٤ معناه أن الأمر اشتد حتى
 ذهبت المرأة أن تدعو وليدها ٥ أي من لي باليسن بعد الشؤم
 ٦ قال الشاعر :

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ مِنْ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
 وَأَدْرَعُ الْخَوْفَ تَحْتَ الدُّجَى وَأَسْتَصْعِبُ النَّمْرَ وَالْفَرَاقِدَيْنِ
 وَأَطْوِي وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْحُمُومِ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِحُجَّتِي حَنِينِ

٧ أي اطلال السكوت وتكلمه بالقبيل . وهذا المثل يقع في باب الي وله ههنا وجه أيضاً
 ٨ والمغارة البير تحفر للذئاب ويحمل فيها جدي يستقط الذئب فيها ليصيده فبصطاد
 ٩ وهم الرماة يرجع عليهم رميم
 ١٠ معناه لا شيء له
 ١١ معناه ليس له أحد يحرب منه ولا أحد يقرب إليه فليس له
 ١٢ وهما الجدي والعناق
 ١٣ وهما الضائفة والمغزة
 ش :

مَا بِهِ نَبْضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبَدٌ وَلَا لَبَدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالدَّارِ دُعْوِيٌّ وَلَا بِهَا دُعِيٌّ ٣ * وَمَا بِهَا مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا بِهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ . وَمَا بِهَا وَارٍ وَمَا بِهَا صَافِرٌ . وَمَا بِهَا دَيَّارٌ وَمَا
 بِهَا نَافِخٌ ضَرَمَةٌ . وَمَا بِهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتَحْجَالُ الرَّجُلِ وَنَفْيُ الْعَالَمِ) *
 مَا يَعْرِفُ حَوْثٌ مِنَ اللَّوْثِ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيُّ مِنَ اللَّيِّ . وَلَا هَرِيرٌ مِنْ عَرِيرٍ .
 وَلَا قَبِيلٌ مِنْ دَبِيرٍ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرَفِيهِ أَطُولُ وَأَكْبَرُ * وَمَا يَعْرِفُ
 مَنْ يَبْرُدُ مِنْ يَبْرُدٍ * وَأَيُّ طَرَفِيهِ أَطُولُ النَّسَبُ أَيْهِ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه آيات ذهب مذهب الامثال وأكثرها للمتنبي والحريري

إِنَّمِمْ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهْنٍ أَوَائِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
 إِذَا أُعْتَادَ أَلْفَتَى خَوْضِ الْمُنَايَا فَاهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمَلُهُ وَلَيْسَ كَلَّ ذَوَاتِ الْعُجَابِ السَّبْعُ
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحَرٍّْ صَالِحٍ بَإَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَزْزِ مَوْلُودُ
 إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَغَى مِمَّنْ تَبَاكَى
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الْمُنْزِلِ الْحَشِينُ

١ قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر. والنبض تحرك الوتر والحبض صوته وقال:

والنبل جهي نبضاً وحبضاً ٢ هما الشعر والصوف ٣ معناه ما جهما من يدعو ومن

يدب ٤ معنى هذا كله ما جهما أحد. ولا يقال منهاشيء في الإثبات

والإيجاب وإنما يقولونها في النفي والحمد ٥ وتقبيل ما أقبلت به ومن

قبل الحبل والدبير ما أدبرت به منه

إِنَّ الزَّرَارِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمَهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادَّرِعْ تَعَبًا
 أَيَا حَجَرَ الشَّخْذِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ
 إِذَا مَا أَلْجُرْحُ رَمَّ عَلَى فِسَادٍ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يُخْرِسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتَهَا
 بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَديقَتَهُمْ يُجْنِي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ صَوَاءُ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
 كَرِيشَةٍ بِهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةً
 كَبُرَ بِلَا نَسَبٍ تِيَهُ بِلَا حَسَبٍ
 لَمْ أَرَدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلِيقٌ يَبْضُرُ لَا يُغَيِّرُهَا
 تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْفَارُضَ بِالذَّلِّ وَاخْتَرَارَاحَةَ الْبَدَنِ
 تَسُنُّ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلُّ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السَّيْفُ قَطَاعٌ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعُ
 وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
 مَصَابُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
 وَلَا بُدُّونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّخْلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدُّودُ
 وَلَا سَمَؤُهُمْ تَهْلُ بِالْدِّيمِ
 وَيُنَكِّرُ الْقَمَّ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلْقِ
 فَخَرُّ بِالْأَدَبِ هَذَا مِنْ الْعَجَبِ
 قَدْ بَلَوْتُ الْمَرَّ مِنْ ثَرَّةِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
 صَرَفَ الزَّمَانَ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذًا
 مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمُنَايَا
 مَا أَنْتَ أَوَّلَ سَارِ غَرَّةٍ قَمَرٌ
 مَا إِنْ يَضُرُّ الْعُضْبُ كَوْنُ قِرَابِهِ
 وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ
 وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفُهُ
 وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ
 وَمَا الْحِدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ
 وَمَا مَنَزَلُ الذَّلَّاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلٍ
 وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
 وَمَا الْحَلِيلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبٌّ
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
 وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرَّانِ يَرَى
 وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي
 وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
 وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
 وَرُبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ

فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولًا
 كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ
 وَرَأَيْدِ اعْتَجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ
 خَلَقًا وَلَا الْبَازِي حَقَارَةُ عُشِّهِ
 فَرَشْتَ لِحْنِهِ شَوْكُ الْفَتَادِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ
 وَلَا فِي زَلَّةِ الْعَبْدَانِ عَارُ
 قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ
 إِذَا لَمْ أَجْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمُ
 وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ يُتِمُّ
 وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرِبُ
 وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْغِرَّ طَيِّبُ
 فَلَا يَذُرُّ الْمَطْيَ بِلَا سَنَامِ
 فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخَبَرُ الْخَبِيرُ
 عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بَدُ
 عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 وَمَنْ الصَّدَاقَةُ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
 وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
 وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَثِيرِ

وَفِي تَعَبٍ مِّنْ يَّجِدُ الشَّمْسُ ضَوْءَهَا
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ
وَقَدْ نَجَّ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا
وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَالِ
وَمَا أُتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ
وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِي أَنَّهُ
وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لَّاحِ بَارِقُهُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَالْهَمُّ يَحْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَاقَةً
وَمَنْ يَنْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ
وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ شِبْلًا
وَالنَّجْمُ تَسْتَغْفِرُ إِلَّا بَصَارُ صُورَتِهِ
وَكَمْ مُضِيرٍ بَعْضًا يُرِيكَ حُجَّةً
وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرْجِيَّةٌ
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحُسَامَ بِضَارِبٍ
وَمَا كُلُّ وَحْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا

وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ أَحْوَمٍ مِنْ جَاءَ تَائِبًا
إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمَطْرُقٍ
إِذَا حَصَّاتٍ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخَصَائِلُ
مَهَامُهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
عَلَى الْمَاءِ خَائِتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
مُضِرُ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شُهْبُ ظِلَامِهِ
وَلَوْ تَرَاءَى هَتُونَ السَّكْبِ تَجَاجَا
لَا تَلْتَطِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْدُ
وَلِشَيْبٍ نَاصِيَةِ الصَّيِّ وَبِهِرْمٍ
فَلَا بُدَّ أَنْ يَلْفِي بَشِيرًا وَنَاعِيًا
وَمَبْدَأُ طَالِعَةِ الْقَمَرِ الْهِلَالُ
وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ
وَفِي الزَّنْدِ نَارٌ وَهُوَ فِي اللَّسِّ بَارِدٌ
وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَتَرَنَّمُ
وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْبِرَاقِ بِكَاتِبٍ
وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارًا

يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَ يَبُوحُ
يَا جُلَّ مَا بَعْدَتْ عَلَيْكَ بِإِلَادُنَا وَطَلَابُنَا فَارْعُدْ بِأَرْجَمِكَ وَأَبْرِقْ
يَمْرُوعِي وَعِيدُ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْيُسُفِيِّ ذُبَابُ
يَلْمَازِكِ وَالْعَسَلُ الْمُصْفَى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ أَلْفَعَالِ الْعَلَقَمِ

نخبة من تغريد الصالح لابن حجة الحموي

١١٤

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التَّهْمَةَ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَةِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ الْعَطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَقْتَرِرْ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامَةِ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالْدَّهْرُ الْقَدَرُ وَالصَّفْوَلَا بَدَلُهُ مِنَ الْكَدَرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانُ
وَمَوْجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاوَدَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ فَالْأَيْدِي تَقْصُرُ وَاحْتَرَزْ أَنْ تَهْلِكَ
وَأَضْعَفُ الْمُلُوكِ طُرًّا عَقْدًا مَنْ غَرَّهُ السَّلَامُ فَأَقْصَى الْجُنْدَا
لَا تَيَاسَّنْ مِنْ قَرَجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٌ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفٍ
تَنَالُ بِالرَّفْقِ وَبِالتَّائِي مَا لَمْ تَنَلْ بِالْحَرْصِ وَالتَّعْنِي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقِرٌ قُرْبًا أَسَاتِ الدَّمِ الْإِبْرَ

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ وَسَمِجٌ عَنْوَانُهُ مَلِيحُ
 فَالْعَاقِلُ الْكَامِلُ فِي الرِّجَالِ لَا يَنْشِي لِرُخْفِ الْمَقَالِ
 مَا طَابَ فَرَعُ أَصْلِهِ خَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ مَجْدِهِ حَدِيثُ
 وَابْنِي فَأَحْذَرُهُ وَخِيمُ الْمُرْتَعِ وَالْعَجْبُ فَأَتْرُكُهُ شَدِيدُ الْمَضَرِ
 وَالْعَدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْعَى الْعَهْدَا

من قصيدة ابي العتاهية المثلثة

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجَدَّ مَسْدَةُ الْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
 يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَرْتَمِنُ الرَّأْيُ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
 مَا عَيْشَرُ مَنْ آفَتَهُ بَقَاؤُهُ نَقَصَ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاوَهُ
 يَارُبَّ مَنْ أَسْخَطَنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَنْ لَكَ بِالْمُحْضِ وَكُلُّ مُمْتَرَجٍ وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَخْتَلِجُ
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمُحْضِ وَلَيْسَ مُحْضٌ يَجْتُبُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
 عَجِبْتُ حَتَّى عَمِي السُّكُوتُ صِرْتُ كَأَنِّي حَارٍ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلَيْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِشَارَاتِ

الملك المتروى

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذُووُ الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ التُّجَّارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ مُحَايِلُ السَّعَادَةِ
مِنْ جَبِينِهِ لَا نَحْجَةَ . وَرَوَائِحُ النَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَالِهِ فَأَحْبَبَهُ . فَلَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمُتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيِيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهُوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنَاءِ مَرَامٍ . وَأَغْلِبَ عَيْشَ وَمَقَامٍ . الْمَاءُ رَاقٍ . وَالْهُوَاءُ
مُوَافِقٌ . وَالنَّيْكَ مُفَارِقٌ . وَالسُّرُورُ مُرَافِقٌ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسْفِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي السَّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتُبَارِي الدَّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتْ . وَالْأَمْوَاجِ مَاجَتْ . وَأَشْبَاحُ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادُ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْفَاءِ تَلَاطَمَتْ . فَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شِمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ . وَرَقِمَ نَقْشَ الْحُرُوفِ فِي الْوَاحِ
السَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهُوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ يَمْنُ فِيهِ مِنَ الْأَعْصَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يَسَامُونَ . لَا أَفْلَاكَ
وَيُنَاجُونَ الْأَمْلَاكَ . وَطَوْرًا يَهْطُونَ الْغُورَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثُّورِ .

وَرَبَّمَا مَرْقُومًا مِنْ تَحْتِ الزَّوْرِ . فَلَمْ يَزَالُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى مُسْكَارَى
وَمَا هُمْ بِمُسْكَارَى يَتَنَاشِدُونَ :

وَفَلَاكُ رَكْبَانَهُ وَالْبَجْرُ ذُو هَوَاءٍ فَشَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطُورًا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطُورًا رُمِينَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهَا أَنْحَدَارَا
وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ السَّفِينَةُ الرِّيحُ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا
فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَجْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَعَلَّقَ الْغُلَامُ
بِلَوْحٍ مِنَ الْوَاحِيهَا . وَاسْتَمَرَّ تَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ . وَاصْطَدِمَ بِهِ أَشْبَاجُ
الْبَجْرِ أَلْهِيَّاجٍ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبٌ نَاجِلٌ .
وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَافِكُهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى فَمِ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَّةِ . وَهَدَايَةُ اللَّهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَتَتْهُ بِهِ
الْمُسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَأَى لَهُ سُودًا كَبِيرًا . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوِلَايَةً
جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدٍ مَدِينَةً . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءُ
وَرِجَالٍ . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طُيُولٍ تُضْرَبُ
وَفَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزَمْزُورٍ تَرَعُقُ . وَالْأَسِنَّةُ بِالْثَنَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا
وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَاكْبُؤَا بَيْنَ يَدَيْهِ . يَقْبَلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .
مُسْتَبْشِرِينَ بِرُؤُوسِهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَاعَتِهِ . ثُمَّ الْبَسُوهُ الْخُلْعَ السَّنِيَّةَ .
وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلِيَّةً . بِكُنُوشٍ ذَهَبٍ . وَسَرَجٍ مُغْرَقٍ . وَوَضَعُوا

لَهُ التَّاحَ عَلَى الْمَرْقِ . وَمَشَوْا فِي الْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَابُ فِي
 الْمَوَاجِ تَجَرُّ لَدَيْهِ . يَنَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَاعَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَشُوا
 شَتَّى الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النَّشَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَأَطْلَقُوا
 تَجَمُّرَ النَّارِ وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
 وَالْأَمِيرُ وَالْمُسْتَوْدَعُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتَ قُدُومَ الْبَدْرِ بَيْتَ سَعُودِهِ وَأَمْرُكَ فِينَا صَاعِدٌ كَصُعُودِهِ
 (قَالُوا) : إَعْلَمُ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُنَّا
 عِبِيدُكَ . وَتَابِعُ مُرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَخْتَارُ . وَتَحَكَّمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصَّغَارِ . وَأَمْرٌ فَا مِثَالُ أَمْرِكَ عَلَيْنَا مَحْتَمُومٌ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَقَامٌ مَعْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَأِهِ . وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكُونِ سُدى . وَإِنَّ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدِيرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يَقْدِرْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُحْدِثْ حَدَثًا . لِعِبَادٍ وَلَا عِبَاءَ . وَجَعَلَ يَلْزِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّعْمَةِ . مُلَازِمٌ بَابَ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ . وَاضِعٌ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
 وَمُنَاصِبٍ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُتَنَبِّتٌ إِلَى أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَالسُّوْيَةِ . مُتَعَهِّدُ أُمُورِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ
 الْمُبَارِّ . مُؤَيِّسُ قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ وَالسَّاطِنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ
 مَهْمَا أَمَكْنَهُ . مُتَحَيِّصٌ عَنْ مَصَالِحِ الْمَمْلَكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَادَ
 الْوِظَائِفَ مَا يَنْتَضِي مَسْلُكُهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلِيكَ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى شَابٍ جَلِيلٍ الْبَرَاةِ . لَهُ فِي سُوقِ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ .
 مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَحَلٍّ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا .
 وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَعَمَلٌ بِالْإِطْفَافِ وَيَرْضِيهِ . وَيُكْرِمُهُ وَيُذْنِبُهُ .
 وَيَفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَائِسِ الْإِنْعَامِ . وَخَلَعَ الْإِفْضَالَ وَالْإِكْرَامَ . مَا مَلَكَ
 بِهِ حَبَّةٌ قَلْبِهِ . وَاسْتَصَفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلَبَّيْهِ . وَسَكَنَ فِي سُوَيْدَائِهِ .
 وَتَسَكَّنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرٍ أَحْشَاءُهُ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خُطَابِهِ .
 وَاسْتَنْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ أَمْرَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَاطِنَتِهِ
 مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا اسْتَحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ
 الْمُلْكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السَّاطِنَةِ لَهُ فُؤَادٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يُهْدِيهَا . وَلَا
 رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْلِي بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْدِيئِهَا . فَقَالَ
 ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَ
 وَعَسَاكِرَ إِقْلِيمِهَا وَجُنْدُهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَضْطَحُوا عَلَى عَادَةِ مُجْرَى .
 سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُتِمِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ .
 يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِهِ هَذِهِ
 الْمَسَالِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ . يُدْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ . فَيَسْتَسْأِلُونَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُوكَ . وَيَسْأَلُونَ مَعَهُ
طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ . مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً .
فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةً . فِي هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
الْمَعْدُودُ . وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ . عَمِدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْسَكانٍ وَمَسْكانٍ وَعُلُقَةٍ وَنَسَبٍ . وَإِخَاءٍ وَنَسَبٍ . وَثَبَّتْ
لَهُ أَوْتَادُ . وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادُ . جَرُّهُ بِرَجْلِهِ مِنَ التَّخْتِ . وَسَلْبُوهُ
ثَوْبَ الْغِزَّةِ وَالرَّخْتِ . وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ الدَّلِّ وَالنَّكَالِ . وَأَوْثَقُوهُ
بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلالِ . وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ . وَسَأَمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ يُوصِلُونَهُ إِلَى ذَلِكَ
الْجَانِبِ . فَيُوصِلُونَهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ . وَهُوَ فَقِيرٌ غَبَرٌ . لَيْسَ بِهِ أُنَيْسٌ وَلَا
رَفِيقٌ . وَلَا جَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ . وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ . وَلَا نَشْوٌ وَلَا نَمَاءٌ .
وَلَا مُغِيثٌ وَلَا مُعِينٌ . وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ . وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْكَانٌ .
عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمَرَانِ . وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظِلِيلٌ . وَلَا إِلَى الْخُلَاصِ
سَبِيلٌ . وَلَا إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ دَلِيلٌ . فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ فَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
أَنْ يَبْلُغَ عَطْشًا وَجُوعًا . لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا . ثُمَّ
يَسْتَأْنِفُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ . مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ . فَيَخْرُجُونَ بِالْأُهْبَةِ
الْكَامِلَةِ . إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّابِلَةِ . فَيَقِصُّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا .
فَيَمْلَأُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا . وَهَذَا أَدْبَاهُمْ وَدِينُهُمْ .
وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ . فَقَالَ ذَلِكَ الْعُلَامُ الْفَلَحُ . لِذَلِكَ

الْوَزِيرُ الْمُصْلِحُ : فَهَلِ اطَّلَعَ أَحَدٌ مِّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْثَمِ .
 قَالَ كُلُّ شَيْءٍ عَرَفَ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السُّلْطَانَةِ يُلْهِمُهُ . وَسُرُورُ اتِّحَاكُمُ وَالْتِسَاطِ يُطْغِيهِ . وَحُضُورُ اللَّذَّةِ الْخَاصِلَةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَيْقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامُهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ الْبَلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَعِثُّ . وَلَا مُعِثُّ .
 وَيُنَادِي الْخُلَاصَ . وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْغَلَامَ . هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَّ
 خَيْرَهُ وَشَرَّهُ . وَيَتَدَبَّرَ حَالَهُ . وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَاكَ هَالِكٌ أَلَا بَدَ . وَلَمْ يَشْعُرْ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الْخُلَاصِ . وَالتَّصَيُّ مِنْ شَرِّ الْإِقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْحَبِيرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنَّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضِمًّا وَضِيرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُجَيِّبُهَا . وَيَدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ الْبَلَاءَةِ الَّتِي وَقَعْتُ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةٌ
 تَخْلُصُ . مِنْ هَذَا الْمُقْنَصِ . إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَنَائِينَ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالنَّجَّارِينَ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُسَيِّدُوا لَنَا فِيهَا أَمَاكِنَ مَكِينَةً .
 وَتَحَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَتَمْلَأَهَا مِنَ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبِ .
 وَالْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَّةِ . وَلَا تَغْفُلَ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجَيِّنَ لِإِهْمَالٍ وَالْإِهْمَالِ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَشْكَارِ وَالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ . إِذْ

أَوْقَاتُنَا مُحْدُوْدَةٌ. وَأَنْفُسُنَا مُعْدُوْدَةٌ. وَسَاعَةٌ تُتَمِّضِي مِنْهَا غَيْرُ مُرْدُوْدَةٍ.
يُحِثُّ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّبَارِ. وَطُرِحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْقَفَارِ. وَجَفَانَا
الْأَصْحَابُ. وَتَخَلَّى الْأَخْلَاءُ عَنَّا وَالْأَحْبَابُ. وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفَ وَالْأَوْدَاءَ.
وَأَحْتَوَشْنَا فِي تِلْكَ الْبَيْدَاءِ. فَنُؤْنُ الدَّاءَ. نَحْمَدُ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ. فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. وَاخْتَارَ
مِنَ الْبَنَائِينَ جَمَاعَةً. وَأَحْضَرَ الْمَرَكَبَ. وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ.
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يَمْدُهُمْ بِالْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ. عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَاءُونَ الْعِمَارَةَ. وَكَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
وَدَارَهُ. وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَطْيَارُ. وَيَتَرْتَمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْهَزَارُ. وَغَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوْلَهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوَهَادَ
وَالثَّرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ. وَنَفَاسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِنِ. وَجَهَّزَ الْحَدَمَ وَالْحَشَمَ. وَصَنُوفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النِّعَمِ.
فَمَا أَنْقَضَتْ مُدَّةَ مُلْكِهِ. وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلْكِهِ. إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
تَأَقَّتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاقَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفِزٌ لِلرَّحِيلِ. وَرَايَضُ
لِلنَّهْرِضِ وَالنَّخْوِيلِ. فَلَمَّا تَكَامَلَ لَهُ فِي الْمَلِكِ الْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُ. مِمَّنْ كَانَ يَفْقِدِيهِ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنَصُوحِهِ.
وَمَنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشِيهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِجَذْبِهِ
مِنَ السَّرِيرِ. وَزَرَعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ.

وَسَلْبُوهُ تَمْلِكْتُهُ الْعَظِيمَةَ . وَزَالَتِ الْحُشْمَةُ . وَالْكَلِمَةُ وَالْحُرْمَةُ . وَشَدُّوا
وَنَاقَهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدْمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ الْحُشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ . وَدَقَّتْ
الْبَشَائِرُ لِمَقْدَمِهِ . وَحَلَّ فِي سُرُورِهِ الْمُقِيمِ وَنِعَمِهِ . وَاسْتَمَرَّ فِي أَتَمِّ سُرُورِهِ
وَاسْتَقَرَّ فِي أَوْفَرِ حُبُورِهِ (مُلَخَّصٌ عَنْ فَكْهَةِ الْخُلَفَاءِ لِابْنِ عَرَبْشَاه)

منجبة

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي
المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخَّرَ جَنِي الْفَكْرِ يَوْمًا لَا أَنْظُرَ مَا أَحْدَثَتْهُ أَيْدِي الْقِدَمِ فِي
الْحَدَثِ . وَأَوْجَدَتْهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ لَا لِلْعَبَثِ . فَأَتَتْهُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ نَسِيمُهَا . وَنَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَّى عَنْدَ لَيْبِهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا . وَتَبَلَّغَتْ بِلَالِهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَفْطَارُهَا . وَتَنَمَّطَتْ أَزْهَارُهَا . وَصَوَّتَ هَزَارُهَا .
فَقُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
اسْتَصْحَبْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لِطَيْبِ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَنَادَانِي لِسَانُ
الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أَتُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ مُجِيبًا أَفْصَحَ مِنِّي .
وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ حَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِدُنُو أَرْتِحَالِهِ . فَاسْمَعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ تَشْرُهُ صَاعِدُ
 فَطُورًا يَنُوحُ وَطُورًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْفَاعِدُ الْوَاجِدُ
 وَسَكَبُ الْقَمَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَ غُصْنُهُ الْمَائِدُ
 وَنُورُ الصَّاحِ وَنُورُ الْأَقَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
 وَوَفَى الرِّيعُ بِمَعْنَى بَدِيعٍ يَتَرَجَّمُهُ وَرَدُّهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لَاجِلِكَ مُسْتَبْطَأٌ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاوِدُ
 وَكُلُّ لَإِلَآئِهِ ذَاكِرٌ مُقَرُّ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى آيَتِهِ وَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ قَوْلُ مَا سَمِعْتَ هَهْمَةً النَّسِيمِ . يَتَرَجَّمُ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانِ حَالِهِ . مُفَصِّحًا عَنْ سَقَمِهِ وَاتِّحَالِهِ : أَنَا لَيْزُ الْأَعْطَافِ . هَيْنُ
 الْأَنْعَاطِ . سَرِيعُ الْإِثْلَافِ . يَعْتَرِفُ بِطُغْيَانِ ذُووِ الْأَلْطَافِ . وَلَوْ لَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ جَافَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَاءِي . سَبَبُ
 إِغْوَاءِي . بَلْ اخْتَلَفَ فِي النُّصُولِ الْأَرْبَعُ . لِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ وَأَنْفَعُ .
 نَاهِبُ فِي الرَّبِيعِ شَمَالًا فَاتَّقِ الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلْ فَضْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
 وَأَهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَاً فَأَتِي الثَّمَارَ . وَأَصْفِي الْأَشْجَارَ . وَاهْبُ فِي
 الْحَرِيفِ جَنُوبًا فَتَأْخُذْ كُلَّ ثَمَرَةٍ حَدَّ طَبِيعِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيبِهَا .
 وَاهْبُ فِي الشِّتَاءِ دُبُورًا لِيَخْفَ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمْلُهَا . وَيَجْفَ وَرْقُهَا
 وَيَبْقَ أَصْلُهَا . فَأَنَا الَّذِي تَنْمُو فِي الثَّمَارِ . وَتَرْهُوِي الْأَزْهَارُ .

وَتَسْلَسَلُ بِي الْأَنْهَارُ . وَتَلْقُ الْأَشْجَارُ

إشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّحَارِيرِ بِأَفْنَانِهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
 إِذْ قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرُودِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهوْدِهِ .
 وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أَوْ زُرْ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
 فَأَعْتَمُوا وَقْتِي فَأَلَوْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا الزَّائِرُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمَعُ
 فِي بَقَاءِ زُورٍ . ثُمَّ مِنْ عَلَامَةِ الدَّهْرِ الْمَكْدُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَمْرُورِ .
 أَنَّنِي حَيْثُ مَا نَبَتْ دَائِرُ الْأَشْوَالِ تَزَاهِيَنِي . وَتُجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
 الْأَدْعَالِ مَطْرُوحٌ . وَبَيْنَ بَالِ شَوْكِي مَجْرُوحٌ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
 يُلُوحٌ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُ الْأُورَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
 سَلِمَ مِنَ الْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا فَقَدْ بَلَغَ الْمُرَادَ . فَيَدْنِمَا
 أَنَا أَرْفُلُ فِي حُلْلِ النَّضَارَةِ . إِذْ أَقْتَطِفْتَنِي أَيْدِي النَّظَارَةِ . فَأَسْأَلْتَنِي
 مَنْ بَيْنَ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
 كَبْدِي . وَيَمْزُقُ جِلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمْعِي الْبُكَاءُ . فَلَا يُقَامُ بِأَوْدِي :
 فَإِنْ غَبَتْ جِسْمًا كُنْتُ بِالرُّوحِ حَاضِرًا . فَقَرْنِي سَوَاءٌ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالْبُعْدُ
 وَبِاللَّهِ مَنْ أَضْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

إشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ السَّيْمُ بِسِرِّهِ .
 وَكَشَرَ السَّحَابُ عُقُودَ دُرِّهِ . وَتَضَوَّعَ الْبَهَارُ بِذَخْرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرَّبِيعُ

بَقَا لَيْدِ فَخْرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدُ عِذَارَهُ . وَسَحَبَ عَنِ الرُّوضِ الْأَنِيقِ
 أَزْهَارَهُ . فَقَمَّ بِنَا نَتَرَجَّحُ . وَنَتِيهِ بِحُسْنِنَا وَنَتَبَرَّجُ . فَأَيَّامُ السُّرُورِ نَحْتَلِسُ .
 وَأَوْقَاتُهُ بِأَمْرِهَا نَحْتَسِسُ . فَلَمَّا تَبَعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِينَ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرَّيَّاحِينَ . بَيْسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جَمَعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلْتَ . فَقَدْ
 زَلْتَ عَنْ شَيْمِ الْأَمْرَاءِ . بَعْدَ تَأْمَلِكِ الصَّوَابِ مِنَ الْآرَاءِ . فَمَنْ
 الْمَصِيبُ إِذَا زَلَلْتَ . وَمَنْ الْهَادِي إِذَا ضَلَلْتَ . تَأْمُرُ بِاللَّهِ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى النَّزْهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرَ الرَّعِيَّةِ . صَاحِبَ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُحِبُّكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَاطَيْلُ غَضَبِكَ . وَأَخْضَرُ أَوْرَاقِكَ . وَأَكْرَمُ
 أَعْرَاقِكَ . فَأَيَّامُ الشَّبَابِ سَرِيعةُ الزَّوَالِ . دَارِسَةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْحَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ . أَخْضَرُ الْجِلْبَابِ وَالشَّيَابِ .
 مُخْتَلَفُ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشْمُ
 وَيَذُبُّ . وَيُحَوِّلُ خِطَابَهُ وَيُنْقِلُ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتَجْدُ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّالِمُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيسَةٌ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ نَصَحْتُكَ وَالسَّلَامُ

إشارة الترجس

١٢١ فَأَجَابَهُ أَلْ تَرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِمُنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَتَمِيرُهُمْ وَمُنَادِيهِمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِيهِمْ .
 أَعْلَمُ مِنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْخِدْمَةِ . أَشَدُّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي .

وَأَوْتَقَ بِالْعَزِيمَةِ شُرْطِي . وَلَا أزالُ وَإِقْفَاعِي قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةُ
 مَنْ خَدَمَ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جَلَّاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى النَّدِيمِ رَاسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طِيبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِعَهْدٍ مَنْ وَصَّيَنِي بِنَاسِي . وَلَا
 عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَاسِي . وَكَاسِي بِصَفْوَةِ لِي كَاسِي . بُنِيَ عَلَى قَضْبِ
 الزُّرْدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ اللَّجَيْنِ وَالْعَسْجِدِ لِبَاسِي . أَسْمَعُ تَقْصِيرِي
 فَأُطْرِقُ إِطْرَاقَ الْحَجَلِ . وَأَفْكَرُ فِي مَصِيرِي فَأُحْدِقُ لِهُجُومِ الْأَجَلِ .
 فَأُطَارِقُ اعْتِرَافُ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظْرًا إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قَتُّ مِنْ ذُلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطَرِّقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلَلِي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْأَقَادِمِ غَدًا نَافِعِي عَامِي وَلَا عَمَلِي
 مُقْلَتِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

إشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارَ إِلَى طَرَبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَمَتَّأَيْلِهِ دُونَهُمْ . لَا مَوْهَ
 عَلَى كَثْرَةِ تَمَّأَيْلِهِ . وَعَنْفُوهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَمَتَّأَيْلَ هُنَالِكَ الْبَانُ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُذْرِي وَبَانُ . فَمَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَّأَيْلِ أَغْصَانِي .
 وَاهْتِرَازِ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأُظْهِرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زَخَافَهَا . وَأَهْدَتُ لِي سَمَاتِ الْأَسْحَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ . وَحَانَ وَرُودُ وَرْدِي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

وَالِى الْبَرْدِ وَقَدْ شَرِدَ . وَالِى الزَّهْرِ وَقَدْ اَتَقَدَ . وَالِى الْحَبِّ وَقَدْ اُنْقَدَ .
 وَالِى الْغُضَنِ الْيَاسِ وَقَدْ كَسِيَ بَعْدَ مَا اُنْجَرَدَ . وَالِى اخْتِلَافِ
 الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ اَتَّحَدَ . فَأَعْلَمُ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
 وَصَاحِبُهَا صَمَدٌ . وَمَوْجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدِ اُنْفَرَدَ . فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
 يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَحَدٌ . وَلَا يَشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . فَهَذَا لَكَ تَمَآلَيْتَ قُدُودِي .
 طَرَبًا بِطَيْبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّلْتَ بِلَابِلِ سُعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
 ثُمَّ تَذَرِكُنِي عِنَايَةً مَعْبُودِي . فَأَفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
 مَقْصُودِي . فَأَنْعَطُ عَلَى الْوَرْدِ فَأُخْبِرُهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ
 بُرُودِي . وَأَسْتَخْبِرُهُ أَيْنَ مَقْصِدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
 كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِجُمُرَةِ
 خُدُودِي . فَهَلُمَّ تَجْعَلْ فِي النَّارِ وَقُودَكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
 وَخُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْإِتْلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالتَّلَافِ .
 فَلَيْسَ لِلْخِلَافِ خِلَافٌ . فَتَحْتَطَفُ عَلَى حُكْمِ الْوِفَاقِ . وَتَحْتَطَفُ مِنْ بَيْنِ
 الرِّفَاقِ . فَتُصْعَدُ أَنْفَاسُنَا بِالْأَحْتِرَاقِ . وَتَقَطُرُ دُمُوعُنَا بِالْإِشْفَاقِ . فَإِذَا
 فَنِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غَدُونَا وَرَوَاحِنَا

إشارة البنفسج

١٢٣ فَنَفَسَ الْبَنْسَجُ نَفْسَ الصُّعْدَاءِ . وَتَأَوَّهَ تَأَوَّهُ الْبُعْدَاءِ .
 وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
 كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَهْدًا . وَأَكْتَسِي بِالْخَوْلِ أَثَوَابًا جُدْدًا . أَفَنَتْنِي

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرَتْنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقْتُ لِي جِدًا
وَلَا جَدًا . فَمَا أَقْصَرَ مَا قَصَّيْتُ عَيْشًا رَعْدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقِيتُ يَابِسًا
مُجَرَّدًا . وَجَمَلَةُ خُصُولِي . أَنَّنِي أُوْخِذُ أَيَّامَ خُصُولِي . فَأَقْطَعُ مِنْ أَصُولِي .
وَأُمنَعُ مِنْ وَصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَّقَوْنَ عَلَى ضُعْفِي . وَيَعْسِفُ بِي مَعَ تَرْفِي
وَلَطْفِي وَظَرْفِي . فَيَتَنَسَّمُ بِي مَنْ حَضَرَ نِي . وَيَسْتَحْلِسُنِي مَنْ نَظَرَ نِي .
ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أَسَامَ بِالْجَنَسِ سَوْمٍ . وَيُعَادُ
عَلَيَّ بَعْدَ الشَّاءِ بِاللَّوْمِ . فَأَمْسِي مِمَّا لَقِيتُ مَعْمُوكًا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَابِسًا . وَمِنْ النَّضَارَةِ آئِسًا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
مَنْ هُوَ لِلْحَكَمِ يُعَانِي . فَيَقْشَرُ بِي الْأَوْرَامُ الْفَاشِيَّةُ . وَتُلَيِّنُ الْأَلَامُ
الْقَاسِيَّةُ . وَتُلَطِّفُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَالِيَّةُ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَدْوَاءُ
الْعَادِيَّةُ . فَالْنَّاسُ مُتَعَوِّذُونَ بِيَا بَيْسِي وَرَطْبِي . جَاهِلُونَ بِعَظَمِ خَطْبِي .
غَافِلُونَ عَمَّا أُوْدِعَ بِي مِنْ حِكْمِ رَبِّي . وَإِنِّي لِمَنْ يَتَذَكَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنْ
أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أَدَّكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أَرْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْبَسْفِجِ إِذْ غَدَا يَحْكِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَعْصَانِهِ
جَيْشًا طَوَارِفُهُ الزَّبْرَجْدُ رُصِّعَتْ أَحْجَارُ يَأْقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ بِجَلَادَةٍ شِلَتْ رُؤُوسَهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

إشارة للخرام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْخِرَامُ . مَا يُكَابِدُهُ الزَّهْرُ مِنَ الْقَيْدِ وَالْإِلْتِرَامِ .
فَإِنَّهَا مَا يُضَامُ . وَيُنْثَرُ بَعْدَ النِّظَامِ . وَبِالْثَّمَنِ الْجَنَسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَاشِرُ اللَّسَامَ . وَلَا أَتَمَعُ قَوْلَ اللُّوَامِ . وَأُلْزِمْتُ مِنْ
 بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ .
 أُرَافِقُ الْوَحْشَ فِي النِّقَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْقِفَارَ . أَحِبُّ الْحُلُوتَ .
 وَأَسْتَوِطُنُ الْفُلُوتَ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَافِلِ . وَلَا تَقْطِفُنِي أَيْدِي
 الْأَسَافِلِ . وَلَا أُحْمِلُ إِلَى اللَّاعِبِ وَالْهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
 تَجِدُنِي فِي أَرْضٍ نَجْدٍ نَازِلِ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْقَسِيحِ . وَقَعْتُ بِمَجَاوِرَةِ
 الْغَارِ وَالشَّيْخِ . تَعَبُ بَشْرِي الرِّيحُ . فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي التَّقْدِيسِ
 وَالسَّبِيحِ . لَا يَنْشَقُّنِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحِيحٍ . وَشَوْقُ صَرِيحٍ . وَهُوَ
 عَلَى زَهْدِ الْمَسِيحِ . وَغَبَرِ الذَّلِيلِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّيَّاحِ فِي الْغُدُوِّ
 وَالرَّوَّاحِ . فَلَا أَحْضَرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
 فَأَنَا الْحُرُّ الَّذِي لَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُنَادَى عَلَى الْبُلْفَاقِ فِي
 سُوقِ الْبُلْفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
 الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبُؤَادِي . وَاللَّسِيمِ يَهِيمُ فِي كُلِّ
 وَادِي . أَعْطَرُ الْبَادِي . بِعِطْرِي الْبَادِي . وَأُرْوِحُ النَّادِي . بِبَشْرِي
 النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْحَادِي . حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَاغِبٍ وَغَادِي

إشارة الشقيق

١٢٥ فَتَنَفَسَ الشَّقِيقُ بَيْنَ نُدْمَائِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
 عَلَى سَاقِهِ وَوَثَبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالُ لَوْنِي بَاهِي . وَحُسْنِي
 زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَّاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ لِي يُبَاهِي . وَلَا نَاطِرٌ

إِلَيَّ شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرْفُلُ فِي ثَوْبِي
 الْقَانِي . وَأَنَا مَدْحُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحُضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالنَّوَظِرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالْمَنَاحِرِ . وَمَا بَرَحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَنْحِي . بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي مُحْشَوْاً بِالذُّنُوبِ . وَقَلْبِي
 مُسَوِّدًا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ إِعْجَابِي بِأَثَوَائِي سَبَبًا لِلْحِجَابِ عَنْ ثَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُنَافِقِ الَّذِي حَسَنَتْ سِيرَتُهُ . وَقَبِضَتْ سِرِّيَّتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمُنْظَرِ سَمِيَّتُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبْرِ قِيمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزَاهِيرِ نَشْرِي . لَكِنَّ الطِّيبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا مَنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَائِي
 مَنْ رَأَانِي يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالَمٌ بِأَنِّي مُرَائِي
 قَدْ تَحَسَّنْتُ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا مُحْشَوَةٌ بِحِشَائِي
 وَاحْيَاءِي إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاحْتِجَلْتِي وَاحْيَاءِي
 لَوْ كَشَفْتَ السُّتُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

إشارة السحاب

١٢٦ فَلَمَّا حَسَنَ الْعِتَابُ . وَطَابَ فَضْلُ الْخُطَابِ . دَمَعَ السَّحَابُ .

فَأَنْبَسَ وَسَاحَ فِي فَسِيجِ الرَّحَابِ . وَقَالَ : سُجَّانَ اللَّهِ أَ يُنْكِرُ فَضْلِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا أَلْبِغْتُ طَلِي وَوَبِلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَوْفَالُ
جُودِي . وَكَسَلُ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرَّ بِرَأْيِي . وَأَلْجَرْتُ ذُرًّا
بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تُذِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَمَزِيدُ بَرِّي إِلَيْهِ مَدْرَارًا .
فَإِذَا أَنْتَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفِطَامُ . أَقْطَعُ تُذِي عَنْهُ
فَيُضِجُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامًا . فَكَيْفَ بَعَثَهُ فِي أَنْسَابِ عِبْرَاتِي .
وَأَشُورُهُ فِي بَعَثِ قَطَرَاتِي . فَالْكُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ اعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ الْجَوِّ أَطْفَالِي

اشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : فَيَنْمِ أَنَا مُضْعٍ لِمُنَادِمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَافَاتِ أَنْهَارِهَا .
إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِجَلْعِ الْعُذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يُكَاتِمُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا الْهَائِمُ الْهَافَانُ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذَا رَأَيْتُ فَضْلَ
الرَّيِّعِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعِ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي الرِّيَاضِ فَرَحَانَ .
وَفِي الْغِيَاضِ أُرْدَدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَإِنَّا بِنِعْمَتِي طَرَبَانُ .
وَمِنْ لَشَوْتِي سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ النَّسِيمُ وَصَفَّقَتْ أَوْرَاقُ الْأَغْصَانِ .
أَرْقِصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَيْفَ أَنَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
تَحْسِبُنِي فِي ذَلِكَ عَابِثًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْيَمِينِ حَانِثًا . وَإِنَّمَا
أَنْوَحُ حَرْبًا لَا طَرَبًا . وَأَبُوحُ تَرْحًا لَا فَرْحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَّا تَبَلَّسْتُ عَلَى بَلْبَالِهَا . وَلَا زُهَّةً إِلَّا نُحْتُ عَلَى أَصْحَىٰ آلِهَا . وَلَا
خُضْرَةً إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرَتْ .
وَلَا عَيْشَةً حُلْوَةً إِلَّا قَمَرَّتْ . فَقَرَأْتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَان . وَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالٍ يَحُولُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشٌ
يَزُولُ . وَوَصْلٌ عَنْ قَرِيبٍ مَفْضُولُ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُغْنِي عَنِ الْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَاكَ الْحِمَى رُوحِي وَرَيْحَانِي فَلَا تَلَمَّنِي إِذَا كَرَّرْتُ الْحَانِي
رَوْضُ بِهِ الرِّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا وَخُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَيْضٍ يَبْقَى أَوْ أَصْفَرُ فَيَقْعُ أَوْ أَخْضَرُ رَقِيَ أَوْ أَحْمَرُ قَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَتَمَلُّ الْوَصْلُ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ فَانِي
إشارة الباز

١٢٨ فَنَادَى الْبَازُ . وَهُوَ فِي مِيدَانِ الْبَرَاةِ . وَيَحْكُ لَقَدْ صَغُرَ جُرْمُكَ .
وَكَبُرَ جُرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَقْتَ بَتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَاطَّلَاقُ لِسَانِكَ
يَجْبَابُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يُهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ اللِّسَانِ . فَلَوْلَا لَقْلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أَخَذْتَ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسْتَ فِي ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ . وَسَدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْخَلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَنَاهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَأَفْتَضَحْ بِهِ بَيَانُكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِسِمَتِي . وَأَقْتَدَيْتَ بِصِمَتِي . لَبَرَأْتَ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الصَّمْتَ رَفِيقُ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصُّمُوتَ . وَأَلْفَتْ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الصَّمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَقْسِصْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبْرًا . وَجُلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الْغُرَبَةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيرَةِ بَحْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأَطْلَالِ نُحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غَرَبْتُ . وَقُرْبْتُ حِينَ
 جَرَبْتُ . وَأُمْنِخْتُ حِينَ أُمْنِخْتُ . وَعِنْدَ الْأُمْتَحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يَهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُوَدِّي تَخْلِيَطَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَقْتِ . فَكَمَّ
 بَصَرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ . وَعَقْدَ إِسَانِي بِعُقْدَةٍ : لَا تَحْرُكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيَّدْنِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَا فِي وَثَاقٍ
 لَا أَتَأَلَّمُ . وَمِمَّا أَلَاقِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُفِّمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجَرَبْتُ
 وَهَذَبْتُ . اسْتَصْلَحَنِي مُوَدِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأُطْلِقْتُ وَأُرْسِلْتُ . فَمَارِفَتِ الْكُمَّةُ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَّامِي . وَانْكَفَّهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِي :

أَمْسَكَتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ إِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قُرْبَ مَنِيَّتِي لَزَخَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أُنْسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعُلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
 أُرْسِلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلْتُ مَا أَبْغِيهِ نَصَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَفَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمَاتَهُ ثُمَّ اسْتَجَبْتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعْمَرِي رَسْمُ كُلِّ مُكَافٍ بِوَظَائِفِ التَّسْلِيمِ لِلْإِيمَانِ

إشارة للحمام

١٢٩ (قَالَ) : فَيَدْنِي أَنَا مُسْتَغْرِقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِحِكْمِهِ

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طَوْقَ الْعُبُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِي عَن ذَوْقِكَ وَشَوْقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طَوْقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمُطَوَّقَةُ بِطَوْقِ الْأَمَانَةِ .
 الْمُقَدَّاةُ بِتَقْلِيدِ الصَّيَانَةِ . نُذِبْتُ لِحِمْلِ الرِّسَائِلِ . وَتَبْلِيغِ الرِّسَائِلِ
 لِلسَّائِلِ . وَلَكِنِّي أَخْبِرُكَ عَنِ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَافٍ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَائِلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِحِمْلِ الْأَمَانَةِ جَانِبِي .
 فَيَشْتَرِي بِاتِّخَرِجٍ . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِالتَّدْرِجِ . فَأَقُولُ : حَمَلُونِي
 فَأَحْمِلْ كُتُبَ الْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفَ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَأُطِيرُ وَعَقْلِي
 مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحٍ جَارِحٍ . حَازِرًا مِنْ سَائِحٍ سَائِحٍ . جَارِعًا
 مِنْ صَائِدٍ ذَائِحٍ . فَأَهَاجِرُ . وَأُكَابِدُ الظَّمَأَ فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 عَنْهَا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً مِنْ كَيْفِ فَحٍّ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرَكٍ يُعَيِّقُنِي عَن
 تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ . فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي
 حَصَلْتُ . أَدَيْتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا لَكَ طَوْقُ .
 وَبِالْبَشَارَةِ خُلِقْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُمْ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُؤْخِزُهُ عَذُولٌ وَلَا يَشْنِي مُنْفَعُهُ عِنَانُهُ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى إِلَّا جِبَالُ الشَّمِّ تَحْمِلُهُ رِزَانُهُ

وَحِفْظُ الْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ فَتَى إِلَّا وَزَانَهُ

إشارة لخطاف

١٣٠ (قَالَ): فَيَيْنَمَا نَحْنُ نَتَذَكَّرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ. وَأَشْرَافُ
الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَافٍ. وَهُوَ بِالْبَيْتِ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
مَا لِي أَرَاكَ لَلْبَيْتِ لَازِمًا. وَعَلَى مُوَالَسَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتُ فِي
أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتُ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ. وَرَضِيتُ فِي الْبُيُوتِ بِجَبَسِكَ.
ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَثِيفَ الطَّعْمِ. يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ. اإِسْمَعْ تَرْجُمَةً حَالِي.
وَكَيفَ عَنِ الطَّيْرِ أَرْتَحَالِي. إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
وَأَسْتَوِطَنْتُ السُّتُوفَ. دُونَ الشَّعَابِ وَالْكُهُوفِ. لِفَضِيلَةِ الْغُرَبَةِ.
وَلَزُومًا لِأَدَابِ الصُّحْبَةِ. صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا.
وَجَاوَزْتُ غَيْرَ أَمْنِي لِأَحْرِزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشَ عِيشَ الْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزَ
بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ. وَالْغُرَيْبِ مَرْحُومٍ فِي غُرُبَتِهِ. مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
فَقَصَدْتُ الْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ.
وَأَكْتَسَبْتُ قُوَّتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقَفَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ
الدَّارِ كَأَنْدَادِهِ. بَلْ أَحْسَنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمُ
جَارِي. أَكْثَرُ سَوَادِهِمْ. وَلَا أَسْتَطِيعُ رَادَهُمْ. فَرَّهْدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
هُوَ الَّذِي حَبَّنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ. لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي
بُيُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أُنْدِيَتِهِمْ. لَا فِي أَغْدِيَتِهِمْ. مُزَاجُهُمْ فِي

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسِبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَرَبِّبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَبِسٌ مِنْ بَرِّهِمْ . لَا مِنْ بَرِّهِمْ .
 رَاجِبٌ فِي حَبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِنْ هَذَا فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ
 اللَّهُ . وَإِنْ هَذَا فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرَكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتَ سَيْرًا حَمِيدًا . وَوَقِفْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَفُتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا

إشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَمَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْقَرِدٌ فِي الْخُرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخُطَافِ وَاثِقًا . وَلَا
 لِفَعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شِبْهِ زَادِهِمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ زُرِّهِ فَرَجِهِمْ
 وَأَعْيَادِهِمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخُلْطَةُ غَلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نُقْطَةٌ .
 وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعُزْلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عُزْلَةً . فَهَلَا اسْتَغْنَى
 بِسُنَّتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَاعْتَرَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَزَهَدَ فِي الْمَاكِلِ
 وَالْأَكْلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي نَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أَرَا جِهَهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلِ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْخُرَابِ عَنِ الْعُمَرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ الْحُسَادِ . وَلَمْ أَرْزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَمِنَ الْقُرْنَاءِ فَرِيدًا . وَعَنِ الْأُتْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكِنُهُ
 الْأُتْرَابَ . كَيْفَ يُسَاكِنُ الْأُتْرَابَ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمْرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ .
 وَأَنَّ كُلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ . بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ . وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 السَّعِيرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ . وَعَلِمَ أَنَّ فَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي
 السَّعِيرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَقْتَرَابِهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحِسَابِهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَكَيْسَابِهَا . فَشَغَانِي التَّفَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنْ مَنْزِلِي الْخَالِي . وَأَذْهَلَنِي مَا عَلَيَّ وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صِحَّتِي وَأَعْتَلَالِي . عَنْ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلَا الْيَقِينُ
 عَنْ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلِّ شَبْهَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ تَدْوَمُ وَلَا رُهَةً .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ) :
 فَأَخَذْتُ مَوْعِظَتَهُ بِجَمَاعٍ قَلْبِي . وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَابِيسَ عَجْزِي

إشارة الدرّة

١٣٢ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدَّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ . وَمَنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . أَلَا تَرَانِي لَمَّا عَلَتِ
 هِمَّتِي وَتَمَّتْ عَزِيَّتِي . كَيْفَ عَلَتِ قِيَّتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا يَرْضَاهُ
 أَبْنَاءُ جِنْسِي . لَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ فَرَأَيْتُ آدَمَ
 وَبَنِيهِ مِنْ دُونِ الْكُلِّ هُوَ الْمَتَّصُودُ . خَلَقَ اللَّهُ الْمَكَائِلَ مِنَ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

فَلَذَلِكَ زَاخَتُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَاتَّشَبَهَ بِهِمْ .
وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَخْلَقْتُ بِهِمْ وَأَخَاطِبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلَتْ
قِيَمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ النَّدِيمِ . وَأَلْفَ بَيْدِي وَبَيْنَهُمْ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصَحِّ النَّاسِ مُحَبَّرٌ
أَنَا قَدْ أَحْبَبْتُ قَوْمًا شَرَفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرُ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَعْلَى

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَاسَ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ الْقَوْمِ .
قُلْتُ مَا رَأَيْتُكَ لِيَوْمٍ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي النَّوْمِ . فَمَا لِي لَا
أَزَاجُهُمْ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمَرَا حِمٍ . لَعَلَّهُ يُوهِبُ مَرْحُومٌ لِرَاحِمٍ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَابَةَ لِلنَّادِمِ

إشارة اليك

١٣٣ (قَالَ) فَقُلْتُ : تَأَلَّهَ لَقَدْ فَازَ أَهْلُ الْخَلَوَاتِ . وَأُمْتَازَ أَهْلُ
الْصَّلَوَاتِ . وَمَنْعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْغَفَلَاتِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدَّيْكَ .
كَمْ أَنَادَيْكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَغَاشِيكَ . جَعَلْتُ الْأَذَانَ لِي
وَضِيفَةً . أَوْقِظُ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأُبَشِّرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً . وَفِي إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ . أَصَفَّقُ بِمَجَاحِي بَشَرًا لِلْقِيَامِ .
وَأَعْلَنُ بِالصَّيَاحِ تَنْبِيهًا لِلنِّيَامِ . فَتَضَفِّيقُ الْجَنَاحِ . بُشْرَى بِالْبَنَاجِ . وَتَرْدِيدُ
الصَّيَاحِ . دُعَاءُ لِلْفَلَاحِ . لَا أَخْلُ بِوَضِيفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْفُلُ عَنْ

وَرَدِي سِرًّا وَلَا إِجْهَارًا . قَسَمْتُ وَظَائِفَ الطَّاعَاتِ . عَلَى جَمِيعِ السَّاعَاتِ .
 فَمَا تَرُ سَاعَةً . إِلَّا وَلِيَّ فِيهَا وَظِيفَةً طَاعَةٍ . فِي تَعْرِفِ الْمَوَاقِيتِ . وَلَا
 تَعْلُو قِيَمَتِي وَلَوْ أُشْتَرِيَتْ بِالْيَوَاقِيتِ . فَبِذَا حَالِي . مَعَ قِيَامِي عَلَى عِيَالِي .
 وَإِسْنَانِي عَلَى أَطْفَالِي . فَأَنَا بَيْنَ الدَّجَاجِ . أَقْنَعُ بِالْأَجَابِ . وَلَا أَخْتَصُّ
 دُونَهُمْ بِحَبَّةٍ . وَلَا أَتَجَرَّعُ دُونَهُمْ بِشَرْبَةٍ . وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْحُبَّةِ . إِنْ
 رَأَيْتَ حَبَّةً دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَدَلَلْتَهُمْ عَلَيْهَا . فَمِنْ شَأْنِي الْإِثَارُ . إِذَا
 حَصَلَ الْقِتَارُ . ثُمَّ إِنِّي طَوَّعُ لِأَهْلِ الدَّارِ . أَصْبِرُهُمْ عَلَى سُوءِ الْجَوَارِ .
 يَذْبَحُونَ أَفْرَاحِي . وَأَنَا لَهُمْ كَالْحِلِّ الْمَوَاحِي . وَيَنْتَبِهُونَ أَتْبَاعِي . وَأَنَا فِي
 نَفْعِهِمْ سَاعِي . فَبِذَا شَيْئَةً أَوْصَافِي . وَسَجِيَّةً إِنْصَافِي . وَاللَّهُ لِي كَافِي .
 بِذِكْرِ اللَّهِ يُدْفَعُ كُلُّ خَوْفٍ وَيَذْنُو الْحَزَنُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
 وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يُصْنِي وَيَدْرِي مَعَانِي مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

إشارة البط

١٣٤ (قَالَ) فَنَادَى الْبَطُ . وَهُوَ فِي الْمَاءِ يَنْغَطُ . وَقَالَ يَا مَنْ بِدَنِي
 هَمَّتْهُ انْحَطَّ . لَا أَنْتَ مَعَ الطَّيْرِ فَتَرَقَى . وَلَا تَسْلَمُ مِنَ الضَّيْرِ فَتَبْقَى .
 فَأَنْتَ كَأَمَلْتِ لَا أَرْضًا تَقْطَعُ . وَلَا لُزُومَكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَنْفَعُ .
 سُقُوطُ نَفْسِكَ أَلْقَاكَ عَلَى الْمَزَابِلِ . وَوُقُوفُكَ عِنْدَ الطَّلِّ حَجَبُكَ عَنْ
 الْوَابِلِ . وَمَادِحُ فِي الْمَتَاجِرِ مَنْ لَمْ يَقْطَعْ الْمَرَاحِلَ . وَلَا يَنْظُرُ بِالْجَوَاهِرِ
 مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِالسَّاحِلِ . فَلَوْ ثَبَتَ تَمَكُّنُكَ . وَقَوِيَ يَقِينُكَ . لَطَرْتَ فِي
 الْهَوَاءِ . وَمَشَيْتَ عَلَى الْمَاءِ . أَلَمْ تَرَنِ كَيْفَ مَلَكَتْ هَوَايَ . فَمَا كُنْتُ

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَائِحٌ . وَفِي الْبَحْرِ سَائِحٌ . وَفِي الْهَوَاءِ
 سَارِحٌ . وَقَدْ جَمَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَنْزِي . فَأَغْوَصُ فِي
 صَفَاءِ تَلَالِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَا إِلَهَ . وَأَطْلُعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَائِيهِ . لَمْ
 يَنْظُرْ إِلَّا بِزَبْدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يَحْذَرْ مِنْ دَوَاحِلِهِ وَجَلَاغِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَهِّمِ لَحْجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَالْأَسْعِيدُ مِنْ رَكِبَ قَارِبَ فُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِلْسَّمَاتِ نَفْحَاتِهِ . مَا دَامَ لَبَانُ رَجَائِهِ بِجَذْبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَشَافَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى مَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ .
 فَهَذَا لِكَ يَتِمُّ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرِدُ مِنْ عَذْبِهِ وَفِرَاتِهِ :

يَا طَائِبًا لِلْمَعَالِي مُهْرُ الْمَعَالِي غَالِي
 قَدَّمَ فَأَوَّلُ نَفْدٍ مُعْجَلُ الْآجَالِ
 مَا أَسْتَعَذَّبَ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرَّجَالِ
 حَمَاءُ دُونَ الْوَصَالِ حُمَةُ حَدِّ النَّصَالِ
 كَذَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي خَفَّتْ بِسْمْرِ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَدَغُ كَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حَمَاهُ ذَوُو الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَالًا فَأَتْرُكْ مَنَازِلَ الْآبَطَالِ

١٣٥ (قَالَ): فَنَادَتْ النُّحْلَةُ: يَا لَهَا مِنْ نُحْلَةٍ. مَا صَحَّحَ فِي رَوَايَتِهَا رَحْلَةً.
 فَأَلْعَارِغُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ. وَقِيلَ دَعَوَاهُ. وَعِلْمٌ صَفَاءُ سِرِّهِ مِنْ نَجْوَاهُ.
 وَمَنْ مُحَاحِقَتُهُ دَعَوَاهُ. ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ. فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ.
 وَلَا تَرْبِّ فِرْعَا يُنْقِضُهُ أَصْلُكَ. أَلَا تَرَانِي لَمَّا طَابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي.
 كَيْفَ رَفَعْتَ رَتْبِي. وَعَلَا مَنْصِبِي. وَكَمَلْتَ أَدَبِي. لَوْلَا أَلَيْ أَصَكَلْتُ
 الْحِلَالَ. وَلَكِنَّمْتُ أَشْرَفَ الْحِلَالَ. حَتَّى صِرْتُ كَالْحِلَالَ. أَسْلُكُ سُبُلَ
 رَبِّي ذُئْلًا. وَأَشْكُرُ مِنْ نِعْمِهِ فُضُولًا وَجَمَلًا. أَبْتَغِي الْمُبَاحَ. الَّذِي لَيْسَ
 عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ. فَأَجْعَلَ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي. وَمِنْ مُبَاحٍ أَلَا شَجَارِ
 قُوتِي. أَبْتَنِي بُيُوتًا يَعْجِزُ كُلُّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا. وَيَتَخَيَّرُ أَفْلِدُسُ فِي
 حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا. ثُمَّ أَسْقِطُ عَلَى الزَّهْرِ وَالثَّمَرِ. فَلَا أَكُلُ ثَمَرَةً.
 وَلَا أَهْشَمُ زَهْرَةً. بَلْ أَتَنَاوَلُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ. فَأَتَعَدَّى بِهِ
 قَائِمَةً وَإِنْ قَلَّ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عُشِّي. وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي. فَأَسْتَعِلُ
 فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي. وَأَخْلَصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي. وَلَا أَفْتُرُ عَنْ
 الذِّكْرِ. وَلَا أَغْفُلُ عَنِ الشُّكْرِ. قَدْ أَتَّبَعَ عِلْمِي وَعَمَلِي. شِعْبِي وَعَسَلِي.
 فَالْتَّمَعْتُ ثَمَرَةَ الْعِلْمِ الْمُنْقُولِ، وَالْعَسَلُ ثَمَرَةُ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ، فَالْتَّمَعْتُ لِلضِّيَاءِ.
 وَالْعَسَلُ لِلشِّفَاءِ. فَإِذَا أَتَانِي قَاصِدٌ يَسْتَضِي بِضِيَائِي. وَإِنْ أَتَانِي
 عَلِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي. فَلَا أَذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي. حَتَّى أُجْرِعَهُ مَرَادَهُ
 لَسْعِي. وَلَا أَتِيلُهُ شَهْدِي. إِلَّا بَعْدَ مُكَابَدَةِ جُهْدِي. فَإِنْ أَقْتَصَصَهُ

مَنِّي قَهْرًا . أَحَايِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدْفَعُ عَنْهُ بِرُوحِي . وَأَقُولُ يَارُوحُ رُوحِي .
 ثُمَّ أَقُولُ مَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جَنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
 جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تُعَانِي . فَقَدْ رُمِزْتَ لَكَ فِيَّ مَعَانِي . إِنَّكَ لَا
 تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَصِيرَ عَلَى حَدِّ نِصَالِي :

إِصْبِرْ عَلَى مَرِّ هَجْرِي إِنْ رُمْتَ مَنِّي وَصَالَا
 وَأَتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
 وَمَتَّ إِذَا شِئْتَ تَحْمِيَا وَأَسْتَعْجِلِ الْآجَالَا
 إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَمْنَى فَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالَا
 فَإِنْ فَهِمْتَ رُمُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَالَا لَا

إشارة الشَّعْ

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْنَعَ إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ . فَإِذَا هُوَ
 يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمُعِ غِزَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
 رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْتِي . وَفَرَّقَ الدَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
 أَبِي . وَفِي الْإِبْجَادِ سَبَبِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ بِتَحْرِيقِي . أَنَا وَالْمَسَلُ
 شَقِيقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِيقِي . فَبَيْنَمَا نَحْنُ مُجْتَمِعَانِ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمَسَانِ .
 إِذْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْمَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَّ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ .
 فَأَفْرَدَتْ عَنْهُ وَأَفْرَدَعَنِي . وَبَنَتْ مِنْهُ وَبَانَ مَنِّي . ثُمَّ سَلَطَتْ عَلَى النَّارِ
 وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَبِدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَ رِقِّ
 وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتَضِيئونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ :

وَدَمَعٌ مُهْرَاقٍ . قَامْتُ فِي الْخِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَجْمَلُ ضَرَرِي وَضَرِي .
 وَأَحْرَقُ نَفْسِي لِأَشْرِقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مُعَذِّبُ بَشَرِي . وَغَيْرِي مُسْتَمِعٌ
 بِخَيْرِي . فَكَيْفَ أَلَامُ عَلَى أَصْفَرَارِي . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدَنِي
 الْأَوْبَاشُ . مِنْ الْقَرَّاشِ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذْ هَابَ أَضْوَاءِي . فَأَحْرَقَهُ
 مَكَا فَاتَةً لِفَعْلِهِ . وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مَلَأْتُ الْأَرْضُ
 فَرَّاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مَلَأْتُ أَوْبَاشًا لَمَا أَطْفَؤُوا نُورَ الْإِيمَانِ .
 يُرِيدُونَ لِيُطْفَؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الرَّحْمَنُ . وَهَذَا مَرْثِي .
 تَعْنَاهُ بَيَانُ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورُ أَيُّ نُورٍ
 فَهْدَايَ وَضَلَّالِي بِكَ يَا كُلَّ سُورِي
 لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَرْمِينِي بِزُورِي
 وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا فِي نَشْوَةِ هَذَا الْعَتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
 إِذْ تَمَّتْ صَوْتُ غُرَابٍ . يَنْعَقُ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيَنُوحُ نَوْحَ الْمُصَابِ .
 وَيَبُوحُ مَا يَجِدُهُ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْجِدَادِ جَلْبَابُ .
 وَرَضِي مِنَ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْرِيدِ الشَّيَابِ . فَقُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ لَقَدْ
 كَدَرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَرْتَ مَا كَانَ حُلُومًا شَافِيًا . فَمَا لَكَ لَمْ تَرَلْ فِي
 الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْبَيْنِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ شَمَلًا

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدْتَ قِصْرًا عَالِيًا بَشَّرْتَ بِدُرُوسِ
 عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْخَلِيطِ الْمَعَاشِرِ أَشَامُ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ الْآلِيبِ
 الْخَازِرِ . الْأَمُّ مِنْ جَاذِرٍ . فَنَادَانِي بِلِسَانِ رَجُلٍهِ الْفَصِيحِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
 حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَيَحَاكَ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْفَسِيحِ . وَقَدْ
 تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالنَّصِيحُ . لَا بِالْكِنَايَةِ تَفْهَمُ وَلَا بِالتَّصْرِيحِ .
 كَانَ الْمَوَاعِظُ فِي أذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامُ الْمَوَاعِظِ فِي تَمَعٍ هَوَاكَ كَالنَّيِّحِ .
 أَمَا تَذْكُرُ رَحِيلَكَ مِنْ هَذَا الْفَتِيحِ الْفَسِيحِ . إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِ
 الضَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَيْكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
 وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ نُوحَ نُوحٍ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا
 أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
 بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحُ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمَسِيحِ . أَيْ جُمِعَ لَمْ يَتَفَرَّقْ . أَيْ
 شَمِلَ لَمْ يَتَفَرَّقْ . أَيْ صَفَوْهُ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيْ حُلُوهُ لَمْ يَتَمَرَّرْ . أَيْ أَمَلٌ لَمْ
 يَقْطَعْهُ الْأَجَلُ . أَيْ تَدْبِيرٌ لَمْ يُبْطِلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيْ بُشِيرٌ لَمْ يُعَقِّبْهُ
 نَذِيرٌ . أَيْ يَسِيرٌ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيْ حَالٌ . مَا حَالٌ . أَيْ مُقِيمٌ مَا
 زَالَ . أَيْ مَالٌ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالٌ . أَيْنَ ذَوُّ الْعُمْرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
 ذَوُّ الْمَالِ الْجَزِيلِ . أَيْنَ ذَوُّ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ جِيلًا
 بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الثَّرَى بَيْنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
 أَمَا هَتَفَ بِالْمُتَمَتِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تُلَوِّمُنِي عَلَى
 نَوَاحِي . وَتَسْتَشْتَمُ بِصِيَحِي . فِي مَسَاءِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَيَّهَا

اللَّاحِي . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تَشَحَّتْ بِوِشَاحِي . وَوَأَفَقَّتَنِي فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَأَجَبْتَنِي بِالنُّوَح . مِنْ سَائِرِ النُّوَاحِي . لَكِنْ أَلَمَّاكَ لَهْوُكَ .
 وَحَجَبَكَ عَجْبُكَ وَزَهْوُكَ . وَهَذَا أَنَا أَعْرِفُ النَّازِلَ . بِخَرَابِ الْمُنَازِلِ .
 وَأَحْذَرُ الْأَكِلَ . غُصَّةَ الْمَأْكُلِ . وَأُبَشِّرُ الرَّاحِلَ . بِقُرْبِ الْمَرَّاحِلِ .
 وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقِكَ . لَا مَنْ صَدَقَكَ . وَمَنْ عَذَاكَ . لَا مَنْ
 عَذَرَكَ . وَمَنْ بَصَرَكَ . لَا مَنْ نَصَرَكَ . وَمَنْ وَعَظَكَ . فَقَدْ أَتَقَظَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي . وَحَذَرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْمَعْتُكَ نِدَائِي فِي النَّادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنْوَحُ عَلَى ذَهَابِ الْعُمْرِ مِنِّي وَحَقِّي أَنْ أَنْوَحَ وَأَنْ أَنْادِي
 وَأَنْدُبُ كُلَّمَا عَايَنْتُ رَكْبًا حَادًا بِهِمْ لَوْشَكُ الْبَيْنِ حَادِي
 يُعَنِّفُنِي الْجَهْلُ إِذَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَلَيْتُ أَثْوَابَ الْحِدَادِ
 فَقُلْتُ لَهُ أَتَعْظُ بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 وَهَذَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدَعَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثْوَابُ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَايَنْتُ رُبْعًا أَنْادِي بِالنَّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 أَنْوَحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجُمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي نَوَاحِيهَا نَوَاحِي مِنْ الْبَيْنِ الْمُقْتَتِ لِقُودِ
 تَقِظُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَأَفْهَمُ إِشَارَةَ مَا تُشِيرُ بِهِ الْفَوَادِ
 فَمَا مِنْ شَهِيدٍ فِي الْكُونِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْغَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَاغِبٍ فِيهَا وَغَادٍ يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ يَبَادِ

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أُنَادِي

إشارة المرحوم

١٣٨ (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَيَّ الْغُرَابُ وَقْتِي . وَحَذَّرَنِي مَقْتِي .
 انْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مَنْطِقِ الطَّيْرِ . الْمُتَأَمِّلُ عَلَى فَوَاتِ الْخَيْرِ .
 تَاللَّهِ لَوْ صَغَتْ الضَّمَامُ . لَنَفَذْتَ الْبَصَارُ . وَاهْتَدَى السَّارُ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَارُ . وَلَوْ طَابَتِ الْخَوَاطِرُ . لَبَانَتْ الْأَمَارُ . وَلَوْ شَرَحْتَ السَّرَائِرُ
 لَطَهَّرْتَ الْبَشَائِرُ . وَلَوْ انْشَرَحْتَ الصُّدُورُ . لَطَهَّرَ لَكَ النُّجُورُ . وَلَوْ
 ارْتَفَعَتِ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْمُسْتُورُ . وَلَوْ طَهَّرْتَ الْقُلُوبُ . لَطَهَّرْتَ
 سَرَائِرَ الْغُيُوبِ . وَلَوْ خَلَعْتَ ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . لَرَفَعَ لَكَ الْحِجَابُ . وَلَوْ
 غِثَ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ . لَشَاهَدْتَ عَالَمَ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقَ .
 لَأُنْكَشَفَتْ لَكَ الْحَقَائِقُ . وَلَوْ خَالَفْتَ الْعَادَةَ . لَمَا انْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَادَّةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدْتَ عَنْ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلْتَ إِلَى رُتَبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مِلْتَ عَنْ
 هَوَاكَ آلَ بَيْتِكَ إِلَيْهِ . وَلَوْ فَارَقْتَ أَبَاكَ لَجَمَعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعْدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ أَرْزُلَهُ لَدَيْهِ . وَلَكِنَّكَ مَسْجُونٌ فِي سِجْنِ طَبْعِكَ . مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ
 مَا لَوْفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَاعِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِجِبَالِ خَيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرَمَتْكَ بُرُودَةُ عَزَمِكَ وَأَحْرَقَتْكَ حَرَارَةُ حِرْصِكَ . وَأَثْقَلَتْكَ ثِقْمَةُ
 بَطَرِكَ . وَأَسْتَعْمَتَكَ عُقُوبَةُ رُعُونَتِكَ . وَبَرَّهَتْكَ وَسَاوِسُ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهِمَّةِ . مُتَعَدُّ الْعَزْمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْفِطْرَةِ . كَثِيرُ

الْحَيَرَةُ. قَدْ اُنْعَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ. فَرَأَيْتَ الْحَسَنَ قَبِيحًا. وَالتَّقِيحَ حَسَنًا.
 أَلَا تَرَى إِلَى الْهُدُودِ حِينَ حَسُنَتْ سِيرَتُهُ. وَصَفَتْ سَرِيرَتُهُ. كَيْفَ
 نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ. فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِالْأَنْظَرِ. مَا تَحْبِبُهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ. فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ الْجَنَاجَ. كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الزُّجَاجِ. وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ: هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أَجَاجٍ. وَيَقُولُ: أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صِغَرِ الْجُمُحَانِ. مَا لَمْ يُؤْتَهُ سُلَيْمَانُ. فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ
 يَقْبَلُ نَصْحِي. فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ. وَأَصْفِ سَرِيرَتَكَ. وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ.
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ. وَتَادَّبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ. وَلَوْ أَنَّهَا مِنْ الدَّوَابِّ.
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ أَلْبَابٍ وَطَنِينَ الدُّبَابِ. وَنَبِيحِ
 الْكِلَابِ. وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ. وَيَفْهَمُ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ.
 وَلَمْ السَّرَابِ. وَضِيَاءُ الضُّبَابِ. فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

إشارة الكتاب

١٣٩ (قَالَ) فَيَدْنِي أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ الْخِطَابِ. مُنْصِتٌ لِلْجَوَابِ.
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ. يُلْقِطُ مِنَ الْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْبَابِ.
 فَقَالَ: يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَابِ. يَا مُحْجُوبًا عَنِ الْمُسَبِّبِ بِالْأَسْبَابِ.
 يَا مُسْبِلًا ثِيَابَ الْإِعْجَابِ. تَادَّبْ بِأَدَائِي. فَإِنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ دَائِي.
 وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي. وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي. وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي. فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا. تَجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 فَهِيمًا. لَا أَزَالُ وَاقِفًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي. غَيْرَ رَاغِبٍ فِي سِيَادَتِي. فَلَا

أَتَفِيرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَطْرُدُ فَأَعُودُ . وَأُضْرِبُ
وَلَسْتُ بِالْحَقُودِ . وَأَنَا حَافِظٌ لِلْوَدِّ بَاقٍ عَلَى الْعُهُودِ . أَقُومُ إِذَا كَانَ
الْأَنَامُ رُقُودَ . وَأَصُومُ وَالْخَوَانُ مَمْدُودَ . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَعْدُودَ . وَلَا
سِمَاطٌ مَمْدُودَ . وَلَا رِبَاطٌ مَعْهُودَ . وَلَا مَقَامٌ مَحْمُودَ . إِنْ أُعْطِيتُ شُكْرْتُ .
وَإِنْ مُنِعْتُ صَبِرْتُ . لَا أُرَى فِي الْآفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَفَاتِ
بَاكِيًا . إِنْ مَرِضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أُحْمِلُ عَلَى أَعْوَادِ . وَإِنْ غِبْتُ
فَلَا يُقَالُ لِيْتَهُ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكُنِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
فَلَا أَسْتَصْحَبُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عِمَارٌ فَيُخْرَثُ . إِنْ فُقِدْتُ
فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وَجِدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
جَمَاعِهِمْ . وَأَدُومُ عَلَى وَفَائِهِمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَابِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلَبِهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَائِي فَمَتَسَّكَ بِأَذْيَالِي . وَتَعَلَّقَ بِجِبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
وَفَاقِي . فَتَخَاقَ بِأَخْلَاقِي :

| | |
|---|--|
| وَتَعَلَّمَ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي | وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَى بِجِبَالِي |
| أَنَا كُلُّ حَقِيرٍ قَدَرٍ وَلَكِنْ | لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْأَدْغَالِ |
| أَحْفَظُ الْجَارَ فِي الْجَوَارِ وَدَائِي | أَنْ أَحَافِيَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي |
| وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ | صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ |
| لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا | أَوْ سَقَمْتُ فِي الْيَوْمِ مَرَّ النِّكَالِ |
| لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهٌ أَشْكُرُ لِحَلْقِي | إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي |
| أَجْمَلُ الضِّمِيمِ فِيهِ صَوْنًا لِعِرْضِي | وَفِرَارًا مِنْ مَرِّ ذَلِّ السُّؤَالِ |

فَنَدَّيْ عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَالِي يَنْقُصُ كُلَّ خِلَالِي

إشارة للجمل

١٤٠ فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّائِبُ فِي السُّلُوكِ. إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ. إِنْ
 كُنْتَ تَعَلَّمْتَ مِنَ السَّكَبِ زُهْدًا وَفَقْرًا. فَتَعَلَّمَ مِنِّي جَلَدًا وَصَبْرًا.
 فَإِنَّ مَنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ. وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ الصَّبْرِ. فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ.
 مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ. هَا أَنَا أَجْمَلُ الْأَحْمَالِ الثَّقَالِ. وَأَقْطَعُ الْمَرَاحِلِ
 الطُّوَالَ. وَأَسْكِبُ الْأَهْوَالَ. وَأَصْبِرُ عَلَى صِرِّ النِّكَالِ. وَلَا يَغْتَرِينِي
 فِي ذَلِكَ مَلَالٌ. وَلَا أَصُولُ صَوْلَةَ الْأَرْدَالِ. بَلْ أَنْقَادُ لَطْفِ الصَّغِيرِ.
 وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَصَعْبْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ. فَأَنَا الدَّلُولُ. الَّذِي
 لِلْأَثْقَالِ حُمُولٌ. وَفِي الْأَحْمَالِ ذُمُولٌ. وَلَسْتُ بِالْحَائِزِ وَلَا بِالْمُلُولِ. وَلَا
 بِالصَّائِلِ عَنِ الْمَصُولِ. وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ. أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ.
 مَا تَعْجَزُ عَنْهُ الصَّنَادِيدُ الْفُحُولُ. وَأَصَابِرُ فِي ظُهُمِ الْهَوَاجِرِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
 أَحُولُ. فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي. وَبَاقَتُ مَارِي. أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى
 غَارِي. وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي. أَكْتَسَبْتُ مِنَ الْمُبَاحِ زَادِي. وَإِنْ
 سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي. سَلَّمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي. وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سَهَادِي.
 وَمَدَدْتُ عُنُقِي لِلْبُوعِ مُرَادِي. فَإِنْ ضَلَّتْ فَالْدَّلِيلُ هَادِي. وَإِنْ
 زَلَّتْ أَخَذْتُ بِيَدِي مِنَ إِلَيْهِ أَنْقِيَادِي. فَأَنَا الْمُسَخَّرُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ
 وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ. فَلَا أَزَالُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ حَتَّى أَصِلَ إِلَى
 ذَلِكَ الْمَقَامِ

١٤١ فَقَالَ الْفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّيِّبُ سُبُلَ الْمَآثِرِ . تَعَلَّمَ
 مِنِّي حُسْنَ الْأَدَبِ . وَصَدَّقَ الطَّيِّبُ . لِبُلُوغِ الْأَرْبِ . هَا أَنَا أَجْمَلُ
 مُبَاهِلِي . عَلَى كَاهِلِي . فَأَجْتَهِدُ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَلِقُ بِهِ كَالطَّيْرِ . أَتَهْمُ
 هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَقْتَحِمُ اقْتِحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ بِي طَلَبَهُ .
 وَبَلَغَ بِي أَرْبَهُ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِبِهِ سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
 أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُحْجَبَةً . فَلَا يُدْرِكُنِي إِلَّا الْغُبَارُ . وَلَا يَسْمَعُنِي
 إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ أَجْمَلُ هُوَ الصَّابِرُ الْمُجَرَّبُ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
 الْمُقَرَّبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُتَقَصِّدُ الْلَاحِقُ . فَأَنَا الْمُجْتَهِدُ السَّابِقُ .
 فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اللَّقَا . وَأَوَانَ الْمُلتَقَى . أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِهِ . وَسَبَّهْتُ
 ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَفٌ لِقُلِّ أَجْمَالِهِ . مُعَاقٌ لِقَتَقِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
 وَرَأَيْتُ شَمَّ حُقُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُوَفٍّ . وَطَرِيقًا لَا يَتَطَعُهَا إِلَّا
 كُلُّ مُخَفٍّ . فَلِذَاكَ ثَمَرْتُ عَنْ سَاقٍ . وَتَضَمَّرْتُ لِيَوْمِ السَّبَاقِ .
 وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكَرَهُ الطَّيِّشُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ : مَا
 عِنْدَكُمْ يَفْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مَرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
 مَطْرُودٌ . هَلَّا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ . وَفَهِمْتَ الْمُتَصُودَ . وَأَقَمْتَ عَلَى
 نَفْسِكَ الْحُدُودَ . وَأَوْثَقْتَ جَوَارِحَكَ بِالْأَقْيُودِ . وَذَكَّرْتَ الْأَجَلَ
 بِالْحُدُودِ . وَالنَّفْسَ بِالْمَعْدُودِ . وَخَشِيتِ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَا أَنَا لَمَّا أَوْثَقَ
 سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلُ سَائِقِي مِنْ صَيْدِي .

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أُوثِقْتُ بِشِكَا لِي . كَيْلًا أَصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلًا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأُجِمْتُ
 بِلَجَائِي . لِمَا لَا يَفْسُدُ عَلَيَّ نِظَائِي . وَأَلْزَمْتُ بِحِزَائِي . خَشِيَّةً مِنْ
 غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنَعَلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلًا أَكِلَ عِنْدَ إِقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّالِمَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودُ بِنَوَاصِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَأُلْهِمْتُ التَّقْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرِحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كَنْزًا . وَصَحْبَتِي حِرًّا . فَكَمْ رَكَضْتُ فِي مِيدَانٍ وَمَا أَبَدْتُ عِجْزًا .
 فَكَمْ كَسَيْتُ فِي السَّبَاقِ خِرًّا . وَكَمْ حَزَنْتُ أَهْلَ النِّفَاقِ خِرًّا . فَكَمْ
 أَخَلَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا فَاقَ فَهَلْ تُحْسِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
 (فَجَاوَبْتُهُ) تَاللَّهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنْ أَلْفَعَالٍ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القر

١٤٢ فَقَاتَ دُودَةُ الْقَرْ: تَاللَّهِ لَيْسَتْ أَلْفُحُولِيَّةُ بِالصُّورِ وَأَلْهِيَ كُلِّ .
 وَلَا الرُّجُولِيَّةُ بِتَرَاكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَأْكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . بِبَذْلِ
 النِّشَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجَلُهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٍ . وَلَا أَهْلُ الْوَدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا أَلْتِمُودَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٍ . أَوْخِذْ فِي الْبِدَايَةِ بِزَّرًا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّارِعُ بِذَرًّا . فَإِذَا نَمَتْ
 أَيَّامُ حَيٍّ . وَأَذْنَتْ الْقُدْرَةُ بِمَجْمَعِ شَيْئِي . إِنْ فَصَلَ عَنْ ذَلِكَ الْحَمَلِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلَ وَصَلِي . فَأَنْظَرُ فِي يَوْمٍ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمَّ . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَفِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالْتَّرِيَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَاحْمَى عَنْ تَخَالِطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَانِدًا . وَلَا أَطْعَمُ إِلَّا غِذَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأَشْرَعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِأُمُورٍ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَبْتَدِرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شَكْوَى . فَأَنْسِجُ
 بِالْهَامِ التَّقْدِيرِ . مَا يَعْجِزُ عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأَسْئَلُ مِنْ لُعَابِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَلَابِسَ . تَرِينُ
 اللَّابِسَ . فَأَلْمُلُوكُ تَفَخُّرُ بَخْرِي . وَالسَّالَطِينَ تَتَنَافَسُ فِي أَرْدِيَةِ
 قَرْيَ . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَادَّيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْتِي الْمُسُوجَ
 قَبْرِي . وَفِي طَيْهِ لَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمْضِي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِمُخَيْرِي . وَأَبَالِغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذِّبُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكِدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْمَجْبُولَةِ عَلَى الْإِكْدَارِ . أَنِّي أَتْلَيْتُ بِحَرِّقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدْ اِعْتَدَى عَلَيَّ ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْخُصُوصَةُ بِأَوْهِنِ
 الْبُيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِزُنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيجٌ . فَقُلْتُ لَهَا : وَيْحَكَ أَنْتِ نَسِجُكَ شَبَكَةُ الذُّبَابِ . وَمَجْمَعُ

لِلتُّرَابِ . وَأَنَا لَسَجِي زِينَةُ الْكُوْعِ الْأَتْرَابِ . أَمَا قَدْ ضَرَبَ بِضَعْفِكَ
الْمَثْلُ . وَأَيْنَ الْكَحْلُ مِنَ الْكَحْلِ . وَأَيْنَ الْبَدْرُ مِنَ النُّجْمِ إِذَا أَفْلَ

اشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَتِ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبُيُوتِ . وَحَبْلِي
مَبْتُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سَجَلِ الذِّكْرِ مَبْتُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
مِنَّةٌ . وَلَا لِأَمٍّ عَلَيَّ حَنَّةٌ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ أَنْسَجُ لِنَفْسِي أَبْيَاتٌ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَوَّلُ مَا أَقْصِدُ زَاوِيَةَ الْبَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْخَلْبِيَا . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
النُّكْتِ الْخَفَايَا . فَأَلْقِ لُعَائِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذَرًا مِنَ الْخُلَاطَةِ وَأَقْلَتِهَا . ثُمَّ
أَفْرِدُ مِنْ طَافَاتِ غَزْلِي خَيْطًا دَقِيقًا . مُنْكَسًا فِي الْهُوَاءِ رَقِيقًا . فَاتَّعَلَقُ
بِهِ مُسْبِلَةً يَدَيَّ . مُسْكَةً بِرَجْلِي . فَيَظُنُّ الْغَرُّ تِلْكَ الْحَالَةَ . أَنَّ بَنِي
مَيْتٌ لَا مُحَالَةَ . فَتَمَرُّ الدُّبَابَةُ فَأَخْطَفُهَا بِجَبَائِلِ كَيْدِي . وَأَوْدِعُهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْعَدَارَةُ . الَّتِي بَرُخْرِفُهَا غَرَارَةٌ . إِنَّمَا جُعِلَتْ
زِينَةُ لِنَاقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَكُفُورًا لِلصَّبِيَانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْمُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يُحُولُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مُحْصُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَصُولٌ . فَيَا وَجْحَ مُحْرَمِ حُرْمِ السُّوْلِ :

أَيُّهَا الْمُعْجِبُ فَخْرًا بِقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
فَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِثَوْبِ وَمِنْ الْعَيْشِ بِشَوْتِ
وَأَخْذِ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هَذَا بَيْتُ مَثْوَاكِ فَمَوْتِي

إشارة النملة

١٤٤ فَقَالَتِ النَّمْلَةُ: إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ بِمَرْمَى فَنَمَ لَهُ . وَتَعَلَّمَ مِنِّي قُوَّةَ الْإِسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلَ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَانْظُرْ إِلَى غُرَّةِ عَزْمِي . وَصَحَّةِ حَزْمِي . وَتَأَمَّلْ كَيْفَ شَدَّتْ يَدُ الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلَ مَا فَتَحْتُ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونُ مِنْ جَمَلَةِ الْحَدَمِ . ثُمَّ كُفِّتُ بِجَمْعِ الْمُؤُونَةِ . بِتَيْسِيرِ الْمُعُونَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْفَرَاسِخِ . مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَالَمُ الرَّاسِخُ . فَأَذِيرُ مَا أَذْخَرُهُ مِنَ الْحَبِّ لِقَوْتِي . فِي بُيُوتِي . فَيُلْهِمُنِي فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى . أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتِ الْحَبَّةُ كَرْبُرَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ مُدْبِرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلِقَهَا أَرْبَعَ فَلِقٍ فَإِنَّهَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَتْ . وَإِنْ قَطَعَتْ أَرْبَعًا انْتَضَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ عُفُونَةَ الْأَرْضِ أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَتُخَفِّفُهُ السَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنََّّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَقْصًا . وَلَهُمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحِرْصًا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي . لَأَقَمْتَ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا تَرْتَفِعَ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلْ نَمْلَةً تَجْتَرِدُ فِي سَيْرِهَا . وَتَحْصِيلَ خَيْرِهَا . لِنَفْعٍ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَايِدِ الْأَشْرَاكِ . فَاِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطْشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَازَةٍ فَلَا تَجِدُ رُجُوعًا . تَحْتَ طِفْهَا ذِبَابَةٌ . أَوْ تَطَاهَا دَابَّةٌ . فَتَلْقَى مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

أَيْدِيهِنَّ . فَتَقَسَّمَهُ بِالسَّوِيَّةِ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظٍّ مَنْقُوصٍ

إشارة العنقاء

١٤٥ (قَالَ الشَّيْخُ): لَكُمْ الْإِشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ قِيَمْتُمْ رَضَ
هَذِهِ الْعِبَارَةِ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) أَجْتَمَعَ
الطُّيُورُ وَقَالُوا: لَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنُعْرِفُ بِهِ . فَيَهْلُمُوا نَنْطَلِقُ فِي
طَلَبِهِ . وَنَسْتَمْسِكُ بِسَبَبِهِ . وَنَعِشُ فِي ظِلِّهِ . وَنَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَاغَنَا
أَنَّ بَجَزَائِرِ الْبَحْرِ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ عُنُقَاءُ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . فَهَلُمُوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ
وَالطَّرِيقَ مَضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ .
وَبَحَارٌ مُعْرِقَةٌ . وَنِيرَانٌ مُحْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ أَيْدِيكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ
تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدُّ النَّصَالِ . فَأَيْنَ فِي أَوْ كَارِكُنَّ .
فَإِنَّ الْعَجْزَ مِنْ شَانِكُنَّ . وَالْمَلِكَ غَنِيٌّ عَنْكَ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ . قَالُوا: صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي: فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ .
فَطَارُوا بِأَجْنَحَةٍ وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى
ظُلْمِ أَمْوَاجِهِ . بِإِشَارَةِ: وَمَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا . فَسَلَكَنَّ سَبِيلًا عَدْلًا .
إِنْ أَخَذْنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرْمَتَهُنَّ بِرُودَةِ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلْنَ ذَاتَ
الشِّمَالِ أَحْرَقَتْهُنَّ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهَمَّ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَخَلَاقٍ وَخَلَقٍ .
وَتَلَاشٍ وَاحْتِرَاقٍ . وَتَغَاشٍ وَاسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَافْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمُ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

وَتَضَاعَفَ نُحُولُهُ . وَتَرَايَدَ ذُبُولُهُ . فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خَمَاعًا . بَعْدَ مَا كُنَّ بَطَانًا .
وَجِئَتْهُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنَ أَوْطَانًا . فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ . ثُمَّ قَالُوا : نَحْنُ لَا زُرِيدُ إِلَّا
الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ . وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ .
وَصَبَرْنَا عَلَى ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ . ثُمَّ لَا نَسْتَعِلُّ بِالْمَلَأْسِ وَالْمُفَاخِرِ . فَوَالَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ . لَا زُرِيدُ إِلَّا هُوَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : وَيَحْكُمُ لِأَيِّ شَيْءٍ
جِئْتُمْ . وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ . قَالُوا : أَتَيْنَاكَ بِذِلَّةٍ الْعَبِيدِ . وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا زُرِيدُ . فَقَالَ لَهُمُ : أَرْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ . فَأَنَا الْمَلِكُ شِدْتُمْ أَوْ أَبَيْتُمْ .
وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ عَنْكُمْ . قَالُوا : سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ .
وَأَنْتَ الْعَزِيزُ وَنَحْنُ الْأَذِلَّةُ . وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ . فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
نَرْجِعُ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا . وَنَحِلَ عَرَانَا . وَاصْهَلَّ وَجُودُنَا مِمَّا اعْتَرَانَا .
فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ اقْتِنَادُكُمْ . وَثَبَتَ انْكِسَارُكُمْ .
فَعَلِيَ انْجِبَارُكُمْ . انْطَلِقُوا فِدَاوُوا الْعَلِيلَ . فِي ظِلِّ الظَّلِيلِ . وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
مَقِيلٍ . فَحَصَلُوا حَيْثُ وَصَلُوا . فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا . فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ .
وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ . وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ :

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامُ الرِّضَا رَجَعَتْ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَا تَرَى تَفَحَّاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَّتْ أَنْفَاسُهَا وَبُرُوقَ الْقُرْبِ قَدْ لَمَعَتْ
فَعِشْ هَنِيئًا بَوْصَلٍ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ مَعَ مَنْ تُحِبُّ وَحُجْبِ الْهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حِمِّهِ أَنْصَدَعَتْ

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الذِّكَا وَالْأَدَبِ

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُعَرَّباً
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبُعْدِ شَاوِدٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثَرِ
فَقَالَ: هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ وَأَنْبَاءُ الْغَابِرِينَ وَقِصَصُ الْمُرْسَلِينَ وَأَدَابُ
الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَمَعْرِفَةُ الْقُرْضِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُصَلِّحَةِ
وَالْمُنْسِدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ إِلَى صَاحِبِهِ تَشَدُّ الرَّحَالِ وَحَوْلُهُ يَعْتَكِفُ
الرِّجَالُ وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ وَيَبْقَى اسْمُهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
قِيلَ: فَأَنفَعُهُ قَالَ: فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ
وَتُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ وَهُوَ عَصِمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ
يُحْطَبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلُ الْأَعْمَالِ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ ثَوْبُ الْجَمَالِ وَيَلْبَسُهُ
الْفَنَى وَيُلْبِغُهُ مَرْتَبَةُ الْقَضَا قِيلَ: فَأَلْكَامُ قَالَ: عِمَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ وَقِسْطُاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْقُضْلُ وَالرُّجْحَانُ وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَكَيْفِيَّةٌ يُمَيِّزُ بِهِ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْخَالِصُ
وَالْمُشَوَّبُ وَيُعْرَفُ بِهِ الْأَبْرِيذُ وَالسَّتُوقُ وَيُنْظَرُ بِهِ الصَّفْوُ وَالْكُدْرُ
وَسَلَامٌ يَرْتَقِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى الْحَقِيرِ
وَالْحَاطِرِ وَادِلَةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَحْصِيلِ وَإِدْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَآلَةٌ

لِإِظْهَارِ الْغَامِضِ الْمُسْتَبْهِ. وَأَدَاةُ اكْشَافِ الْخَفِيِّ الْمُنْتَبِسِ. وَبِهِ تَعْرِفُ
رُبُوبِيَّةَ الرَّبِّ وَحُجَّةَ الرُّسُلِ. وَيُحْتَرَزُ بِهِ مِنْ شُبُهَاتِ الْمَقَالَاتِ. وَفَسَادِ
التَّلَوِيَّاتِ. وَبِهِ تَدْفَعُ مُضَلَّاتِ الْأَهْوَاءِ وَالْخَلِّ. وَتُبْطَلُ تَأْوِيلَاتُ
الْأَدْيَانِ وَالْمَلَلِ. وَيُنْزَهُ عَنْ غَبَاوَةِ التَّقْلِيدِ وَعُمَةِ التَّرْدِيدِ. قِيلَ :
قَالَهُ لِسَمَةِ. قَالَ : أَدَاةُ الضَّمَايِرِ وَآلَةُ الْخَوَاطِرِ. وَتَنْتَاجُ الْعُقُلِ وَآدِلَةُ
لِمَعْرِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْعَنَاصِرِ. وَعِلْمُ الْأَعْرَاضِ وَالْجَوَاهِرِ. وَعِلَالُ
الْأَشْخَاصِ وَالْصُّورِ. وَاخْتِلَافِ الْأَخْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ وَالسَّجَايَا وَالْعَرَائِزِ.
قِيلَ : فَالنَّجْوَى. قَالَ : مَعْرِفَةُ الْأَهْلَةِ وَمَقَادِيرِ الْأُظْلَةِ. وَسُمُوتِ الْبُلْدَانِ.
وَإِقْدَامِ الزَّوَالِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ. وَعِلْمُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي
الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ. وَأَمَارَاتِ الْغُيُوثِ وَالْأَمْطَارِ. وَأَوْقَاتِ سَالِمَةِ
الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ. قِيلَ : فَالطِّبُّ. قَالَ : سَائِسُ الْأَبْدَانِ. وَالْمُنْبِهُ عَلَى
طَبَائِعِ الْحَيَوَانِ. وَبِهِ يَكُونُ حِفْظُ الصِّحَّةِ. وَمَرَمَةُ الْعِلَّةِ. وَالْوُقُوفُ عَلَى
الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ. وَالْإِبَانَةُ عَنْ خَبَايَا الْأَسْرَارِ. وَعِلْمُ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ الْخَاصُّ
وَالْعَامُّ. وَيَقْتَرِئُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ. وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ.
وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَقِيرُ وَالْخَطِيرُ. قِيلَ : فَالنَّحْوُ. قَالَ : يَبْسُطُ مِنَ الْعَمِيِّ
اللِّسَانَ. وَيَجْرِي مِنَ الْخَصْرِ الْبَيَانَ. وَبِهِ يُسَامُ مِنْ هُجْنَةِ اللَّحْنِ وَتَحْرِيفِ
الْقَوْلِ. وَهُوَ آلَةُ لِصَوَابِ الْمُنْطِقِ وَتَسْدِيدِ كَلَامِ الْعَرَبِ. قِيلَ :
فَالْحِسَابُ. قَالَ : عِلْمٌ طَبِيعِيٌّ لَا خِلَافَ عَلَيْهِ. وَأَضْطَرَّارِيٌّ لَا مَطْعَنَ
فِيهِ. ثَابِتُ الدَّلَالَةِ صَائِبُ الْمَقَالَةِ. وَاضِحُ الْبُرْهَانِ شَدِيدُ الْبَيَانِ.

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقِضَةِ خَالٍ مِنَ الْمَعَارِضَةِ • حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ • مُؤَدٍّ إِلَى
 الْإِنْصَافِ وَالْإِتِّصَافِ • وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ • وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ • وَقِيَامُ
 أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالْتِجَارِ • وَثَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ • قِيلَ :
 فَأَلْعَرُوضُ • قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِمَارُ النَّظْمِ • وَرَائِضُ الطَّبَعِ وَسَائِسُ
 الْفَهْمِ • وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ • وَفَلَكَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيضِ •
 قِيلَ : فَأَلْخَطُ • قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصَّمِيرِ • وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
 الْخَبَرِ • وَحَافِظُ الْأَثَرِ • وَعُمْدَةُ الدِّينِ وَالِدُنْيَا وَلِقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى • فَهَذَا
 آخِرُ مَا حَكِي عَنْ الْجَلِاحِظِ فِي مَدَحِ الْعُلُومِ (طرائف اللطائف)

ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البحري

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَمَجْمُوعٍ •
 وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنَ الْعُمَرِ فِي الْخَفُوضِ مِنْهُ وَالْمُسْمُوعِ • فَأَلْقَيْتُهُ بَحْرًا لَا يُوقَفُ
 عَلَى سَاحِلِهِ • وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ • فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَقْتَصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكَثَّرَ فَوَائِدُهُ • وَتَنَشَّعَ مَقَاصِدُهُ • وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ
 أَخَذَ بِالتَّثْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ • فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظْرُهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ • إِذِ
 الْمُرَادُ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ • فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
 اللَّطِيفِ • فَتَمَّتْ وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خِيمَتْ فِيهِ بَابِلُ • وَقَدْ
 اكْتَفَيْتُ مِنْ هَذَا بِشَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عِبَادَةَ الْوَلِيدِ
 وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ • وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعِزَّاهُ وَمَنَاةُ •
 الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَمُسْتَحْسَنَاتُهُ • وَقَدْ حَوَتْ أَشَارَهُمْ

غَرَابَةُ الْمُحَدَّثِينَ وَفَصَاحَةُ الْقَدَمَاءِ • وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
 وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ • أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ • وَصَيْقَلُ الْبَابِ وَأَذْهَانٍ •
 قَدْ شُهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ • لَمْ يَمِشْ فِيهِ عَلَى آثَرٍ • فَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ
 عَنْ مَقَامِ الْإِغْرَابِ • الَّذِي يَرِزُ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ • وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
 الشَّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ • وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ • فَمَنْ حَفِظَ شَعْرَ
 الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ • وَرَاضَ فِي كَرِهِ بِرَاضِهِ • أَطَاعَتْهُ أَعْنَهُ
 الْكَلَامَ • وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ • فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ
 قَوْلَ حَكِيمٍ • وَتَعَامَ فَقُوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَالِمٍ • وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْبُخْتَرِيُّ
 فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى • وَارَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى • وَلَقَدْ
 حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجَزَالَ عَلَى الْإِطْلَاقِ • فَبَيْنَمَا يَكُونُ فِي شَطَفِ نَجْدٍ
 حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرَيْفِ الْعِرَاقِ • وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
 وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ • وَالشَّاعِرُ الْبُخْتَرِيُّ • وَلَعَمْرِي إِنَّهُ
 أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ • وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةِ عَالِمِهِ • فَإِنَّ أَبَا
 عِبَادَةَ أَتَى فِي شَعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمُقْدُودِ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ • فِي اللَّفْظِ
 الْمَصُوغِ مِنْ سَلَاسَةِ الْمَاءِ • فَادْرَكَ بِذَلِكَ بَعْدَ الْمُرَامِ • مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
 الْأَفْهَامِ • وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ أَتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطِ الْعَالِيَةِ • وَرَقِيَ فِي
 دِيبَاجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ • وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
 أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَقَصُرَتْ عَنْهُ خُطَاهُ • وَلَمْ يُعْطِهِ الشَّعْرُ مِنْ
 قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ • وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شَعْرِهِ بِالْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ • وَأَخْتَصَّ

بِالْإِبْدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ • وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
مُتَأَمِّمًا • وَلَا مِنْهُ مُتَمَثِّمًا • وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نِصَالِهَا • وَأَشْجَعُ مِنْ أَبْطَالِهَا • وَقَلَمْتُ أَقْوَالُهُ لِلْسَّامِعِ
مَقَامَ أَفْعَالِهَا • حَتَّى نَظُنَّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا • وَالسِّلَاحَيْنِ قَدْ تَوَاصَلَا •
وَضَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَضَلُّ بِسَالِكِهِ • وَتَقُومُ بِعُذْرِ تَارِكِهِ • وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ بِعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ إِسَانُهُ • مَا أَدَاهُ إِلَيْهِ
عِيَانُهُ • وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ •
فَأَمَّا مُفْرَطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَّا مُفْرِطٌ • وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقٍ صَارَ أَبَا
عُذْرِهِ • فَإِنَّ سَعَادَةَ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ • وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ • وَمَهْمَا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ • وَلَقَدْ
صَدَقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ آيَاتٍ يَمْدَحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ • إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا حُتْمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ • قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْدِثَ الصَّمَمَ
وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَعِثَ الْمُعْدِلَةَ الْبَعِيدَةَ عَنِ الْهَوَى • وَعَيْنِ
الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى • وَجَدْتُهُ أَقْسَامًا خَمْسَةً • خُمْسُ
مِنْهَا فِي الْعَالِيَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا • وَخُمْسٌ مِنْ جَيْدِ الشَّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
فِيهِ غَيْرُهُ • وَخُمْسٌ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشَّعْرِ • وَخُمْسٌ دُونَ ذَلِكَ •
وَخُمْسٌ فِي الْعَالِيَةِ الْمُتَهَفَّرَةِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ بِهَا • وَعَدَمُهَا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا •
وَلَوْ لَمْ يَقُلْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْ قَادُ اللَّهِ شَرَّهَا • فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ لِبَاسَ

الْمَلَامِ • وَجَعَلَتْ عِرْضَهُ شَارَةً لِّسِهَامِ الْأَقْوَامِ • وَلَسَائِلِ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ
وَيَقُولَ : لِمَ عَدَلْتَ إِلَى شَعْرِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ • فَأَقُولُ : إِنِّي
لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَاجْتِهَادًا • وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ
عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ شَاعِرٍ مُفْلِقٍ يَثْبُتُ
شَعْرُهُ عَلَى الْحَكِّ إِلَّا وَاعْرَضْتُهُ عَلَى نَظْرِي • فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيْوَانِ
أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ لِلْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِخْرَاجًا مِنْهَا لِطَيفِ
الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ • وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْدِيًّا لِلْأَلْفَازِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْجَحَ سَبْكًا • فَأَخْتَرْتُ دَوَائِرَهُمْ لِاسْتِثْنَائِهَا
عَلَى مَحَاسِنِ الطَّرْفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَازِ • وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَتَيْتُ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا • (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ الْأَسَانِينِ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ لِلْغُيُوبِ • بِسَرَارِ
الْقُلُوبِ • عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ • بِحُرُوفٍ مَعْلُومَةٍ • مُتَبَايِنَاتِ
الْأُصُورِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ • لِقَاحِهَا التَّفَكُّيرُ وَنَتَاجِهَا التَّدْبِيرُ • تَحْرُسُ
مُنْفَرِدَاتٍ • وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ • بِأَلْأَصْوَاتِ مَسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنٍ مُخْدُودَةٍ
وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ • خِلَافَ قَلَمٍ حَرَفَ بَارِيهِ • قَطَّعَتْهُ لِيَتَعَلَّقَ الْمِدَادُ فِيهِ
وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا انْتَشَرَ عَنْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَخْتَسِرَ الْمِدَادُ
عَلَيْهِ • فَهَذَا كَاسْتِدَادِ الْقَلَمِ بِشَقِّهِ وَنَثَرِ فِي الْقُرْطَاسِ بِخَطِّهِ حُرُوفًا
أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْأَتْمَاعِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ وَالْحَمَةُ

اللسان ونهسته اللهوات وقطعته الأسنان ولفظته السفاه ووعته
الاسماع عن انحاء شتى من صفات واسماء قال البخاري:
طعان باطراف القوافي كأنه طعان باطراف القفا المتكسر
١٤٩ قال بعض الكتاب يصف محبرة:

ولقد مضيت إلى الحديث أينما وإذا بحضرتي طبا رتغ
وإذا طبا إلى أنس تكتب كل ما يملئ وتحفظ ما يقول وتسمع
يتجاذبون الخبر من ملمومة بيضاء تحملها علائق أربع
من خالص البور غير لونها فكانها سحج يلوح ويلمع
إن نكسوها لم تسيل ومليكتها فيما حوته عاجلا لا يطمع
ومتى أمالوها لرشف رضاها أداها فوها وهي لا تتمع
وكانها قلبي يرضن بسيره أبدا ويكنم كل ما يستودع

وصف الخط

١٥٠ سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة.
قال: إذا اعتدلت أقسامه وطالت ألوه ولأمه واستقامت سطورده:
وضاهى صعوده حدوده وتفتحت عيونه ولم تشبه راؤه ونونه.
وأشرق قرطاسه وأظلمت أنفاسه ولم تختلف أجناسه وأسرع إلى
العيون تصوره وإلى العقول تشمره وقدرت فصوله وأنشدت
أصوله وتناسب دقيته وجليله وخرج من نمط الوراقين وبعد عن
تصنع المخبرين وقام لصاحبه مقام النسبة والحلية (للقيرواني)

قصيدة ابن البواب في وصف صناعة الخط

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّحْرِيرِ وَيَرُومُ حُسْنَ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ
 إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا فَأَرْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّيْسِيرِ
 أَعْدِدْ مِنَ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُثَقِّفٍ صَبِّ يَصُوغُ صَيَاغَةَ التَّخْمِيرِ
 وَإِذَا عَمَدْتَ لِزِيهِ فَتَوَخَّهِ عِنْدَ الْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
 أَنْظِرْ إِلَى طَرْفِهِ فَأَجْعَلْ بَرِيَهُ مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
 وَأَجْعَلْ لِحَافَتِهِ قَوَامًا عَادِلًا يَخْلُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّقْصِيرِ
 وَالشَّقَّ وَسَطَهُ لِيَبْقَى بَرِيَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
 حَتَّى إِذَا أَتَقَنْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِتْقَانَ طَبِّ بِالْمُرَادِ خَيْرِ
 فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ الْقَطِّ عَزَمَكَ كُلَّهُ فَالْقَطُّ فِيهِ جُمْلَةُ التَّدْبِيرِ
 لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ إِنِّي أَضِنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ
 لَكِنَّ جُمْلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ مَا بَيْنَ تَحْرِيفٍ إِلَى تَدْوِيرِ
 وَأَلْقِ دَوَاتِكَ بِالْدُخَانِ مُدَبِّرًا بِالْحُلِّ أَوْ بِالْحُضْمِ الْمَعْصُورِ
 وَأَضِفْ إِلَيْهِ مُفْرَةً قَدْ صَوَّلَتْ مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِجِ وَالْكَافُورِ
 حَتَّى إِذَا مَا خَمَرْتَ فَأَعْمِدْ إِلَى الْوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْخَبُورِ
 فَانْكَبِسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمَعْصَارِ كِي يَنَازِلَ عَنِ التَّشْعِيثِ وَالتَّغْيِيرِ
 ثُمَّ أَجْعَلِ التَّمْثِيلَ دَا بَكَ صَابِرًا مَا أَدْرَاكَ الْمَأْمُولَ مِثْلُ صَبْرِ
 ابْدَأْ بِهِ فِي اللَّوْحِ مُتَضَيًّا لَهُ عَزَمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ التَّشْمِيرِ
 لَا تَحْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ تَحْطُهُ فِي أَوَّلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّسْطِيرِ

فَالْأَمْرُ يَصْعَبُ ثُمَّ يَرْجِعُ هَيِّنًا وَلَرُبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
 حَتَّى إِذَا أَذْرَكْتَ مَا أَمَلْتَهُ أَضْحَيْتَ رَبَّ مَسْرَةٍ وَجُورٍ
 فَاشْكُرْ إِيَّاهُكَ وَاتَّبِعْ رِضْوَانَهُ إِنَّ إِلَهَهُ يُجِبُ كُلَّ شَكْوَرٍ
 وَارْغَبْ لِكِفِّكَ أَنْ تَخْطُبَ بَنَانَهَا خَيْرًا تَخْلِفُهُ بَدَارِ غُرُورٍ
 فَجَمِيعُ فِعْلٍ الْمَرْءُ يَلْقَاؤُ عَدَا عِنْدَ التَّقَاءِ كِتَابُهُ الْمُنْشُورُ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هَبَةُ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مَدْرَسَ أَنَّهُ :
 أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْخَوْنُ وَمَا يَحْطَى بِجُدْوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعُمُرُ
 إِنِّي لَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ حَتَّى أَرَى وَبِهِ أَنْمُو وَأَفْتَحُرُ
 وَلَوْ أَرَدْتُ مُكَافَأَةً عَلَى مَنْ أَسَدَيْتَهَا لَتَقَضَى ذُنُوبَهَا الْعُمُرُ
 عَهْدْتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذَكُّرَةً وَحَسَنَ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْعِهِ ضَرَرُ
 رَاجِعُ سَدَادِكَ فِيهِ فَهُوَ إِنْ سَمَحْتَ بِهِ أَلْيَا لِي عَلَى أَحْدَاثِهَا وَزُرُ
 وَأَحْفَظْ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ مَضَتْ بِتَاكِيدِهَا الْأَيَّامُ وَالْعَصْرُ
 وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قَسْطًا مِنْ مَلَا حَظَةٍ فَمَا يُرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُذْرُ
 فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ صُلْبٌ عَلَى الْعُجْمِ مَا فِي عُودِهِ خَوْرُ
 مُغْرَى بِمَا زَادَ فِي قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَعْرُ
 دَلَائِلُ مُخْبِرَاتٍ عَنْ مُجَابَتِهِ كَأَنَّارٍ تُخْبِرُ عَنْ ضَوْضَائِهَا الشَّرَرُ
 مِنْ مَعَشَرٍ حَلَّتِ الْعُلَيَّا بَيْنَهُمْ يُعَدُّ شُكْرُهُمْ فُتْرًا إِذَا شُكِرُوا
 ١٥٣ قَالَ لِسَانُ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ . وَاجْعَلْ

الْخَيْرِ دَابَّهِمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غَاظَةِ
 جَنَانِكَ . وَأَكْثَمَ عَنْهُمْ مَمْلِكَ . وَأَفْضَلَ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَأَشْبَهَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الصَّرَارِ . وَالْمُهْلَةَ عِنْدَ اسْتِخْفَافِ الْجَرَارِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَارِ . وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحَسَّنَ
 الْأَصْطِنَاعَ وَالْإِحْتِرَاسَ . وَالْإِسْتِكْثَارَ مِنْ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَالْمَعْلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرِهَ إِلَيْهِمْ مُجَاسَةَ الْمُلُوكِ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينَ . جَاهِدَ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذَرَ الْكُذِبَ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشَّحَهُمْ إِذَا آتَتْ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هُدًيًا . وَأَرْضَعَهُمْ
 مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ ثَدْيًا . لِيَتَمَرَّنَهُمْ عَلَى الْإِعْتِيَادِ وَتَحْمِلِهِمْ عَلَى
 الْإِزْدِيَادِ . وَرَضَّعَهُمْ رِيَاضَةَ الْجِيَادِ . وَأَحَذَرَ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ
 دَاوُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارَكَ الْخُلَاقَ الذَّمِّيَّةَ كُلَّ
 مَا نَجَمَتْ . وَأَقْدَعَهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضَعِيفُهَا . وَيَقْوَى ضَعِيفُهَا :
 إِنَّ الْعُصُونَ إِذَا قَوْمَتْهَا أَعْتَدَلَتْ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتْهَا الْخُشْبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْحَلِّ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُوْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ إِمْكَانِكَ . وَفَرِّقَهُمْ فِي بِلَادِكَ تَفْرِيقَ
 عَبْدَانِكَ . وَأَسْتَعْمِلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثَّمَنَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثَّمَنَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْمُحِبَّةِ وَالْمُحِبَّةِ

(للمقري)

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا
أَقْتُلُ بِالْأَعْرَارِ وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . وَصَرِيحُ الْأَقْلَامِ أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ
الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مَرَادُهُ وَإِلَّا
فَيَالِ السَّيْفِ مَعَادُهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّيْبِ
يَبِضُّ الصَّفَاحَ لَا سُودَ الصَّخَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيُّ :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي أَلْجُدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ أَلْجُدُ لِلْقَلَمِ
أَكْتُبُ نَبَأًا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخَوْفٍ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ أَلْمَنِةٍ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ أَلْمَنِةٍ فِي جَانِبِ وَحَدُّ أَلْمَنِةٍ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَنِ صَدْرَهُ كَالسِّنَانِ وَفِي الرَّدْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقَاضِبِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ
مُقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُقَصِّصًا
تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاؤُهَا
كَالْحَيَّةِ الرَّفْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ
يَرْمِي بِهِ قَلَمًا يُخِجُ لَعَابَهُ
فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُشَقَّفًا
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِي :

أَخْرَسُ يُنْيِكَ بِإِطْرَاقِهِ
يَذْرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ
أَخْرَقَ لَوْ لَمْ تَبْرِهْ لَمْ يَكُنْ
كَالْبَجْرِ إِذَا يَجْرِي وَكَالَلَّيْلِ إِذَا
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّار :

أَهْيَفُ مُمَشَوْقُ بِخَرِيكِهِ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَدُهُ
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ
كَأَنَّمَا يَسْتَحِبُّ فِي إِثْرِهِ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهُدَى
وَلَا سَمَا لِلْمَلَائِكِ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إَعْلَمَنَّ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

بها على أمره . إلا أن الحاجة إلى السيف في أول الدولة مادام أهلها
في تهديد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم
فقط مُنفذ للحكم السلطاني . والسيف شريك في المعونة . وكذلك
في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم .
فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم
في حماية الدولة والمدافعة عنها . كما كان الشأن أول الأمر في تهديدها .
فتكون للسيف منزلة في الحالتين على القلم . ويكون أرباب السيف
حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً . وأما في وسط الدولة
فيسكن صاحبها بعض الشيء عن السيف . لأنه قد تهدأ أمره ولم
يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة
الدول وتنفيذ الأحكام . والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة
إلى تصرفه وتكون السيوف هائلة في مضاجع غودها . إلا إذا نابت
نابسة أودعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها .
فيكون أرباب الأعلام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم
نعمة وثروة . وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً . وفي
خلواته نجياً . لأنه حينئذ آتاه التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه
والنظر في أعطائه وتثيف أظرافه والمباهاة بأحواله . ويكون الوزراء
حينئذ وأهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن ناظر السلطان حذرين
على أنفسهم من بؤاديره . وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم

لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفَظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ

(مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءُ يُقَابِلُهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُوتٌ أَنْ السُّيُوفُ لَهَا مَذْأَرْهَفَتْ خَدَمُ
١٥٨ قَالَ حَبِيبُ بْنُ قَلَمٍ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَيْرِيِّ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَنَانِهِ تَصَابُ مِنَ الْمَرْءِ الْكَلْبِيِّ وَالْمُفَاصِلُ
لَهُ الْجُلُوتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا نَحْمِيهَا لَمَّا أُحْتَفِلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْحَافِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلُ
لَهُ دِيمَةٌ طَلٌّ وَابْكِنٌ وَقَعْمَا بِأَثَرِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِنْ أَسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْحُمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْحِيَامِ الْجَحَافِلُ
إِذَا اسْتَعْدَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاجِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
رَأَيْتُ جَالِيلاً شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفُ ضَنَى وَسَمِينَا خَطْبَهُ وَهُوَ نَاجِلُ

١٥٩ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا أَفْتَخَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ وَعَدَّوْهُ مِمَّا يَكْسِبُ أُجْبَدَ وَالْكَرَمُ
كَفَى قَلَمُ الْكِتَابِ فَخْرًا وَرَقْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
لِأَيِّ الْفَرْجِ بْنِ الدَّهَّانِ

قَوْمُ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمَنِيَّاتِ
تَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعْدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفِيَّاتِ
فِي شَرَفِ الْكِتَابِ

١٦٠ الْكِتَابُ عِمَادُ الْمَلِكِ وَآزْكَانُهُ . وَعَيْنُهِ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ . وَبِهَاءُ
الدُّوَلِ وَنِظَامُهَا . وَرُؤُوسُ الرِّيَاسَةِ وَقَوَامُهَا . مَلَائِسُهُمْ فَخْرَةٌ . وَمَخَاسِنُهُمْ
بَاهِرَةٌ . وَشَمَائِلُهُمْ أَطْيَفَةٌ . وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ . مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
عَلَيْهِمْ . وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ . بِهِمْ تُحَلَّى الْعَوَاطِلُ . وَتَبْتَسِمُ
تُغُورُ الْمَعَافِلُ . مَجَالِسُهُمْ بِالْفَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ . وَبِنِدَاهِهِمْ أُنْدِيَةُ الْقُصَادِ
مَعْمُورَةٌ . يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعُ الْبَدِيعِ . وَيَنْزَهُونَ الْأَحْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشُّيعِ وَالتَّوَشُّيعِ . هُمْ أَهْلُ الْبَرَاءَةِ وَاللَّسَنِ . وَشَيْئُهُمْ لَفٌ
الْقَبِيحِ وَنَشْرُ الْحَسَنِ . يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَدْحِ . وَلَا يَمْلُؤُونَ
مِنْ مَرَاجِعَةِ الرَّاعِيَيْنِ فِي الْمُنْحِ . دَائِبُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ .
وَعَدَمُ التَّوَرِيَةِ عَنِ الْعَانِي وَالْمُؤْهِفِ . يُجْلُونَ الْكَبِيرَ . وَيُجْلُونَ الصَّغِيرَ .
وَلَا يُخْلُونَ بِمِرَاعَةِ النَّظِيرِ . لَهُمْ إِلَى الْحَزَنِ رُجُوعُ وَاللِّفَاتُ . وَبِالْحِمْلَةِ
فَقَدْ حَارُوا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ :

كَتَبَتْ فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قَسَتْ خَطَاكَ بِالسَّحْرِ

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ لُجَةِ الْخَجَرِ
بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تَخْتَلِسُ بِلُطْفِهَا الْأَحْلَامَ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةُ
الْأَزَاهِرِ . لَيْثَةُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِمَةٌ .
وَتَسْكُتُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ السَّمْعَ مُتَكَلِّمَةٌ . قَدْ أَعْتَدَتْ قُدُودَهَا .
وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاةِ سَعُودَهَا . أَسَانَتْهَا مُرْهَفَةٌ . وَمَطَارِفُهَا مُنَوِّقَةٌ .
تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرِّهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
تَمِيسُ فِي وَشْيِ أَبْرَادِهَا . وَتَشْرَحُ الصُّدُورَ بِعُدُوبَةٍ إِيْرَادِهَا . نَشَأَتْ
عَلَى سُطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَلَّمَتْ الْآخَنَ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
الْأَنْابِيبِ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيبِ . تَدْهَشُ النَّاطِرُ وَتَحْجِلُ
الْعَامِلَ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْتِطَاءٍ غَيْرِ الْأَنَامِلِ . الشَّجَاعَةُ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
وَالْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالْمُضَارَةِ نَوَاطِرُ الْبَهَارِ . وَتَطْرِزُ
بِاللَّيْلِ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَبْرُكْ مَقَالًا لِإِقَابِلِ . وَإِنْ صَالَتْ
رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَتِرَةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . تَخْدَتُ لِلطَّرْسِ فَرَفِعَتْ إِلَى
أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسُمِّيَتْ بِالْقَصَبِ (لكل الدين الحلي)
١٦١ إِعْتَمَدْنَا وَهَبَ بِقَلَمٍ صَابِ فَصَرَ الْقَلَمُ فِي يَدِهِ فَأَنشَدَ :

إِذَا مَا أَتَقَيْنَا وَاتْتَضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَادُ يُصِمُّ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
تَسَاقَطَ فِي الْقِرطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمِثْلِ الْأَلَاكِ نَظْمُهَا وَتَشِيرُهَا
تُقَوِّدُ آيَاتِ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْمَلَاعَةِ نُورُهَا
تَظَلُّ الْمَنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شَفْنَا وَتَقْضِي أُمُورُهَا

الْبَابُ التَّاسِعُ فِي اللَّطَائِفِ

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الْغَضَبِ . رُبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاهُ بِدَوَاتِهِ
أَوْ شَتَّاهُ فَأُخْشِ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَأَشَدَّهُ :

لَمَّا أَمْنَحْنَا بِالْوَزِيرِ رِكَابَنَا مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
ثَبَّتَ رَحًا مُلْكِ الْإِمَامِ ثَابِتٍ وَأَفَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ
يَقْرِي الْوُفُودَ عَالِقَةً وَسَمَاحَةً وَالنَّاسِ كُيُنَ مُهَنَّدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غِيثًا مُرْعَا مُتَخَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَأَرْجَحَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى صَحِرَ أَبُو عَبَّادٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ فَقُلْ : قَرْنَا نَا أَوْ صَفَعْنَا وَخَلَصْنَا . فَضَحِكَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَضَحِكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (لَا بِنِ الطِّقَطَقِي)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا :

عَبَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ فَأَبَدَتْ لِي الْعُذْرَا
بَنُو الْجَهْلِ أَبْنَائِي وَأَمَّا أَلْوَالِي النُّهَى فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْأُخْرَى

قَالَ آخَرُ فِي الشُّكْرِ :

لَقَدْ أَصَحَّتْ خِلَالُ أَبِي حُصَيْنٍ
كَسَانِي طَلٍّ وَابِلِهِ وَآوَى
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سُقِيَتْ سَحَابًا
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَكَّبًا
قَالَ آخَرُ فِي قِلَّةِ الْمَرْوَةِ :

مَرَرْتُ عَلَى الْمَرْوَةِ وَهِيَ تَبْكِي
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي
قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي الْمَوَدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوُدَادَ وَصَنَّتُهُ
فَلَا تُنْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى
فَهَا هُوَ مَخْتُومٌ لَكُمْ بِخِتَامِ

مروان بن ابى حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنشَدَهُ :

أَبْرَ مَا تَرْجُو الْجِيَادُ حَلَاقَهُ
وَزِيرُ إِذَا نَابَ الْحِلَافَةَ حَادِثُ
فَقَالَ جَعْفَرٌ : أَنَشِدْنِي مَرِئِيَّتَكَ فِي مَعْنَى بَنِ زَائِدَةَ فَأَنشَدَهُ :

أَقْمَنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ
مُقَامًا لَا زَيْدُ بِهِ زَوَالَا
وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَلَ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَتَاكَ عَلَى هَذِهِ الْمَرَّةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوُلْدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنٍ حَيًّا ثُمَّ سَمِعَ مِنْكَ كَمْ كَانَ يُشَبِّكُ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبَضَ مِنَ الْخَازِنِ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةِ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانُ يُذَكِّرُ جَعْفَرَ أَوْ مَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحْتَ مَكَافِيَاءَ عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجَوَّدَ بِهِ سِجَالًا
 فَجَلَّتِ الْعَطِيَّةُ يَا ابْنَ يَحْيَى لِنَادِيهِ وَلَمْ تَرِدِ الْمَطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلَتْ نَوَالَا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ إِكْلَالِ مَالٍ تَجَوَّدَ بِهِ يَدَادُ يُفَادُ مَالَا

الصلوات والصلوة

١٦٥ وَمَا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجَنُّبِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةَ أَحَدِ بْنِ
 الْمَدِيرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : اْمْضِ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تَفَارِقْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَاسَهُ . فَتَحَامَدُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْمُجِيدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الشَّيْدِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشُدَ :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُجْمَعُ الْوَلَاةُ
 فَقُلْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا وَمَنْ كَفَّاهُ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتُ
 فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمَدَحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ
 فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقِبَتِي الْهُمُومُ الشَّاعِلَاتُ
 فَيَأْمُرُنِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُنَشِّطَنِي الصَّلَاتُ
 فَتُصْلِحْ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيُصْلِحْ لِي عَلَى هَذَا الْمَمَاتُ

فَضَحِكَ وَأَسْتَظَرَّهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصَّوْلِيُّ قَالَ: وَلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
 فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَّادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
 وَجَاءَنَا مِنْ ضَلِيلِهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
 فَأَكْنَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَأُسَبِّشَرَ الْمَلِكُ بِمِيلَادِهِ
 وَأَبْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرَحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
 كَأَنَّنِي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
 فِي مَحْفَلٍ تَحْقُقُ رَايَاتُهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَرَضِيَ عَنْهُ (الانغاني)

معن بن زائدة والثلاث جوارٍ

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ فَعَطِشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

غَلَمَانِهِ مَاءً • فَيَيْنِمَا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بِثَلَاثِ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتٍ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقَيْنَهُ • فَطَلَبَ شَيْئًا مِنْ أَمَالٍ مَعَ غَلَمَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ • فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنَانَتِهِ نُصُولَهَا مِنْ ذَهَبٍ •
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ •
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنْ الْأَبْيَاتِ • فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرَكَّبُ فِي السَّهَامِ نُصُولَ تَبَرٍ وَيَرْمِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا

فَلِمَرَضَى عِلَاجٍ مِنْ جِرَاحٍ وَأَكْفَانُ لِمَنْ سَكَنَ الْخُودَا

وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَحَارِبٍ مِنْ فَرَطِ جُودٍ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى

صَيَّغَتْ نُصُولَ سَهَامِهِ مِنْ عَسْجِدٍ كَيْ لَا يُفَوِّتَهُ التَّقَارِبُ وَالنَّدَى

وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنَ الذَّهَبِ الْأَبْرِزِ صَيَّغَتْ نُصُولَهَا

لِيُنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَائِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلَهَا

الحسين بن الضحاك عند المتبرك

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الصَّحَّاحِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا

لَهُ أَرْزَاقُ مَمَاتٍ فَقُطِعَتْ أَرْزَاقُهُ • فَقَالَ يُخَاطِبُ الْمُتَوَكِّلَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ

يَجْعَلَ أَرْزَاقَ أَبِيهِ الْمُتَوَفَّى لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بِوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ

وَشَبِيهَكَ الْمُعْتَرِّ أَوْ جَهْ شَافِعٍ فِي أَعْمَالِنَا

يَا أَبْنَ الْخَلَّافِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا الْمُتَأَخِّرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأُأَيَّامُ تَحْتَرِمُ الْقَرِيْنَا
 وَمَضَى وَخَلَّفَ صَبِيَّةً بِعِرَاصِهِ مُتَلَدِّدِينَ
 وَمُهَيَّرَةً عَبْرَى خِلَافٍ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَ
 أَصْبَحْنَ فِي رَيْبِ الْحَوَا دِثٍ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةُ جِرَايَةً كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِنَا
 فَأَمَّنْ بَرْدَ جَمِيعٍ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَ
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤَمِّلُ أَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلِينَ
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسْلَامٌ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمْلِي نِضْوًا تَعَاوَدَهُ تَعَاقَبُ الْيَأْسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَأْسِ

الباھلي والرشد

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاءٌ
 يَمَانٌ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسْطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 قَوْذِيهِ . وَارْخَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِيُّ خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْدَفَعَ فِي شِعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِيُّ أَسْمَعُكَ مُسْتَحْسِنًا وَأَنْكُرُكَ مُتَمَهِّمًا . فَقُلْنَا
 بَيْتَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَعْني مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْمُأْمُونَ ابْنَيْهِ وَهَمَا
 حِفَافَاهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْقَرْدِدِ . وَأَرْجَمْتَنِي

عَلَى السَّهْلِ الْحَدَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ السَّوَابِي عَلَى
الْبَدِيَّةِ . فَأَرَوْدُنِي تَتَأَلَّفُ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنُ رَوْحِي ، قَالَ : قَدْ
فَعَلْتَ وَجَعَلْتَ اعْتِدَارَكَ بَدَلًا مِنْ امْتِحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفْسَتَ الْخِنَاقِ . وَسَهَلَتَ مَيْدَانَ السَّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ قُبَّةِ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَ عَوْدُهَا
هَهَا طُغْيَانَهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودُهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلِّ وَلَا تَكُنْ مَسَلَّتِكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهَنِيْدَةُ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خَلْعٍ (لابن عبد ربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَعْتَذِرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمَنْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكِّمْ غَنَى اخْلَاقِكَ الْغَرِّ فِي قَهْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَفْوُكَ تَنْشُرُ الْقَصْرَ فَأَخْتِمُ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَلْتَمَسَ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُنَوَارَ لَهُ ثَمَرٌ فِي الْوَقْتِ يَتِمُّ تَتِمُّ الْمَرْءُ وَالْبَصَرَا
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدُّرَارَا
فَكُنْ لَفْظُكَ فِي آلائِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَائِهِ ثَمَرًا
تَسَابَقًا فَأَصَابَا الْقَصْدَ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمَرٍ قَدْ سَابَقَ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رِيَاءٌ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
رُكْبٍ مِنْ شُكْرِي وَبِرِّكَ صُورَةٌ فَبِرِّكَ بِي حَيٍّ وَشُكْرِي نَاطِقُ

١٧٣ وَقَالَ يَعْتَذِرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُوصِلِيِّ وَتَذْخِبَ عَنْ بَابِهِ :
 قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا وَأُغْفِرُ مِنْ شَيْمِكَ فَأَمَهْدُ لِعَذْرِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
 وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْخُذَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الحليل ويزيد بن المزيدي

١٧٤ وَلِدَ إِيْزِيدُ بْنُ مَزِيْدٍ ابْنُ فَاتَاةَ عَلِيٍّ بْنِ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْمِعْ أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَلْشَدَّهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّئَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
 يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النِّزَالِ
 جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيُّونَةٍ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
 عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالِ
 وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ الْأَيَّالِ
 حَتَّى زَاهُ قَدْ عَلَا مِنْبَرًا وَقَاضٍ فِي سُؤَالِهِ بِالْأَسْوَالِ
 وَسَدَّ ثَغْرًا فَكُنْ شَرُّهُ وَقَارِعَ الْأَبْطَالِ تَحْتَ الْعَوَالِ
 كَمَا كُنَّا ذَاكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنْ مِثَالِ

فَأَسْرَلَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الآغَانِي)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صُمَادِحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
 يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مُنْتَرَهَاتِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبَهْجُ .
 وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مِسْكِيهَا الْأَرِيحُ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَغْصَانِهَا . وَتَكَكَّلَتْ
 بِالْأَلْيَاءِ الطَّلَّ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ

أَحَدِ وُزَرَآءِ دَوْلَتِهِ . وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِدِيهَا فِي وَرِيْقَةٍ
كَرْنَبٍ يَعُودُ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَاسْقُطْ سُقُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَتَحْنُ عِمْدٌ بَعِيرٌ وَسُطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَأُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ
بَادِيسَ بِالْمُهَدِّيَةِ فِي الْمِيدَانِ وَقَدْ رَمَى بِالشَّابِّ فَصَنَعْتُ فِيهِ بِدِيهَا :
يَا مَلِكًا قَدْ خَلَقْتَ كَفُّهُ لَمْ تَذَرِ إِلَّا الْجُودَ وَالْبَاسَا
إِنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ مَعَ بَعْدِهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمَنَّى الْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى لِنَشَابِكَ بُرْجَاسَا
١٧٧ سَخِطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأُسْتَرَضَاهُ فَأَمْتَمَعَ .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ ابْنُ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوَكَ الْمَأْمُولَا
فَكَمْ أُرْتَجِيْتُكَ فِي إِلَّتِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلَهَا أَحَدٌ فَنِلْتُ السُّوْلَا
وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا وَوَجَدْتُ حَامَكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلَا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُبُكِ يَزْدَادُ عَفْوَكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طَوْلَا
فَالْعَفْوُ أَجَلٌ وَالْتَفَضُّ بِأَمْرِي لَمْ يَعْدَمْ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلَا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بِدَائِعِ الْبِدَائِعِ لِلْأَزْدِيِّ)
١٧٨ وَشَيْءٌ بِابْنِ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَجَافَاهُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

وَلَا غَرْوَ أَنْ تَعْفُو وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ غَدَا يَعُودُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجَرَائِمِ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ يُبُوتُ رَفِيعَةً تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الشَّنَاءِ بَدْعَانِ
 إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَنِعْ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَكَارِمِ
 وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ الْأَزْهَارَ غَيْرَ الْكَمَائِمِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لِنُورِ سَمْعَتِهِ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُوا الْعَفْوَ فِي زِيِّ ظَالِمٍ
 فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَّلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كُتِبَ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مَجْدٍ بِمَجْدِهِ وَبِحِجْدِهِ
 أَتَاكَ نَجْلُ خُرُوفٍ فَأَمِنَ عَلَيْهِ بِحِجْدِهِ

١٧٩ كُتِبَ آخِرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الشَّعْرُ عَنْ أَوْصَافِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرَفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشِمْنَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
 ١٨٠ لِأَبِي الْوَلِيدِ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاةٌ عَجَّاجَتِي وَالْحَرْبُ تَقْعُدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَتَمُرُّ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النُّفُوسِ يُحْجُمُ
 مَرَقَتْ لَمْ مِنْهَا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نُجُومُ

١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُون :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَعِلْوَدَ الْحَجَى لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعُلَى تَعْتَرِفُ
 عَبْدُكَ بِالْبَابِ فَقُلْ مُنْعَمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ

١٨٢ كُتِبَ ابْنُ هَذِيلٍ الْغَزَارِيُّ لِلْغَنِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانِ ابْنِ الْحَطِيبِ :

أَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَابِرٍ إِذْ عَدَا قَلْبِي مِنَ الْبَلَوَى جُذَاذَا
غَيْرُ صَاكٍ أَحْمَرٍ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ اَعْتِنَاءَ صَحِّ هَذَا
١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّ بِعُضْ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرُدَّهُ فَقَالَ مُعْتَذِرًا :

إِذْ كُنْتُ حِينَ أَلْقَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيِبِكَ
فَشَغَلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ
١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنَ الْقُرَيْبَةِ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
بِالشَّعْرِ . فَقَالَ : آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ :

تَبَغَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهُ الْأَرْضَ مُعْرِضٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَلَمْ يَدْرِ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مَالِجٌ
بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا التَّبَاكِي وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيحٌ
فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ :

تَنُوحُ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَبِالْفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ
وَكُنْتَ بِهِ وَعِزَّكَ فِي نَعِيمٍ مِنْ الدُّنْيَا وَقَلْبُكَ مُسْتَرِيحٌ
فَمَا زِلْتَ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثُّنُنُّ الرِّيحُ
١٨٥ لِأَمِيرِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْمَعَرِّيِّ فِي الْمَرْقِصِ :

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبًا عَرَّتْنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْقَطْرِ
لِتَنْظُرَ نَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرَتْهَا إِلَى الصَّخْرِ فَجَرَّتَ الْعُيُونُ مِنَ الصَّخْرِ
وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صَبِيَةٌ قَدْ رَكَتَهُمْ يُطْلَمُونَ إِطْلَالَ الْفِرَاحِ إِلَى الْوَكْرِ
جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جَنَايَةً فَأَثَقَلَتْ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

١٨٦ لِتِلَاجِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ فِي الْمُرْقُصِ :

وَوَاللَّهِ مَا أَخْرْتُ عَنْكَ مَدَائِحِي لِأَمْرِ سِوَى أَيْ عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رَضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَاغَ أَنْ أَهْدِيَ إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلَاجُ نَقِصَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدِي إِلَى الْبَحْرِ

١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحِ الْمُرْسِيِّ لِلرَّائِسِ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانَهُ فَقَطَعَ مَدَحَهُ :
هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَثْنًا بَيْنَكُمْ فِي دَوْحِ مَجْدِكُمْ أَقُومُ وَأَقْعُدُ
إِنْ تَسَلَّبُونِي رِيَشَكُمْ وَتَقْلَصُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أُغَرِّدُ

١٨٨ كَتَبَ الْحَمْدَانِيُّ إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرِّقَّةِ :

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا لَا فَرَقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا
يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ الْفِرَاقُ فَوَادَا كُنْتُ تَوْنُسُهُ وَزَادَ بَيْنَ الْجُنُونِ الدَّمْعُ وَالسَّهْدَا
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ شَخْصًا لَا أَرَى أُنْسًا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّي وَعَلَى أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَدَنِي وَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظُمُ فِي الشَّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضَلًا وَأَنْظُمُ فِيهِ الشَّعْرَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّيْتُ فُضَائِلَهُ وَفَاتَ سَبَقًا وَحَارَ الْفَضْلُ مُنْفَرِدَا
إِنْ قَصَّرَ الْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعَذَرَ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ الْمُخْذُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ يَدَا
أَبْقَى لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدَدَا

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: الْعَرَبُ كَأَلْبَدَنٍ وَقُرَيْشٌ رُوحُهَا. وَقُرَيْشٌ رُوحُ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبَاءُهَا وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مِلْحُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّامُ الْأَصْخَمُ. وَالْكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلِبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ غَضَرٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْغُرْسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَثِيقُ وَمَعْدِنُ الْقَهْمِ وَيَبُوعُ الْعِلْمِ. وَشَهْلَانُ ذَوَا النِّصَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسَّيْفِ. الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ مَعَ الْأَنَانَةِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْجُرْمِ. وَالْقَصْدُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحُ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمُتَقَدِّمُ. وَالسَّامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلْمَاءِ الَّذِي لَا يُجَسَّهُ شَيْءٌ. وَكَأَلْمَسِ الَّتِي لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلْذَهَبٍ لَا يُعْرِفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلْنَجْمٍ لِلْخَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمْآنِ (للقيرواني)

مديح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَغْدَادَ فَتَلَقَّاهُ وَجْوهُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنْ رِعِيَّتِكَ. تَقَدَّمْتُ مِنْ قَبْلِكَ. وَأَتَيْتُ مَنْ بَعْدَكَ. وَآيَسْتُ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ. أَمَّا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

فِيمَا بَقِيَ فَلَا زُجُودَ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُوكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصْبَ لَنَا
 جَنَابِكَ وَعَذْبَ ثَوَابِكَ . وَحَسَنَتَ نَظَرَتِكَ . وَكَرَمَتَ مَقْدَرَتِكَ .
 جَبَرَتَ الْفَقِيرَ . وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ . وَأَخَيْرُ بِنَائِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنَّصْرُ مَنْوُطٌ بِلَوَائِكَ . وَالْحِذْلَانُ مَعَ أَلْوِيَةِ حُسَادِكَ .
 وَالْبِرُّ فِعْلُكَ . قَدْ تَطَحَّطَ عَدُوُّكَ غَضَبِكَ . وَهَزَمَ مَقَابِلَهُمْ مَشْهَدُكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدْلُكَ . وَشَسِعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَفْرُكَ . أَلْذَّهَبُ عَطَاؤُكَ . وَالْأَوَاةُ رَمْزُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لُحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ

(لأبن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إني لم أَر في كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصَانِيفِ
 الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَغْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَشْكَلَ لِلْعَجَائِبِ الْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَكَثَرَ تَضَمُّنًا
 لِأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَنَكَتِ الْأَدَبِ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ الْعَصْرِ . وَكَمَالُ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مُضْجَعَهُ . وَطَيْبَ مَهْجَعَهُ . إِنْشَاءً فَاخِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَصْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجِزًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُعْزِرًا . نَعَمْ كِتَابٌ بَدِيعٌ
 لَهُ قَدْرٌ رَفِيعٌ . قَدْ نَمَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْإِعْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَلَمَّْا خَرَجَ مَقْبُولُ النِّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيمَا بَيْنَ الْأَنَامِ . أَكْبَأَ أَبْنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاظَبُوا عَلَى تَفْهَمِ جَمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زَبَانًا

خَبَطُوا فِيهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُعْصِلَةِ عَمِيَاءَ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهِ بِلَا دَلِيلٍ ... (للطَّرْزِي)
١٩٢ قَالَ الْبَرْعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْفَتَى ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جَرَتْ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يُلَوِّي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَافَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصَبًا وَأَخْصَبَ رَبْعًا وَالزَّمَانَ جَدِيبُ
هُوَ الْكَوْزُ الْفَيَاضُ فِي آلِ فَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَجْلُو وَالزَّمَانُ يَطِيبُ
عَمَامُ يَعْمُ الْخُلُقُ ظِلًّا فَسَائِلًا لِكُلِّ مَنْ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيتَ الشَّائِنِينَ عَجِيبُ
أَوْمَلْ مِنْكَ الْبِرَّ وَالْبِرَّ وَاسْمُ وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمَّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقَمَّ بِي وَعَامِلَنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
وَصُنْ مَاءَ وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي فَأَلْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَرَّ عُصْنُ فِي الْأَرَالِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَتُوبُ

١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدِيرِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكِّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوِيَ وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَأَقَّةَ . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ أَسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
أُلْفَتِحُ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَتَانَا بِالْأَسْرُورِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

أَخَاصَتْ فِيهِ شُكْرُهُ وَوَقَّيْتُ فِيهِ بِالذُّورِ
لَمَّا أَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شُعْبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّورِ
مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْفُؤَا دِ وَبَيْنِ مُكْتَتِبِ الصَّيْرِ
يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلْخُطْبِ أَحْطِيزِ
كَأَنْتِ جُفُونِي ثَرَّةٌ أَوْ أَمَاقِ بِالذَّمْعِ الْفَزِيرِ
لَوْ لَمْ أُمْتَ جَزَعًا لَعَمَ رُكَّ إِنِّي عِزُّ الصُّبُورِ
يَوْمِي هُنَا لِكَ كَالسَّيِّدِ نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلِ أَوْ حَايَ عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ خَضَّ مِ الْعُودِ ذَا وَرَقِ نَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْحِلَا فَةً وَهِيَ أَرْسَى مِنْ ثَبِيرِ
قَدْ حَالَتْكَ وَعَاقَدَتْكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ لِلْفَتْحِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَبِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوَدَّ مَحْضٍ
وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ فَمَقْدَمُ بَانَ يُحْمَلُ إِلَيْهِ السَّاعَةَ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا:

أَعْلَا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالْأَنْجَبِ
فَتَى زَارَ وَكَمَلَهَا وَأَخِي أَوْ جُودِ حَوَى عَانِيَهُ مِنْ كُتُبِ
جَاءَ الَّذِي تُفْرَجُ أَلْهُمُومُ بِهِ حِينَ يُلْزُ الْوَضِيزُ بِالْحَقَبِ
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَارِهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ
يُطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِأَلَا حَطَبِ

أَيْتُ بِحَقَّانَ قَدْ حَمَى أَجْمَا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنَزِلِ أَشْبِ
 شِبْلَاهُ قَدْ أَزَيَا بِهِ فَهُمَا شِبَاهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَعِبِ
 قَدْ وَمَقَا شَبَّحَهُ وَسِيرَتُهُ وَأَحْكَمًا مِنْهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
 نِعَمَ أُلْقَى تُقَرَّنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاوِيِ الْخُصُومِ لِلرُّكَبِ
 تَرَى لَهُ الْحِلْمَ وَالنَّهْيَ خُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلِ جَاحِمِ اللَّهَبِ
 سَيْفُ الْإِمَامَيْنِ ذَاكَ وَذَا إِذَا قُلَّ بُنَاةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
 ذَا مَوَادَّةٍ لَا يُخَافُ نَبُوتَهَا وَدَيْنُهُ لَا يُشَابُّ بِالرَّيْبِ
 فَلَمَّا تَعَمَّيَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا . وَإِنْ
 شِئْتَ أَثْبَنَّاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَدِيحِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ
 إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

ثَنَاءٌ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبٍ لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ وَأَخِي ثَرَاءِ
 وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
 فَضُوحِكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَلْقَى . وَقَالَ : لَقَدْ لَطُفْتَ حَتَّى تَخَلَّصْتَ مِنْهَا .
 صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَلَّةً
 (الآغَانِي)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَمْدَحُ آلَ فَرِيعُونَ :

بُنُو فَرِيعُونَ قَوْمٌ فِي وُجُوهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِ الْعَالِي
 كَأَنَّمَا خُلِقُوا مِنْ سُودٍ وَعَالَا وَسَارَ النَّاسُ مِنْ طِينٍ وَصَلَّالِ
 مَنْ تَقَى مِنْهُمْ تَقَلُّ هَذَا أَجْلُهُمْ شَانًا وَأَسْفَحَهُمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَّاتَ عَنْدهُمْ
أَفَادَنِي الْمَلِكُ الْمُيْمُونُ دَلَامُوهُ
وَأَشْتَقُّ مِنْ حَمِّهِ بَحْرًا طَغَى وَطَمَا
فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ
١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَصْرِ :

أَبَا نَصْرٍ نَصِرْتُ عَلَى الْأَعَادِي
وَصِرْتُ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامًا
بِرَائِي يَهْزُمُ الْجَيْشَ اللَّهُامَا
وَعَزَمَ يُخْلِلُ السَّيْفَ الْحُسَامَا
١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ
فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا
مَا بَقِيَ مِنْ مَالِهِمْ أَوْ مَا هَلَكَ
عَقَلَتِ السُّنَنُ عَنْ قَوْلٍ لَا
فَهِيَ لَا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكَ
مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَاجِدٌ
لَا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكَ
زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زَيَّنَتْ
بِنُجُومِ اللَّيْلِ آفَاقُ الْفَلَكَ

١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أُحَيْمَةَ بْنَ الْجَلَّاحِ :

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبُ
فَنَادِ أَبَا عَمْرٍو أُحَيْمَةَ يَسْمَعُ
بَنَى فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمَجْدِ مَنْزِلًا
لَهُ فَوْقَ أَكْثَافِ السَّمَاءِ كَيْنِ مَوْضِعِ
وَأِنْ هَزَّ فِي يَوْمِ الْكُرْيَةِ سَيْفُهُ
رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السَّيْفِ يَمْعُ
وَأِنْ وَهَبَتْ كِفَاهُ وَالْعَيْثُ هَاطِلٌ
يَدُومُ عَطَاؤُهُ وَالسَّحَابُ يُثْقَلُ
وَيَأْمَنُ فِي أَيْمَاتِهِ كُلُّ خَائِفٍ
وَيَشْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

مَنَاقِبُ فِي الْجَلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَّبَعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

تَرَكَ الْمَنَابِرَ وَالسَّرِيرَ قَرِضًا وَلَهُ مَنَابِرٌ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيرٌ
 وَلِغَيْرِهِ يُجْبَى الْخُرَاجُ وَإِنَّمَا يُجْبَى إِلَيْهِ فَحَامِدٌ وَأَجُورٌ

٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى عِلَالَ الْأَبْرِيَا ظَاهِرًا وَدَخِيلاً
 حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا لَمْحْمُولًا
 ٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غَضْنَا وَأَسْتَمَنَّكَ فِي النَّوَابِ رُكْنَا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأَقَّى فِعْلًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا
 فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ كَانَ سَهْمًا وَإِذَا مَا هَزَزْتَهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَاءُ السَّمَاءِ أَخْصَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأُتِجَعْنَا
 تَزَعْتُ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَمًا اسْتَحْبَبَتْ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا

٢٠٢ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَمْدَحُ صَاحِبَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّالِمَ لِلْمَالِ وَالْعَدَى خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
 كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْتَذَرُهَا
 حَسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوءُ مِثْلَهُ وَصَفْحَةٌ صَفْحٌ لِلذُّنُوبِ أَعْتَذَرُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تُجْنِي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هَيْبِ الْحَرْبِ تَوْقِدُ نَارُهَا
 أَنْزَلُهُ طَوْرًا غُصُونٌ تَوَاضِعُ وَطَوْرًا سَيْوفٌ دَامِيَاتُ شِفَارُهَا

٢٠٣ قَالَ النَّابِغَةُ يَمْدَحُ غُسَّانَ حِينَ أُرْتَحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا :
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانًا تَرَكَتُهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجْلُو أَيْلَةَ الظُّلُمِ
 هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَوَاءِ وَالنِّعَمِ
 أَحْلَامٌ عَادٍ وَأَجْسَادٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْمَعَقَّةِ وَالْأَفَاتِ وَالْأَثَمِ
 ٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَائِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ قَعَدَ الْمُلُوكُ بِحَافَتَيْهِ وَقَامُوا
 فَكَأَنَّكَ الدَّهْرُ الصَّوْلُ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
 فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَلْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
 يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمُسْتَلَةِ . فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ
 ٢٠٥ قَالَ ابْنُ بُبَاثَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَاتَمَتْنَا هِبَاتُهُ فَتَنَرُ الْعَطَامِنَهُ وَنَظُمُ الشَّامِنَا
 يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ وَنُشِّي لَهُ لَفْظًا فَيُنْشِي لَنَا مَعْنَى
 ٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعَ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَتَقَيَانِ
 وَمَنْ قَامَ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بِأَثْبَتَ مِنْ إِدْرَاكِ كَلِّ عِيَانِ
 لَمَّا خُلِقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُعَقِّلْ لَهُنَّ ثَوَانِي
 لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَتَابِعِ هِنْدِي وَحَبْسِ عَنَانِ
 ٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْقَيَّرَوَانِيُّ :

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَحْفَلُ بِجَادَتِهِ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْأَسْلِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ تَجِدُ مِلَّءُ الْمَسَامِعِ رُلًّا فَوَاهٍ وَالْمُقَلِّ
 ٢٠٨ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي أَخِيهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَبِيهِ مَعَ مُرَاعَاةِ
 حَقِّ الْوَالِدِ بِزِيَادَةِ مَدْحٍ لَا يَنْتَصُ بِهِ حَقُّ الْوَلَدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَ وَهَمَا يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً الْفَخْرِ
 وَهَمَا وَقَدْ بَرَزَا كَكُنْهُمَا صَفْرَانٍ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرِ
 بَرَقَتْ صَنِيجَةٌ وَجْهَهُ وَالِدِهِ وَخَضَى عَلَى غُلْوَانِهِ يَجْرِي
 أَوْلَى فَلَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلْحَى فِي بَنِي سِنَانٍ :

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسِبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
 لَوْ كَانَ يَتَعَدُّ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِآبَائِهِمْ أَوْ مُجْدِيهِمْ قَعَدُوا
 وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمَ بْنَ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ فَيَاضَ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تَقُبُّ فَوَاضِلُهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَخُو ثَمَّةٍ لَا تُتْلَفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ

٢١٠ قَالَ أَعَشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا النُّعْمَانَ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُودُ الرِّجَالِ
 فَرُعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غَضْنِ الْمُجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمُ الْجَمَالِ
 فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَسْبَحَ فَخَزُوا نَاوَكُفُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ

٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوُرْدِ :

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخَبْرَا
إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَ صَارِمُهُ
لَيْتُ يَلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرًا
يَا حَامِيًا عَبَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلٍ
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تُدْرِكُنَا
قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا

٢١٢
إِمْتَدَحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا
الْمَنَآيَا فِي مَنَاقِبِهِ
مَلِكٌ تَدَى أَنَامِلُهُ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةٌ
وَزُخُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ
قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مُكْتَمِنٌ
زُرْتُهُ وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهِمَا
عَصَرَ الْأَفَاقَ فِي عَصْرِهِ
وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ
كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
كَأَنْبِسَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ وَخُتْمُضَرِهِ
وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
وَمَدِيلَ الْيُسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرِهِ
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُقْتَنَرِهِ
كَصِيَاكِ الْحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
فِي مَذَاكِبِهِ وَمُسْتَجَرِهِ
تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عَهْرِهِ
كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

وَلَقَرْقُورٍ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
 قَدْ تَأَنَّتْ أَلْبَقَاءُ لَهُ فَأَبَى الْخُثُومُ مِنْ قَدَرِهِ
 فَلَمَّا أُنْشِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُفْلٍ
 وَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ

٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: بَيْنَا أَبُو دُفْلٍ يَسِيرُ مَعَ
 أَخِيهِ مَعْقِلٍ وَهَمَّا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَاتَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
 فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: هَذَا أَبُو دُفْلٍ . قَالَتْ: وَمَنْ أَبُو دُفْلٍ .
 قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُفْلٍ) . (قَالَ):
 فَاسْتَعْبِرْ أَبُو دُفْلٍ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: مَا لَكَ يَا أَخِي
 تَبْكِي . قَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْأَغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمَدْحِ:

أَهْلُ بَانَ يُسْعَى إِلَيْهِ وَيُرْتَجَى
 فَلَقَدْ غَدَا بِالْمُرُمَاتِ مُقَلَّدًا
 وَيَزَارُ مَنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
 وَمُوشِحًا وَمُخْتَمًا وَمُتَوَجًا
 ٢١٥ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ يُمَدِّحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكٍ
 وَنَحْنُ فِي جَدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ
 مِلْءُ الزَّمَانِ وَمِلْءُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
 وَالْبَرْقُ فِي شُغْلٍ وَالْبَجَرُ فِي خَجَلٍ
 ٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ
 أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
 عَقْلًا وَأَسْبَقَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
 بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلَدِ

لَيْسَ ضَعُفٌ وَأَضْنَاكَ السَّقَامُ فَلَمْ
 لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشُهُمْ
 يَضْعَفُ قُوَى عَمَلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدْ
 دُونَ الْعُقُولِ إِنْ كَانَ أَفْضَلُ لِلْأَسَدِ
 ٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ أَلَيْسَ بِي :

(ابن خلكان)

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ أَفْظًا وَمَعْنَى
 تَعْتَلِي كَوْكَبًا وَتَشْرِقُ شَمْسًا
 وَرَبِيعَ الْأَنَامِ كَفًّا وَمَعْنَى
 وَتَحَايَ لَيْثًا وَتَنْهَلُ مِرْنًا
 ٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَّتْ بَارِضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
 فَلَيْسَ تَرَحَّلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ
 قَلِيلَةُ الْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
 كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي
 ٢١٩ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْبَغَاءُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ الْغَمَامُ غَمَامُ
 فَهَذَا يُذِيلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُنْعَمُ
 وَعَزَمَكَ إِنْ فَلَ الْحَسَامُ حُسَامُ
 وَذَاكَ يَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ لِهَامُ
 وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالظُّبَى
 ٢٢٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ فِي تَجَلٍّ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :

فَتَّى جَمَعَ الْعُلَمَاءُ عِلْمًا وَعِفَّةً
 كَمَا جَمَعَ الشُّفَاخُ شَكْلًا وَبَهْجَةً
 وَجُودًا وَبَاسًا لَا يُفِيقُ قَوَاقَا
 وَرَائِحَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقَا
 ٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ الْحَسَنِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَلِيعَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
 إِذَا ذُكِرَ الْأَخْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
 فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَاهُهَا
 فَهُمْ أَنْجَمٌ فِيهَا وَأَنْتَ هِيَ آلُهَا
 ٢٢٢ أَنَشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ غَلْبُونٍ :

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
تَبَلَّى الْكِرَامُ وَأَثَارُ الْكِرَامِ وَمَا
٢٢٣ لَا بِي الشَّيْصِ خُزَاعِي :

عَشَقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِهَا
وَأَقَامَ سُوقًا لِلثَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ
بَثِّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حُوَّةَ :

قَوْمٌ إِذَا اقْتَحَمُوا الْعَجَاجَ رَأَيْتَهُمْ
لَا يَعْدِلُونَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَمَةِ
وَإِذَا زَادَ الْحَرْبُ أَخَذَ نَارَهَا
٢٢٥ قَالَ الْعَرَنْدَسُ يَمْدَحُ قَوْمًا :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يَعْدُ الْمَجْدُ مُتَلَدًا
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفُحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا فِتْنَةُ سَيِّدِهِمْ
٢٢٦ قَالَ أَحْزَنُ اللَّيْثِيِّ فِي عَلِيٍّ
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِفَهُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَالِهَا

كُنْتَ الْأَحَقَّ بِتَعْمِيرِ وَتَخْيِيدِ
تَزْدَادُ فِي كُلِّ عَصْرِ غَيْرَ تَجْدِيدِ

وَالْمَكَرَمَاتُ قَلِيلَةٌ الْعُشَاقُ
سُوقُ الثَّاءِ تُعَدُّ فِي الْأَسْوَاقِ
تُجْبَى إِلَيْهِ مَحَامِدُ الْأَفَاقِ

أُسْدًا وَخَلَّتْ وُجُوهُهُمْ أَقْمَارًا
عَدَلُ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارًا
بَذَلُوا النُّفُوسَ وَفَارَقُوا الْأَعْمَارَ
قَدَحُوا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَارًا

سَوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
وَلَا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
بَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :
وَأَلَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ

٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ :

أَنَا أَشْعَرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرِ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الْأَشْعَرَاءِ
شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوَّنَهُ الْوَرَى بِالطَّبَعِ لَا يَتَكَلَّفُ الْإِلْقَاءُ
كَالصَّوْتِ فِي قَلْبِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوِبَ الْأَصْدَاءِ
٢٢٨ قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْعَسَايُ الْأَسْوَانِيُّ :

جَلَّتْ لَدَيَّ الرِّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هَمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءُ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شَيْتِهِ صَرَفُ الزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُخْرِقَةً لَكَانَ يَشْتَبِهُ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
وَلَا تَغُرَّنَا أَطْحَارِي وَفَيْتُهُمَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافُ عَلَى دُرِّ
وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ النُّجُومِ عَنْ صِغَرِ فَالذَّنْبُ مِنْ ذَلِكَ خَمُولٌ عَلَى الْبَصَرِ

٢٢٩ قَالَ عَنَّا تَهْدَدُ هَوَايَ وَجُشْمَ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسَ :
سَكَتُ فَعَرَّأْتُ أَعْدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ تَسَيْتُ
وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمٍ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبَّيْتُ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجَبْتُ مَتَى دُعَيْتُ
بِسَيْفِ حَدِّهِ مَوْجُ الْمُنَايَا وَرَفَحَ صَدْرُهُ الْخُفِّ الْمُمِيتُ
خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلَيْتُ

وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
وَفِي الْحَرْبِ أَلْعَوَانِ وَلِدْتُ طِفْلاً
فَمَا لِلرُّمْحِ فِي جِسْمِي نَصِيبٌ
وَلِي بَيْتٌ عَالٍ فَلَاكُ الثَّرِيَا
٢٣٠ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَحِرُ :

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرٍ لَا يُعَادِي
وَأُظْهِرُ نَضْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
أَعْلَلُ بِالْمَنَى قَلْبًا عَلِيلاً
تُعِيرُنِي الْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالَ حَوْلِي
وَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ الْمَنَايَا
وَعُدْتُ مُخَضَّبًا بِدَمِ الْأَعَادِي
وَسَيِّئِي مُرْهَفُ الْحَدَّيْنِ مَاضٍ
وَرُحْمِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِينًا
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِينَكَانُ رُحْمِي
٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُنْزَرٍ
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
وَمَنَايِبُ أَوْرَشَ مَجْدَا
بِفَةٍ وَعَدَاءُ عُنْدَا

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَفْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانِ قَدًّا
 وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلُ كَعْبٍ وَنَهْدًا
 قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَمَرُّوا حَقًّا وَقَدًّا
 كُلُّ أَمْرٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيَاجِ بَمَا اسْتَعَدَّا
 نَازَاتُ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ زَالِ الْكَبَشِ بَدًّا
 هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنَا ذُرٌّ إِنْ لَقِيتُ بَأْسًا أَشَدًّا
 كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَتْهُ بِيَدِي لِحَدًّا
 مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَاةُ تُولَايُودُ بَكَايَ زَنْدًا
 أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا
 أَغْنِي عَنْهُ الذَّاهِبِ نَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا
 ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ قَرْدًا

٢٣٢ قَالَ عَنَّا وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَيْدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ:
 أَطْوِي فَيَا فَيَا أَفْلَاوَالَيْلُ مُعْتَكِرُ وَأَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالرَّمَضَاءُ تَسْتَعِرُ
 وَلَا أَرَى مُوَسَّأً غَيْرَ الْحُسَامِ وَإِنْ قُلَّ الْأَعَادِي غَدَاةَ الرَّوْعِ أَوْ كَثُرُوا
 فَخَازِرِي يَا سِبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ إِذَا انْتَضَى سَيْفَهُ لَا يَنْفَعُ الْحَذَرُ
 وَرَافِقِي تَرَى هَامًا مُفْلَقَةً وَالطَّيْرَ عَاكِفَةً تَمْسِي وَتَبْتَكِرُ
 مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدِ سَرَتْ طَالِبُهُ إِذَا انْتَضَى سَيْفَهُ لَا يَنْفَعُ الْحَذَرُ
 وَلَا دِيَارُهُمْ بِالْأَهْلِ أُنْسَةٌ يَأْوِي الْغُرَابُ بِهَا وَالذِّبُّ وَالنَّمِرُ
 ٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:

وَإِنِّي لَأَسْتَفْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْغَنَى
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
وَأَسْتَقْدُّ أُمُولِي مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
وَأَمُخُّهُ مَا يِ وَوُدِّي وَنُصْرَتِي
وَيَغْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتَهُ
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شَيْئِي
٢٣٤ وَلِغَنَرَةٍ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَإِنِّي لَأَسْتَفْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْغَنَى
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
وَأَسْتَقْدُّ أُمُولِي مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
وَأَمُخُّهُ مَا يِ وَوُدِّي وَنُصْرَتِي
وَيَغْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتَهُ
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شَيْئِي
٢٣٤ وَلِغَنَرَةٍ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
وَدَافِعُ مَا أُسْطِطِعَتْ لَهَا دِفَاعًا
وَلَا تَبْكِ الْمَنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَيَهْتَكُنِ الْبَرَاقِعَ وَالْأَفَاعَا
إِذَا مَا جَسَّ كَفْكَ وَالذَّرَاعَا
يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَاسَى الزَّرَاعَا
لَنَا بِفَعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
وَصَيَّرَنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَآيَا فَخَاضَ غُبَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا
وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَيْبًا يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصَّدَاعَا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خَبِرْتَ عَنْهُ وَقَدْ عَايَنَتْنِي فَدَعِ السَّمَاعَا
وَلَوْ أَرْسَلْتَ رُحْمِي مَعَ جَبَانٍ لَكَانَ بِهَيْبَتِي يَلْقَى السَّبَاعَا
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا اتِّسَاعَا
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي تَرَى الْأَقْطَارَ بَاعَا أَوْ ذِرَاعَا
٢٣٥ وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ :

إِنَّا لَنُصْنَعُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَصِيدِ
وَمَتَى نَخْفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلُحُ وَإِنْ زَرَّ صَاحِلًا لَا نُفْسِدُ
وَإِذَا تَوَّصَعَدَّا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنَّا الْحَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَدِ
وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى يُنْسِرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ
وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ عَجَلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَجِدِ
فَنَقْلُ شَوْكَتِهَا وَنَفْثُ حَمِيهَا حَتَّى تَبُوخَ وَحَمِينَا لَمْ يَبْرُدِ
وَنَحْلُ فِي دَارِ الْحِفَافِ بِيُوثُنَا رُتَعُ الْجَمَالِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ
٢٣٦ وَقَالَ عَنَتَرَةُ الْعَبْسِي :

وَأَجْهَدِي فِي عِدَاوَتِي وَعِنَادِي أَنْتَ وَاللَّهِ لَمْ تُلْمِي بِبَالِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصَّخْرِ وَأَقْوَى مِنْ رَأْسِيَاتِ الْجَبَالِ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الدَّهْرَ رَتَحَلَّتْ عَنْهُ الْقُرُونُ الْخَوَالِي
وَسِنَانًا إِذَا تَعَسَّفْتُ فِي اللَّهِ لْ هَدَانِي وَرَدَّنِي عَنْ ضَلَالِي

وَجَوَادًا مَا سَارَ إِلَّا سَرَى الْبَرْقِ وَرَأَاهُ مِنْ أُقْتَدَاحِ النَّعَالِ
 أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدُّجَى بِسَوَادِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ كَالْهَلَالِ
 يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأَفْدِيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
 وَإِذَا قَامَ سَوْقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمَرْهَفَاتِ الصِّقَالِ
 كُنْتُ دَلَّاهَا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْغَوَالِي
 يَا سِبَاعَ الْفَلَاحِ إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْبُ أَتْبَعِينِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي
 ثُمَّ عَوْدِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ الشُّكْرِ يَنِي وَأَذْكُرِي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
 وَخُذِي مِنْ جَمَاجِمِ الْقَوْمِ قَوَاتًا لِيَنِيكَ الصِّغَارِ وَالْأَشْبَالِ
 ٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ:

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبَ أَوْ تُرْدَهَا تَجِدُنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودَا
 وَأَعْلَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَالْيَنَاهَا لِبَاغِي الْخَيْرِ عُودَا
 وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرِ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُهْدَا
 إِذَا نُدْعَى لِشَارٍ أَوْ لِحَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِدَا
 مَتَى مَا نُدْعَى فِي جُشَمٍ وَعَوْفٍ تَجِدُنِي لَا أَعَمَّ وَلَا وَحِيدَا
 وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرٍ وَتَيْمُ اللَّاتِ قَدْ لَبَسُوا الْحَمِيدَا
 زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ نَلَيْتُمْ مُلُوكًا وَزَعَمْنَا أَنْنَا نَلْنَا عَيْدَا
 وَمَا نَبْغِي مِنَ الْأَحْلَافِ وَتَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمُسَوَّدَ وَالْمُسُودَا
 ٢٣٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَذِلُّ لِحَافٍ
 مَلَكْنَا الْعَوَالِي بِالْمَعَالِي فَجَارُنَا
 وَرِثَاعِنِ الْآبَاءِ عِنْدَ اخْتِرَامِهَا
 يُؤَمِّرُنَا أَسْيَافُنَا وَرِمَاحُنَا
 بَنَيْنَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ كَعَبَّةً
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيُخْشِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِينْ
 وَسَوْفَ نُجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا
 ٢٣٩ قَالَ الْقَرِيطُ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَخِرُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ هُمْ
 لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
 لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
 يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلَمِ مَغْفِرَةً
 كَانَ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ
 فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا
 ٢٤٠ وَلِلَّهِ عَنَرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ
 وَحُسَايَ مَعَ قَتَايَ
 إِنِّي أَطْعَمُ خَصْمِي
 أَسْقِيهِ كَأْسَ الْمَنَآيَا
 غَيْرُ مَجْهُولٍ الْمَكَانَ
 إِنِّعَالِي شَاهِدَانِ
 وَهُوَ يَقْضَانُ الْجَنَانَ
 وَقَرَاهَا مِنْهُ دَانَ

خَلَقَ الرُّيْحُ إِصْنِي وَأَحْسَامُ الْهُندُوانِي
وَمَعِي فِي الْمَهْدِ كَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي
وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ
وَالدِّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنُهَا أَحْمَرُ قَوْنِي
فَأَسْقِيَانِي وَأَتَمِّعَانِي نِعْمَةً كَي تَطْرِبَانِي
أَطِيبِ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهُندُوانِي
وَصَرِيرِ الرُّيْحِ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطِّعَانِ
وَصِيَاحِ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَفْرَعُ بِالْقَنَا فَوَارِسُهَا حُمُرُ الْأُيُونِ دَوَامِ
وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ غَمَامَةٌ دَجَنُ أَوْ عِرَاضُ تَتَامِ
وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتَتْ نَاعِصَابَةٌ ذَوُو نَجْدَاتٍ فِي اللُّقَاءِ كِرَامِ
وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَاجَابَنِي فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ إِيَامِ
فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعُزْلٍ غَدَاةُ الْوَعْيِ مِنْ شَائِكٍ وَسَنَامِ
يَقُودُهُمْ حَارِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ نِيحَامِ
يَجْزِي اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانِ فَإِنَّهُمْ سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيئُهُمْ تَبَتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
وَقَوْمٌ يَحْبُونَ الْإِمَامَ وَهَدِيَهُ سِرَاعٌ إِلَى الْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامِ
فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقَاتُ لِهَمْدَانَ أَدْخُلُوا بِسَلَامِ

٢٤٢ وَمِنْ أَعْجَبَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُبِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَيَّيْتُ أَلَوْغِي فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْزِلِ
تَبْرَى أَنَايِبَ الْقَنَاقَةِ عَلَى يَدَيَّ تَجْرِي دَمًا مِنْ تَتَّيْتُ ظِلَّ الْقَسْطَلِ
٢٤٣ قَالَ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ يَتَهَدَّدُ تَمُورًا لَكَ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ بِفَوْقِ
السَّيْفِ وَالرُّوحِ وَالنَّشَابِ قَدْ عَلِمْتُ مِنْهَا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تَلِيكََا
إِذَا التَّقِينَا تَحْدُ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَثْبُتْ فَأَمْرُ اللَّهِ آتِيكََا
بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَّفَنَا فَضْلًا وَمَلَكْنَا الْأَمْصَارَ تَلِيكََا
وَبِالْجَمِيلِ وَحُلُو النَّصْرِ عَوَّدَنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتُنِيكََا
وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتْاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكََا

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سَوَايَ يَهَابُ الْمَوْتُ أَوْ يَهَبُ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ خُلْدًا
وَأَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَادِثُ الدَّهْرِ كَفَّهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدَا
تَوْقُدُ عَزْمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَحِيلَةُ جَاهِي تَتْرُكُ السَّيْفَ مِهْرَدَا
وَقَرِطُ احْتِمَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ حَلَى سُودْدِي سُدَى
وَيَأْتِي إِبَائِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
وَأَظْمَأُ إِنْ أَبْدَى لِي الْمَاءُ مِنْةً وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْمَجْرَةِ مَوْرِدَا
وَلَوْ كَانَ إِدْرَالُ الْهُدَى بِتَذَلُّ رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى
وَقَدَمًا بِغَيْرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَبَا وَيَبْغِضُنِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّي وَاطِئُ الثَّرَى
وَلَوْ عَلِمْتُ زُهْرُ النُّجُومِ مَكَانِي
أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذْ أَرَانِي فَوْقَهُمْ
وَبَذَلُ نَوَائِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أُمْلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ
٢٤٥ لَا بِي الطَّحْنَانِ الْقَيْنِي :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مَسُودٌ
٢٤٦ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَلَقَدْ ثَقَلْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَتَرَوُرُ أَبْوَابِ الْمَأْلُوكِ رِكَابَنَا
وَنُحَاوِلُ الْأَمْرَ الْمُهْمَّ خُطَابُهُ
٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

إِنَّا لَبْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
لَا يَرْفَعُ الصَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا
أَبَاؤُنَا الْغُرُّ مِنْ مُجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
إِلَّا إِلَى ضَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي الْوَرَى عَمَلًا فَأَنِّي عَلِمُ فِي ذَلِكَ أَلْعَلَّمُ
 ٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ بُقْيٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أَجْرَى فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مَبْهَمٍ
 وَسَلَّ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أَمْتَرْتُ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُرَدِّمْ
 سَلَكَتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَصْبَحْتُ بِأَقْوَابِ الرَّكْبَانِ فِي الْبَيْدِ تَرْتَمِي
 وَرَبَّتْ مَا غَنَى بِهِ كُلُّ سَاجِعٍ يَرُدُّهُ فِي شَجْوِهِ وَالْتَرَمَّ
 وَضِيعِي قَوْمِي لِأَنِّي لِسَانَهُمْ إِذَا أَفْحَمَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
 وَطَائِبِي دَهْرِي لِأَنِّي زَنْتُهُ وَأَنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَذْهَمِ
 ٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَنَوْا سُنَنًا لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ
 يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى إِلَهٍ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
 قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
 سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ نُحْدَثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرَّهَا الْبِدْعُ
 لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
 لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
 إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ أَوْ وَارَثُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْتَدَى مُنِعُوا
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا ضُورَ وَلَا هَامَ
 وَلَا يَضْنُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ
 كَانَهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعَ

٢٥٠ وَمَا يَسْتَجَادُ لِعَبِيدِنِ الْأَبْرَصِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلٌ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَانَا فَسَلْ تُبًّا أَيُّهَا السَّائِلُ
 سَائِلُ بَنَى حُجْرًا غَدَاةَ الْوَعَى يَوْمَ تَوَلَّى جُمُعَهُ الْحَافِلُ
 قَوْمِي بُوْدُهُ دَانُ أَهْلِ الْحَجَى يَوْمًا إِذَا انْفَحَتْ الْحَائِلُ
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَيْدٍ سَيِّدٍ ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ فَاعِلُ
 مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلُهُ فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
 لَا يَحْرِمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُغْنِي سَبَبُهُ الْعَادِلُ
 الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَاسِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَبُيْمِدَحُ الْأَنْصَارِ :

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ تَرَاتِ بِهِمْ شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأَوَارِ
 وَرِثُوا السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنْ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
 ٢٥٢ قَوْلُ الْمُتَنَبِّئِيِّ :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ بَيْنَ ضَمِّ مَجَاسِنَا بِأَنْبِي خَيْرٌ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
 الْحَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالْبَيْدَاءِ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّعْ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 ٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ شَمْسٍ الْخِلَافَةُ :

أَنَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ مَا لِي آفَةٌ سِوَى نَقْصِ تَمِيْزِ الْمُعَانِدِ فِي نَهْدِي
 وَرُبَّ جَهْلٍ عَابَنِي بِمَجَاسِنِي وَيَقْبُحُ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرَّمْدُ

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْحَجْوِ

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتٌ وَأَخْلَاقٌ
تَقْتَضِي أَنْ تُجَوَّدَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَزَالُ يَدَّعِي الذِّكَاءَ وَأَنَّ خَاطِرَهُ مِنْ نَارِهِ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :
إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارِ خُلِقْتَ وَفُقْتُ كُلُّ النَّاسِ فَمَا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَأَكَ حَتَّى صِرْتَ فُحْمًا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بَخِيلٍ :

يَرَاةٌ غَرَّنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْبَسًا
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمِهِ بَعْصًا مُوسَى لَمَا أَنْجَسًا
٢٥٦ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَدَّانِي بِرَأْسِ الْحَبَّةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِينًا أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُؤُوسًا خَرُّهَا رِيحُ الْمَدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمْآنَ آلا وَكُنْتُ كَمَنْ تَعَدَّى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زُرَّارَةَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحُسَامُ
لَنْ يُضْمَعَ الْحِوَانُ وَلَا حَشْنٌ لَأَخْطِطَنَّ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خَوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يُخْضِرُهُ الرِّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ :

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَجْنَحِ اللَّيْلِ رَجُلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكْ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مُجَابِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ الْكِلَابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةَ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيٌّ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيهِ :

لَوْ أَوْحَى النَّحْوُ إِلَى نَفْطَوِيهِ مَا كَانَ هَذَا النَّحْوُ يُعْزَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنَصْفِ أَسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ صُرَاخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِيُّ فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكَنتَ أَخِي بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادَ عُدْتُ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثَرٍ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ
٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مَهَذَّبُ الدِّينِ بْنِ الطَّيِّبِ :

إِنَّ الْأَعْيُوجَ حَازَ الطَّبَّ أَجْمَعَهُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا الْعِلَامَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْعِلْمَلَا
فِي حِيلَةِ الْبُرْءِ قَلْتُ عِنْدَهُ حَيْلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَدْرِي لِلرَّدَى حَيْلًا

الرُّوحُ يَشْكُو لِحُثْمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَلَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ :

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَتَجَرِّهِ وَقد فَتَحْتَ لَكَ الْحَانُوتَ بِالْدِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلا غَلَقٍ تَبْتَاعُ بِالْدِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَيَّرْتَ دِينَكَ شَاهِينًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلَحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الزُّبَيْرِ :

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَسْأَلُوا فَضْلًا تَضْنُوا وَتَخْلُوا
مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحَمِّقُوا وَنِيرَانُكُمْ لُشْرٌ فِيهَا تَحْرُقُ
إِذَا اسْتَبَقْتُ يَوْمَ قُرَيْشٍ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكَنًا وَذُو الْمَجْدِ يَسْبِقُ
تَحِيُّونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سِودًا وَجُوهَكُمْ إِذَا مَا قُرَيْشٌ لِلْأَصَامِيمِ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ لِلْوَمِ طَابَعًا يُلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ

٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِي يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ فَاسٍ :
مَشَى الْوَمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يَجُوبُ بِأَدَاةِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى فَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُفْرِجِ الْمُتَجَمِّمُ لَمَّا احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ :
أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلِّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ قَعَمًا قَلِيلٌ فِي نَهَارٍ يُغْرَمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عَمْرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ

٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَشْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ يَدَاهُ :

أَقْتُ فَيْكُمْ عَلَى الْإِفْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
وَضَلْتُ أَبْيِي لَكُمْ عُذْرًا لَعَلَّكُمْ تَسْتَعِظُونَ وَقَدْ يَنْتُمُ عَنْ الْكُرَمِ
فَلَا حِدِيقَتُكُمْ يُجْنَى بِهَا ثَمَرُ وَلَا سَمَؤُكُمْ تُزَلُّ بِالْدِّمِ
أَوْغَلْتُ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزَنِي نَيْلُ الرِّغَابِ حَتَّى أَبْتُ بِالْأَنْدَمِ
٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ السَّاهِنِيُّ يُهْجُوا أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِي السَّاحِرَ :

أَبَا الْبَقَاءِ حَلَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فَيْكَ الطَّيِّبَةُ قَدْ قَدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ
كَمْ يَدَّعِي بِعُلُومِ النُّجُومِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفَرُّقُ بَيْنَ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ
٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْمُتَعَرِّبَةِ قَبَائِلَ الْبَرِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
أَنَّ الْبَرَّاءَ أَسْلُ مِنْكَ قَالَ إِذَا حَوَاءُ طَائِفَةٍ إِنْ كَانَ مَارَعَمُو

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ

فِي الْأَلْفَاظِ

٢٧٠ لُغَزِي فِي خَاتَمِ لِلصَّفَدِيِّ :

وَمُسْتَدِيرُ رُوقِ الْعَيْنِ بِهَجَّتِهِ كَأَنَّهُ مَلَكُ نَجْمِ الدَّجَى فِيهِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رُبِّتْ فَإِذَا مَا قَاتَ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ

٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغَزًا فِي قَلَمٍ :

وَطَائِرٍ فِي وَكْرِهِ نَائِمٍ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْرِ مَنَاقِرِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَتَعِ الْقَارِ كِي يَأْخُذَ بِالْمُنْقَارِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بَصَاقَةَ مُلْغِزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّهَا لَتَقْبَلُ نَفْحَ الرُّوحِ بَعْدَ وَلَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ نُمُوًّا لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِهَا
أَرَادَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أَنشَدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغَزَا فِي شَبَابَةٍ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٍ خَرَسَاءُ بَادٍ شَحُوبَهَا تَكْنِئُهَا عَشْرُ وَعَنْهِنَّ تَحْبِيرُ
يَلْذِي إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعَ حَدِيثِهَا إِذَا سَدَّ مِنْهَا مَنَخْرُ جَاشٍ مَنَخِرُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنْهُ . فَتَفَاوَضَ أَبُو غَالِبِ بْنُ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ الْأَلْغَزِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ :
تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغَزًا مُحَالًا وَنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَظَنَّمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلُ وَمَوْضِعُ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَادُ
إِذَا غَمَضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَّمَ أَيْضًا :

وَجَارٌ هُوَ تَيَّارُ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارُ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارُ

بَطْنٍ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّهُ نَارُ
وَأَنْفَذَا الْغَزِينَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ عَلَى الْأَوَّلِ : هُوَ طَيْفُ الْخَيَالِ . وَكَتَبَ
عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزَّبَقُ . فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَبِ الْغَزَا الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
الْخَيَالِ وَالْيَتِ الثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْيَتِ الْأَوَّلِ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسِّرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسِّرُ لَهُ بِالضَّحْكِ .
وَمَنْ مَاتَ يُفَسِّرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
صَنَعَةِ الْكِيمْيَاءِ يَرْمُزُونَ بِالزَّبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْفَرَارِ وَالْأَبَقِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَلَا فِرَاطَ بَرْدٍ ثَقُلَ
جِسْمُهُ وَجَرَمُهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشَكُّلِهِ فِي أَفْتِرَاقِهِ وَالتَّيَامِهِ .
فَأَعْجَبَا مِنْ ذِكَايَاهُ وَتَوَقَّدَ عَقْلُهُ
(لَابَن حُجَّةَ الْحُمُوي)

٢٧٥ قَالَ الصَّفْدِيُّ فِي الْمَدَامِ :

وَمَا شَيْءٌ حَشَادٌ فِيهِ دَاءٌ
وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاءٌ
إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجَمَعَ
يَكُونُ الْحَدُّ فِيهِ وَالْمَضَاءُ
وَإِنْ أَهْمَّتْ أَوَّلُهُ فَفِعْلٌ
لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ اُعْتِنَاءُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَرِّ فِي شَمْعَةٍ :

صَفَرَاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ
مَرُّ نَوْدَةٍ مِثْلَ الْأَسَلِ
كَأَنَّهَا عُمُرُ الْفَتَى
وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٧٧ لِلْحَمِّيِّ فِي دُودِ الْقَرَى :

وَمَا حَيَوَانٌ عَكْسُهُ مِثْلُ طَرْدِهِ
لَهُ جَسَدٌ سَبَطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَابُ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاجَةً رَتْعُهُ فَمَيِّرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَصْبٌ
يُرَى مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ دُونَهُ تُسَبَّلُ الْحُجُبُ
شَقِيٌّ لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي الْبَحْرِ :

وَحَمَالٍ أَثْقَالِ الْبَرِّيَّةِ قَادِرٍ وَيَعْجُزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِالْأَرْضِ لَهُ سَيْرٌ أَرْقَمُ
٢٧٩ لِآخِرِ فِي الْفِكْرِ :

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُصِرُّ مَا أَرَادَ بِغَيْرِ عَيْنٍ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِلا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِلا كَدَرٍ وَمَيْنٍ
٢٨٠ لِلْمُسْتَنبِي فِي الْحُمَى :

وَزَارِعَةٌ كَانَتْ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَائِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
٢٨١ وَمِنْ أَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْفَاظِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَّةَ
كَتَبَ إِلَيَّ وَالِدِهِ مُلَغًزًا فِي بَابِ يَقُولُهُ :

مَا وَاقِفٌ بِالْمُخْرَجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَمُجِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يُبْرَجُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ : ذَهَابٌ وَمُجِيٌّ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
بَابُ خُصُومَةٍ . وَالسَّلَامُ

٢٨٢ قَالَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُنْغَرَّافٍ فِي بَابِ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي الدُّورِ وَالْكُتُبِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِقٌ فِي نِسَائِهِ وَابْنٌ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوثَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَصْخِيفُهُ لِمَنْ يَتَرَمَّقُ
 فَاجْبَنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطَاعًا لَسْتُ فِي حَلَةِ الْقَضَائِلِ تُسَبِّقُ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَائِنِ الْإِنْشَاءِ بِدَمْشَقَ الْخُرُوسَةِ مُنْغَرَّافٍ فِي فَاحْتَةٍ:
 وَمَا طَرِيقُ يَهْوَى الرِّيَاضَ تَنْزَهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْكَانِهَا وَيَغْرَدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهَتَّ عَنْهُ فَاحْتَهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَمِيَتْ وَتُرْشِدُ
 هَذَا الْمَنْزُورَ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَحَلَهُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجْمِيِّ بِقَوْلِهِ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيلٌ وَسُودٌ غَدَا دُونَ رَقَادِ سِمَاكَ وَفَرَقْدُ
 تُفِيدُ يَسَارَ الْمُفْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيَسْرَادُ مِنْ يَمِينِ الْعِمَامَةِ أَجُودُ
 سُؤَالَكَ عَنْ أَنْثَى طَرُوبٍ وَلَمْ تَزَلْ عَلَى عُدُودِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَنْشُدُ
 وَتَجْذُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ تَشِيدِهَا لِنَحْوِ التَّصَابِي لَا أَطِيقُ أَفْنَدُ
 وَمَذْبَانِ مِنْهَا الطَّرْفُ أُمَسْتُ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافِ بَلْ يُلَوِّحُ وَيَشْهَدُ
 فَأَوَّلُهَا مَعَ مَا يَأْيِسُ وَطَرَفُهَا لَنَا فَادِ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءُ الدَّهْرِ عِزُّكَ بَادِخٌ وَفِي مَفْرِقِ الْجُوزَا لَوَاؤُكَ يُعْقَدُ
 فَخَذُهُ مُبِينًا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمَقْصَدُ

٢٨٤ وَقَالَ مُلَغَزًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنْ الْجَمَادَاتِ يُلْفَى وَتَرَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانًا
وَتَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَّوْا تِيَجَانَا
وَتَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ يُحْرِكُ الْأَغْصَانَا
أَوْ بَدَا فِي مُقَقَّصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَسْجَاعِهِ يَصِيرُ مَهَانَا
كُهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلْثِيهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
كُهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى كُلُّ خُودٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
وَتَرَاهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَتَضَخِّفُهُ حَقِيرًا مَهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَضَخِّفِهِ زِدْ بِمَقْصُوفٍ فَالْمَعَى هُنَا فَكُنْ يَقْضَانَا
وَإِذَا لَمْ تَدْرِ التَّصَاخِيفَ ذَرَهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَدْرِي الْبَيَانَا
وَيُخْرِيفُهُ تَوَدِّبٌ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعَرِفَانَا
ثُلَاثُهُ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِيهِ إِذَا جَاءَ يَصْحَبُ الْمَرْجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثُ عِنْدَهُ نَصْفٌ وَخَشَرٌ ذَبَّ عَنَّا تَضَخِّفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
فَافْتَرَسَهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهُوَ لُغَزٌّ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا
٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي الْقَفْصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادُهُ يَتَشَدُّ وَلِجَمْعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنٌ
مَرْقُصٌ مُطْرَبٌ وَبِالْقَابِ صَفَقٌ فُزْتُ مِنْ بَعْضِهِ بِسَجْعِ الْمُطَوَّقِ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لِيُوثُ غَابَاتٍ . وَعُيُوثُ
جَدَبَاتٍ . مَا فِي عُيُودِهِمْ خَوْرٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدْرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعْرٌ . وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَزَرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغَرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوْرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلْفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى تَمْرُودِ بْنِ الْمَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِفَ لِي مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . وَصِفُ
تُرْبَةٍ غَبْرَاءَ . وَشَجَرَةٍ خَضْرَاءَ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْنُفُهَا جَبَلٌ
أَغْبَرٌ . وَرَمْلٌ أَعْفَرٌ . يَخْطُ وَسَطُهَا نَهْرٌ مِيمُونٌ الْقِدَوَاتِ . مُبَارَكُ
الرُّوحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . كَجَرِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِيعُهَا . حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ عَجَاجُهُ . وَتَعَظَّمَتِ
أَمْوَاجُهُ . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِنَافِ
الْقَوَارِبِ . وَصِمَارِ الْمَرَائِبِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَّصَ عَلَى
عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَافِي حِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
مَحْمُورَةٌ يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدْلَةً . يَخْرِثُونَ بَطُونَ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَافِدِهِ .
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ . يَرْجُونَ الثَّارَ مِنَ الرَّبِّ لِغَيْرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ . حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَادُ مِنْ فَوْقِهِ
 الْمَدَى . وَغَدَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الْثَرَى . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ لَبُهُ . وَيَغْنِي ذُبَابُهُ .
 فَيَدْنَاهِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةَ بَيْضَاءُ . إِذَا هِيَ غَبَرَتْ سُودَاءُ . فَإِذَا هِيَ
 زُرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ . فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
 قَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي مِصْرَ حَتَّى كَأَنِّي شَاهِدْتُهَا

وصف دابة

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةٍ . فَوَجَدَ بِهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً .
 فَخَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ . وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الْغَمِّ وَنَالَهُ . فَقَالَ لَهُ
 الْقَاضِي : مَا قِصَّتُكَ وَشَكْوَاكَ . وَمَا الَّذِي مِنَ الْغَمِّ وَالْغَمِّ دَهَاكَ .
 فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي . إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي . اشْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا الْغَرِيمِ
 دَابَّةً اشْتَرَطَ لِي فِيهَا الصَّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ . فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا أَغْبَتْنِي
 نَدَامَةً . وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى . وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ إِيَّايَ : لَا أَهْلًا بِكَ
 وَلَا مَرْحَبًا . فَقَالَ الْقَاضِي : ابْنُ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ . وَإِلَّا جَعَلْتُكَ عَلَى
 هَذِهِ الْحَشَبَةِ مَصْلُوبٌ . فَقَالَ : كُلُّهَا عُيُوبٌ وَذُنُوبٌ . وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
 أَنْحَسُ مَرْكُوبٍ . وَأَخْسَرُ مَصْحُوبٍ . إِنْ رَكِبْتُهَا رَنَسَتْ . وَإِنْ نَحَسْتُهَا
 تَمَسَتْ . وَإِنْ هَمَزْتُهَا قَمَصَتْ . وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقَصَتْ . وَإِنْ سَمَسْتُهَا
 رَقَدَتْ . وَإِنْ نَزَلْتُ عَنْهَا شَرَدَتْ . تَقْطَعُ فِي يَدَيْهَا . وَتَصُاعِقُ
 بِرَجْلَيْهَا . حَدْبَاءُ جَرَبَاءُ كَبَاءُ . لَا تَقُومُ حَتَّى تُحْمَلَ عَلَى الْحَشَبِ .
 وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكَبَّلَ بِالسَّلْبِ . إِنْ قُرِبْتُ مِنَ الْجِرَارِ كَسَرْتُهَا .

وَإِنْ دَأَتْ مِنَ الصَّغَارِ رَفْسَتَهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمَتَهُمْ . تَكْنُشُ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرُضُ فِي عَنَانِهَا . وَتُشِي فِي سَنَةِ
أَقْلَ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رُمَتْ
تُضْمِيهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ أَكْزَرَتْهَا شَخَرَتْ وَتَخَرَّتْ . مَنْ أَسْتَصَرَ بِهَا
خَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . وَتَمَلَّتْهُ . وَتَيَّ حَمَلَهَا فَلَا تَنْهَضُ . وَتَقْرُضُ
فِي حَبَالِهَا . وَتَجْفُلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كَدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَانَتْهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي الدَّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ . مَجْنُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتْدَ وَتَقْرُضُ الْجَسَدَ . وَتُقَتِّتُ الْكَيْدَ . وَلَا تَزْكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
لَشَرٍّ وَتَعْدُرُ وَتَعَثُرُ . وَاقِفَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهْرِ . بَدَاءَةُ الْأُذُنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأَصْبَعَيْنِ . تَصِيرَةُ الرَّجُلَيْنِ ضَيْقَةُ الْأَنْفَاسِ .
مُقَامَةُ الْأَخْرَاسِ . سَفِيرَةُ الرَّاسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشِيهَا قَلِيلٌ . وَجِسْمُهَا
مَحْيَلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ ذَلِيلٌ . تَجْفُلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَثُرُ
بِالنَّوَى . وَتَجْبَلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةٌ . شَهَاقَةٌ . غَيْرُ مَطْرَاقَةٍ . وَتَحْشُرُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتَهْوِسُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَنْتَطِعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ زَكَبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . وَإِنْ رَدَّهَا فَارَكِمَ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَاصْفَعْ غَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تَحْجُوجِنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

وصف ابليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْفَقَارِيتِ الطَّغَاةِ الْمَصَالِيتِ : إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

وَبَعِيدِ الْحِدْثَانِ . أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ . بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ .
وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خَدَائِي وَمَعِي .
وَجُنْدِي وَتَبْعِي . مِنْهُمْ رُؤُوسُ الرُّهَاءِ . وَعُلَمَاءُ الْعِبَادِ . وَعَلَى حُبَّتِي
مَضْرًا . وَبَاتِّبَاعِ أَوَامِرِي قَضَوْا . فَأَنَا فِتْنَةُ الْعَالَمِ . وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
آدَمَ . الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَإِبْلِيسُ الذَّمِيمُ . اسْمُ ذَاتِي . وَوَصَفُ
صِفَاتِي . أَنَا رَأْسُ الْعَقَارِيئِ الْمُتَمَرِّدِينَ . وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَطُبِعْتُ عَلَى الْإِقَاءِ الْبَوَارِ وَاللِّدْمَارِ . رُجُومُ
النُّجُومِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي . وَعَتَاةُ الْغَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
رِجْلِي . الشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاخِرِ مَكْرِي . وَالزُّنْدِيقُ يَقْتَسِمُ مِنْ
صَمَائِرِ فِكْرِي . لَمْ تَمْ قَضِيَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ الْغَايِرِ إِلَّا وَلِي شِرْكَةٌ فِيهَا .
وَلَا حَدَّثَتْ مَخْنَةَ لِنَبِيِّ وَلَا وَلِيَّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا . جَدِّي إِبْلِيسُ .
نَهَضَ جَدِّي التَّعِيسُ . وَإِلَى نَحْوِ آدَمَ هَوَى . فَعَصَى رَبَّهُ فَغَوَى . وَأَنَا
قَضَيْتُ بِالتَّسْوِيلِ . حَتَّى قَتَلَ قَايِنُ هَابِيلَ . أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِي يَعْقُوبَ .
وَحَاوَلْتُ فِي قَضِيَّةِ أَيُّوبَ . وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ . لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ .
وَجَرَّاتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَتَوَصَّلْتُ بِتَرْبِيَةِ الْوَسْوَاسِ .
لِقَاتِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْفِسْطِ مِنَ النَّاسِ . وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ
قَوْمَ مُوسَى . وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى .
وَكَمْ أَعْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ . بِمَا زَخَرَفْتُ مِنْ أَوْثَانٍ . وَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
مُسْتَرْقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أُذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي . وَوَقَرَ فِي ذَهْنِي .

وَأَنَا أَشَارِفُ النُّجُومِ . وَأَسَارِقُ النُّجُومِ . وَأَسَاقِ الرُّجُومِ . بِي تَكْثُرُ
الْبِدْعُ . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفِتَنِ . مَا بَطَنَ . وَيَغْلِبُ مِنَ
التَّارِ . وَأَهْلُ الْبَوَارِ وَالْخَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينَ
يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَمِرُّ إِلَيَّ هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالشُّورِ .
وَبِالْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنَعَتِي مِنَ
الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَّهُمْ مَرَامِي الْمَشُورَةِ نَافِذَةٌ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مُنَاشِرِي الْمَشُومَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ
وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْنَافِ مِنْ قَاضٍ
وَنَائِبٍ . وَمَنَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَانِيٍ . مَنُوطٍ
بِتَفْرِيقِ قُلُوبِهِمْ وَجَمْعِ سُودَانِهَا إِلَى بَابِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا مِنْ
خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دَرَايَاتٍ . وَفِيهِ فِي النَّادِي . فَاقُ
الْحَاضِرِ وَالْبَادِي . يَعْلَمُ لِي فِي الشَّيْطَانَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَيْلَسَةِ
حَفَدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَالِبُ الطَّوَائِفِ . وَأَرَبَابُ الْوُظَائِفِ .
عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفٌ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَايِسِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفٌ .
مُنَايَ مُنَاهُمْ . وَرِضَايَ رِضَاهُمْ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُ سِرِّي نَجْوَاهُمْ .
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ دَجَلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكَفِّ . رَحْبُ
الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْنَافِ . سَهْلُ الْخُلُقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
مَغُوثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَصُحُوكُ السِّنِّ . بِشِيرُ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

غَيْرُ عُبُوسٍ • يَسْتَقْبِلُكَ بِطَلَاقَةٍ • وَيُحْيِيكَ بِبَشَرٍ • وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ
 غَيْثٍ وَجَمِيلٍ بِشَرٍّ • يَمْحُجُّكَ طَلَاقَتُهُ • وَيَرْضِيكَ بِشَرِّهِ • صَحَّالٌ عَلَى
 مَا نَدَيْتَهُ • عَبْدٌ لِضَيْفَانِهِ • غَيْرٌ مُلَاحِظٍ لِأَكِيلِهِ • بَاطِنٌ مِنَ الْعَقْلِ •
 خَمِصٌ مِنَ الْجَهْلِ • رَاجِحُ الْحِلْمِ • ثَاقِبُ الرَّأْيِ • طَيِّبُ الْخُلُقِ •
 مُحَصِّنُ الضَّرْبَةِ • مُعْطٍ غَيْرُ سَأَالٍ • كَاسٌ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ • عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَأَمَةٍ • إِنْ سُلِّ بَذَلٌ • وَإِنْ قَالَ فَعَلٌ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَيْمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :
 وَنَاعُورَةٌ قَدْ أَلْبَسَتْ لِحْيَتَهَا مِنْ الشَّمْسِ ثَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُوسٍ بَسْتَانٍ تَدُورُ وَتَتَجَلَّى وَتَنْفُضُ عَنْ أَرْيَاشِهَا بَلَلِ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي دَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :
 لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْنَتْ أَفْنَانَا
 قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَمَامُ تَجَوَّهَا فَيُجِيبُهَا وَيَرْجِعُ الْأَحْنَانَا
 فَكَأَنَّهُ دَنَفٌ يَدُورُ بِمَعْهَدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَ
 ضَائَتْ مَجَارِي جَنَنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَفْتَحُ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانَا
 ٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ :

وَرَوْضَةٌ وَجَنَاتُ الْوَرْدِ قَدْ خَجَلَتْ فِيهَا ضُحَى وَعُيُونُ الرَّجَسِ انْفَتَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَانِهَا سَحَرًا وَمَاتَ الْقُضْبُ لِلتَّغْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَالْقَطْرُ قَدْ رَشَّ ثَوْبُ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى مَجَاصِرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَحَتْ
 ٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمٍ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ السَّاعَاتِي :

وَالطَّلُّ فِي سَائِكِ الْغُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يَنْقُطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ تُوَلَّفُ
فِي سَنِ الْهَزَارِ تَهَارُزُ وَمِنَ الْقَضِيبِ تَنْصَفُ
وَمِنَ النَّسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنَ الْغَدِيرِ تَعَطَّفُ

زهرة صفى الدين الحلي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّيْعُ فَرَحَبًا يوروده وَنُورٌ بَهْجَةً وَنُورٌ وُرُودِهِ
وَجَسَنَ مَنَظَرُهُ رَطْبٌ نَسِيمُهُ وَأَنِيقُ مَلَبَسِهِ وَوَشْيٌ بِرُودِهِ
فَضْلٌ إِذَا أَفْتَحَرِ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مُقَاتِلُهُ وَبَيْتٌ تَصِيدُهُ
يُغْنِي الْمَزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِاللُّطْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ رُودُهُ
يَا حَبَّذَا أَزْهَارُهُ وَثَمَارُهُ وَنَبَاتٌ نَاجِحُهُ وَحُبٌّ حَصِيدُهُ
وَتَجَاوُبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَاتٌ مَعْبَدٌ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
وَالْغُصْنُ قَدْ كَسَى الْغَلَائِلَ بَعْدَ مَا أَخَذَتْ يَدَا كَانُونِ فِي تَجَرِيدِهِ
نَالَ الصَّبَا بَعْدَ الْمَشْيَبِ وَقَدْ جَرَى مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْغُصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تَخَفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ
وَأَنْظُرْ لِنَرَجِسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرْفٌ تَدَبَّهَ بَعْدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَأَعْجَبْ لَا ذَرِيُونَهُ وَبَهَارِهِ كَأَنَّ بَرِيذَهُوَ بِأَخْتِلَافِ نُقُودِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمُنْظُومِ مِنْ مَنُودِهِ مُتَوَعًّا بِنُصُولِهِ وَعُقُودِهِ

أَوْ مَا تَرَى الْغَيْمَ الرَّقِيقَ وَمَا بَدَا
وَالسُّحْبُ تَعْقِدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالْغَيْمُ يَحْكِي الْمَاءَ فِي جَرَيَانِهِ
فَابْكُرْ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظَلَمَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زُرَّارٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي آش :

وَادِي الْأَشَاتِ يَهِيحُ وَجَدِي كَلَمًا
لِلَّهِ ظِلُّكَ وَالْهَجِيرُ مُسَاطُ
وَالسَّمْسُ تَرْغَبُ أَنْ تَفُوزَ بِالْجُفَاةِ
وَالنَّهْرُ يَبْسُمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلِذَاكَ تَحْذَرُهُ الْغُصُونُ فَمِثْلَهَا
٢٩٨ قَالَ حُجَيْرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ :

مُذْقِلَ لِالْأَغْصَانِ إِنَّ الْوَرْدَ قَدْ
بَسَمَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْحَوَانَ مَسَرَّةً
وَأَنَّى إِلَى الْأَزْهَارِ وَهُوَ أَمِيرُ
لِقُدُومِهِ وَتَلَوْنَ الْمُنْشُورُ

٢٩٩ قَالَ الصَّالِي فِي نَمْعَةٍ
وَلَيْلَةٍ مِنْ مُحَاقِ الشَّهْرِ مُدْجِنَةٍ
كَانَتْ نَفْسِي بِهَا الْإِذْلَاجَ مُتَطَيًّا
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزِلَةٌ
وَلَا دَلِيلَ سِوَى هَيْفَاءِ مُخْطَفَةٍ
غُضْنُ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ أَثَرُ فِي
لَا لُجْمَ يَهْدِي السُّرَى فِيهَا وَلَا الْقَمَرُ
عَزَمَ أَمَّا هُوَ الصَّارِمُ الْعَمَصَامَةُ الذَّكْرُ
مَا حَاطَهَا قَبْلَهُ نَمْعٌ وَلَا بَصَرُ
تَهْدِي الرِّكَابَ وَخَنَجَ الْإِيلِ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَأْقُوتَةُ صَفْرَاءُ تَسْتَعِيرُ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْأُرَيْبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّتْهَا دُونَهَا الْجُدُرُ
٣٠٠ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ فِي السَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ التَّبَرِّ مِثْلِي جَلِيدَةٌ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعِيشَةِ الضَّنْكَ
تُرِيكَ أَنْتِسَامًا دَائِمًا وَتَجَادًا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَلَبَّاهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ تَحَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدْتُهُ فَقَدْ تَدْمَعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الْفِتْحِكِ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَغَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغَاءِ :

أَلْقَتْهَا صَبِيحَةٌ مَلِيحَةٌ نَاطِقَةٌ بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
عَدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ يُوهَمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُهَيِّئِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتَكْشِفِي الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
بِكُمَاءٍ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تَعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَأَسْتَوْطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
ضَيْفُ قِرَاهِ الْجُوزِ وَالْأَرُزُّ وَالضَّيْفُ فِي إِيَّانِهِ يُعَزُّ
تَرَارُ فِي مَنَاقِرِهَا الْخُلُوقِ كَلُولُوهُ يَلْقَظُ بِالْعَقِيقِ
تَمِيسُ فِي حُلَّتِهَا الْخُضْرَاءُ مِثْلَ الْقَتَاةِ الْغَادَةِ الْعُذْرَاءِ
خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
مَحْسُومًا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِقَرْطِ الْحَبِّ
تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كُنَيْتُ عَنْهَا وَأَسْمَا مَعْرُوفُ
يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَيَانِ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا فَقَدْتُ نَصَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتْنَا مِنَ الْحُسَادِ عَيْنٌ فَافْتَتْ أَهْلَهَا بِالْمُجْنِيقِ
 وَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةً تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةٍ تَنَادِي وَاصْبَاحًا وَبَاكِئَةٍ لِفَقْدَانِ الشَّقِيقِ
 تَفِرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِلَى التَّهَابِ وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكِّرَاتٌ عَلَيْنَ الْأَقْلَادُ فِي الْحُلُوقِ
 يُنَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقٌ وَقَدْ فَقِدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُغْتَرِبٍ قَرِيبِ الدَّارِ مُلْقَى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَيِّ الْفَرِيقِ
 فَمَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكَرُ دَارِ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَفِي الدِّينِ الْحَلِيِّ حَدِيثَهُ قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَمْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطُوتهِ وَلِلْمَيَّاهِ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرَقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبَامَتَهُ وَالْأَرْجَسُ الْغَضُّ فِيهَا شَاخِصٌ مُخَدَّقِ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَضِيرٍ أَوْ أَصْفَرٍ فَاتِحٍ أَوْ أَبْيَضٍ يَتَّقِ
 وَالسُّحْبُ تَبْكِي وَتَغْرُ الْبَرْقُ مُبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْتَجِعُ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ أَنْقِ
 فَالطَّيْرُ فِي طَرْبٍ وَالسُّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالْغُصْنُ فِي قَلَقِ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاعِي التَّنُوخِي يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:
 أَحْسَنَ بِدِجْلَةَ وَالذَّجَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مَغْرِبٌ
 فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطُ أَزْرَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازُ مُذْهَبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ يَتَغَيَّبَا
 وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ الْأَفْوَلِ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِعَاتُ بِشَجَرِهَا تَرْنَحُ أَعْصَانُ النَّقَا وَتَرْنَمُ
 تَنُوحُ بِإِلَافٍ وَتُدِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُّ يَرْقُمُ
 وَتَغْرِبُ فِي الْحَانِهَا وَفُنُونِهَا فَتَغْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تَجْمُ
 وَتَنْظُرُ فَرْخِيهَا قَدْ اخْتَطَفَتْهَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى الْأَفْقِ حُومُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْشَهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بِأَكْثَرِ مَنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ سِوَى أَنَّهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَأَكْتُمُ
 ٣٠٦ مِنَ الْمُعْجَبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لَوْلُوٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكِرًا إِلَى الرُّوضَةِ تَسْتَجْلِهَا فَتَغْرِهَا فِي الصُّبْحِ بِسَامُ
 وَالتَّرْجِسُ الْغَضُّ اعْتَرَاهُ الْحَيَا فَعَضَّ طَرْفًا فِيهِ أَسْقَامُ

وَبَلْبُلُ الدَّوْحِ فَصِيحٌ عَلَى الْأَيْكَةِ وَالشَّحُورُ قَتَامٌ
وَلَسْمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضَعْفِهَا لَهَا بِنَا مَرٌّ وَالْمَامُ

٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

أَطْرَفُ قَاتِ طَرْفِي أَمْ شَهَابُ هَذَا كَأَبْرِقِ ضَرَمَهُ التَّهَابُ
أَعَارَ الصُّبْحُ صَفْحَتَهُ نِقَابًا فَقَرَبَهُ وَعَجَّ لَنَا النَّقَابُ
إِذَا مَا انْقَضَ كُلُّ النُّجْمِ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
سَلِ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَذْنِي مَدَاهُ فِعْنَدَ الرِّيحِ قَدْ يُلْقَى الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ الْحَطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَنْزِلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ جِلْقَا
تَجِدِ الْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُنَاكَ بَلْ وَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْضُحُ مَنْطَقَا
بَلَدٌ سَمَتْ بَيْنَ الْبِلَادِ مُحَاسِنَا وَنَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ السُّرُورُ بِهَا إِكْلٌ مُعَرَّجٌ لَاسِيًا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقَى
إِنْ تَعَشَّقُوا وَطَنًا فَذِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بَانَ تَحَبُّ وَتُعَشَّقَا
خَيْرُ الْأَنْاسِ أَنْاسُهَا يَرْعُونَ أَنْوَاعَ الْوَدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمَوْثِقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرُونَ بِهَا شَقَا
طَابَتْ هَوَاءٌ لِلنَّفُوسِ وَمَاوَاهَا عَذْبُ زَلَالٍ سَائِعٌ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مُحَاسِنُهَا عَنِ التَّعْدَادِ فَلَنَاتٍ بِمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شِمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَقَا
وَتَرَأَسَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِّي سَحَرًا فَهَيَّجَتْ الْفُؤَادَ الشَّيْقَا

كَيْفَ اتَّجَهْتَ يَخْرُ تَحْوِكَ مَأْوُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُ كُلُّ غُصْنٍ زَوْقًا
 يَا حَبْدًا إِشْرَاقُ مَرْجَبِهَا أَلَّتِي أَضْحَى غَنِيَّ أَلْهَمَ فِيهَا مُمْلَقًا
 وَتَلَا عَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَعَالَوْ الْجِيَادَ السُّبْقَا
 ضَحَكَتْ أَرْهَرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى النَّسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفْقًا
 قَدْ دَنَدَنْتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَاكَ الْحَمَامُ وَشَقْشَقًا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنَزَلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولِي التَّقَى
 وَبِهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَزْخَرُفَتْ مِثْلَ النُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أَرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جِلَّتْ بِهَجَّةٍ وَطَلَّ لَوَّةٌ فِيهَا السُّرُورُ تَحَقَّقًا
 سَقِيَتْ دِمَشْقُ السَّامِ صُوبَ غَمَامَةٍ أَشْفَى عَلَى غِيَطَانِهَا فَتَدَفَّقَا
 كَمْ زَهَّةٍ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرَفِ الْهَمُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ (*) إِلَّا زَهَّةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقًا

(١) ذكر ابن جبّار جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسنًا
 واتقان بناءً وغرابةً صنعةً واحتمالاً تمحيق وتزيين . اتدب لبنائه الوليد وبلغ الغاية في
 التأنق فيه . وأنزل جُدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء . وخلطت بها أنواع من
 الأصبغة الغربية قد مثّلت أشجاراً وفرّعت أغصاناً منظومة بالفصوص بديع الصنعة المعجزة وصف
 كل واحد . فجاء يغشي العيون وميضاً وبصيصاً . وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف دينار
 ومائتي ألف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذراع ثلاثمائة ذراع . وذراع في
 السعة من القبلة إلى الشمال مائتا ذراع . وبلاطاته ملتصقة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها
 ٥٥ سارية و٨٠ رجل واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصحن . وأربع أرجل مرخمة بدع
 ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام . ولوثة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وشكلاً غريبة
 قائمة في البلاط الأوسط . دور كل رجل منها اثنتان وسبعون شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث جهاته سبعة عشر حُجْماً . عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلاً والباقي سوار .

قَدْ أَتَقَنَتْ صُنَاعُهُ بُنْيَانَهُ فَاتَى الْمَرْخِفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَتَرَى دُرُوسَ الْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍ مَنْ تَدَاوَلَهُ رَقِي
 وَثَلَاثُ هَاتِيكَ الْمَادَنِ تَجَلِي مِثْلَ الْعَرَائِسِ قَدْ لَبَسْنَ أُثْلَمَقَا
 مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بِتَرْجَمٍ يُشْجِي الْفَوَاةَ السَّمَقَا
 وَالْعَشْرَةُ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمُشْتَقِ بَابًا مُغَلَقَا
 يَا حَبْذَالُ الصَّخْنُ أَشْرَقَ وَأَنْجَلِي فَعَدَا بِهِ مَاءُ اللَّسِيمِ مُرْقَرَقَا
 فِيهِ الصَّخَابُ رَوَائِحًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجْمَعَا وَتَفَرَّقَا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عَلَقَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَبُيُوتُ مَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبَقَا
 هِيَ شَامَنَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ اللَّهُ عَيْشًا رَيِّقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنَظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِّقَا

وسقف الجامع كله من خارج الراح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة
 استقبلت الباد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو . وعدد شمساتها الزجاجية المذهبة الملوثة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 ذلك بالجدار القبل . ويتصل بالابصار منها اشعة ملوثة هائلة لا تبلغ العبارة تصورهما . ومحرابه
 من اعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغرابة صنعة يتقد ذهباً كله . وقد قامت في وسطه محاريب
 صفراء متصلة بمجداره تحفها سويريات مقتولات قتل الاسورة . فانها مزروطة بعضها احمر كأنها
 مرجان لم ير شيء اجمل منها . وله اربعة ابواب وباب جبرون اعظمها وله وللغربي دهاليز
 متسعة يفضي كل دهاليز منها الى باب عظيم كانت كبابا مداخل الكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

لِلَّهِ أَيَّامٌ تَقْصُتُ لِي بِهَا مَا زِلْتُ تَحْوِ ظِلَالُهَا مُتَشَوِّقًا
 هِيَ مَشَايَ لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلُ عُمْرٍ لَا أُنْسِي لَا الْفَوِيرُ وَلَا الْأَنْقَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا الثَّرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَقًا
 لَذِيَا فُؤَادٍ بِمَا بِهَا مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سَامَكَ الْخَطْبُ الْمَهُولُ فَأَقْلَقًا

سقاية وأعظمها سقاية باب جبرون . وذكر ان حول باب جبرون من الابنية الغربية ما
 يطول وصفه . وذكر باب جبرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض له خمسة
 ابواب مقوسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كن فيه راس الحسين قبل ان ينقل
 الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج يتخدر
 عليها الى الدهليز وهي كخندق العظمي تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سوا .
 قد حفته اعمدة كالجذوع طولاً وكالاطواد ضخامة وبجانبى الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع
 مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرام
 مشرفة على الدهليز . وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض
 كبير مستدير من الرخام عليه قبة تعلوها اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض انبوب صفر
 يزجج الماء بقوة فيرتفع في البواء ازيد من القامة . وحوله انايب صغار ترمي الماء علواً فتخرج
 منها كغضبان البين فكأنها اغصان تلك الدوحة المائية . ومنظرها ابداع من ان يوصف . وعن
 يمين الخارج من باب جبرون في جدار البلاط الذي امامه شبه غرفة لها عتبة طاق كبير مستدير
 فيه طبقان من صفر وقد فتحت ابواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودُبرت تدابير هندسية .
 فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صحنان من صفر من في بازيين من صفر قائمان على طاستين
 من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان اعناقهم بالبندقيتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة
 بتدبير عجيب تخيّل الاوامع سخراً . فعند وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الاثقاب الى
 داخل الجدار الى الغرفة وينغلق باب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي
 الساعات فتتغلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالاتها الأولى ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان
 في القوس المنعطف على الطبقان المذكورة اثني عشرة دائرة من النحاس مخزومة في كل دائرة زجاجة
 وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة
 ضوء المصباح وفاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة محمّرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي
 ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصبح الى موضعه وهي
 التي تُسمى الميقاتة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (الشريشي)

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

هارون بن عبد الله والفيل

٣٠٩ قَالَ الْقُرَوَيْنِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا.
وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْفِيلِ شَيْءٌ. وَقَدْ
رَبَطُوا فِي خُرْطُومِهِ سَيْفًا هَذَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا
يَرْفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْفِيَالِينَ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَبَ هَارُونُ وَثَبَةً
أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْفِيلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْبِيَاهِهِ. فَجَالَ بِهِ
الْفِيَالُ جَوْلَةً كَادَ يَحْطِمُهَا مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ
الْحُلُقَى رَابِطَ الْجَاشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَابِيهِ وَأَصْلُهُمَا مُجَوَّفٌ
فَأَنْقَلَعَتَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَذْبَرَ الْفِيلُ وَبَقِيَ النَّابَانِ فِي يَدِ هَارُونِ. وَكَانَ
ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَغَنَمِ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ:
مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرْطُومَهُ بِحُسامٍ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْفِيلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هَذَا
فَإِنْ تَنَكَّيْتُ مِنْهُ فَعُذْرُكَ وَاصْخُ لَدَى كُلِّ مَنْخُوبِ الْفُؤَادِ عِبَامٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرْقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامٍ
فَعَافَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَازِمْتُ أَيْ لَزَامَ
وَعُذْتُ بِنَابِيهِ وَأَذْبَرَ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَامِي

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء

٣١٠ حُكِيَ أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
وَعِنْدَهُ أَكْبَرُ الصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا .
يُحِبُّكُمْ بَيْنَ الرِّعَايَا . إِذَا أَقْبَلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ . تَظْفِرُ
الْأَثْوَابِ . يَكْتَسِفُهُ شَابَانٌ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ
وَتَحَبَّاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنِ أَبِي بَرْزَاءٍ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ
يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْنُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ .
جَدِيرَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ . حَسَنُ
التَّدْبِيرِ . مُعَظَّمٌ فِي قَبَائِلِهِ . مُنَزَّهٌ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ .
رَبَّانًا صَغَارًا . وَأَوَّلًا نَامِنًا غَزَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمَثْنَى :

لَنَا وَالِدٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِي أَشْجَارِهَا . وَبِئْتَفَافٍ يَانِعِ
أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَتَسَاءَلَكَ
الْقِصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْيِيُّ : فَظَنَرَ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ قَوْلَ الْجَوَابِ . وَالْأَمْلَامُ مَعَ ذَلِكَ
ثَابِتُ الْجُنَانِ . خَالَ عَنْ الْإِسْتِخَارِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَعِ . وَزَرَ
لِبَاسَ الْجَزَعِ . فَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ إِسَانٍ . وَحَيَّا
بِكَلِمَاتٍ حِسَانٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ وَعَيْتَنِي مَا أَدْعَايَا .
وَصَدَقَا . فِي مَا نَطَقَا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأَلْنَاهُ

قَصَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إَعْلَمْ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَفْضَتُ فِي
 بَعْضِ طَرِيقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . بِنْيَاقٍ إِلَيَّ حَبِيبَاتٍ . عَلَيَّ
 عَزِيزَاتٍ . بَيْنَهُنَّ فُحْلٌ كَرِيمٌ الْأَصْلِ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَلِيحُ الشَّكْلِ .
 حَسَنُ النَّجَاحِ . يَمْشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلَكٌ عَلَيْهِ رَجٌّ . فَدَنَّتِ الْوُقُوفُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنْ الْحَائِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاوَلَتْهَا بِمِشْرِهَا . فَطَرَدَتْهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ . وَتَسَوَّرَ الْحَائِطَ وَزَفَرَ . فِي يَدِهِ
 أَلْمُنَى حَجَرٌ . يَتِمَادَى كَأَلَيْثٍ إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ الْفُحْلُ بِذَلِكَ الْحَجَرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفُحْلَ سَطَطَ لِحْيَتَهُ وَأَنْقَابَ .
 تَوَقَّدَتْ فِي جَمَرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الْحَجَرَ بَعِيْنِهِ فَضَرَبْتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْنِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُقْتَلِهِ . وَالْمَرْءُ مَقْتُولٌ بِأَقْتَلِ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرْخَةً أَلِيمَةً . فَأَسْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابَّيْنِ فَأَمْسَكَا نِي .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اقْتَرَفْتَ . وَتَعَذَّرَ
 الْخِلَاصُ . وَوَجَبَ الْقِصَاصُ . وَلَاتِ حِينَ مَنَاصُ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعْنَا وَطَوْعًا لِمَا حَكَّمَ الْإِمَامُ . وَرَضِيتُ بِمَا أَقْضَتْهُ شَرِيْعَةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ خَبِيرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَالٍ جَزِيلٍ .
 وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَأَمَ أَمْرَهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ اللَّهَ

عَلِيٍّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْفَظْهُ جَهْدَكَ . فَأَتَّخَذَتْ لَذَلِكَ
مَدْفِنًا . وَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ
بِتَبَتِّي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبُ . وَطَالَبُكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ .
يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مَنْ
يَتَوَلَّى أَمْرَ الْعَالَمِ . وَعُدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ . وَلِي مَنْ يَضْمَنُنِي عَلَى هَذَا
الْكَلَامِ . فَأُطْرَقَ عُمَرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
مَنْ يَقُومُ عَلَى خَمَانِهِ . وَالْعُودِ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَنَظَرَ الْعَالَمُ إِلَى
وُجُودِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
وَقَالَ : هَذَا يَكْفِلُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمَنُنِي . فَقَالَ عُمَرُ : أَتَضْمَنُهُ يَا أَبَا
ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَضْمَنُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِي
السَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مَدَّةُ
الْإِمْبَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ السَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عُمَرَ .
وَالصَّحَابَةُ حَوْلَهُ كَالنُّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْحَضَمُ
يُنْتَظَرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مَنْ قَدَفَرَ . فَلَا
نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقَّ الْمَلِكِ
الْعَالَمِ . إِنْ أَنْتَضَى ثَمَامُ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْعَالَمُ . وَفَيْتُ بِالضَّمَانِ .
وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْعَالَمُ .
لَأَمْضِينَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْبَضْتُهُ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ . فَهَمَلَتْ عِبَرَاتُ
الْحَاضِرِينَ . وَارْفَضَتْ زَفَرَاتُ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّحِيحُ . وَتَرَايَدَ

الْمَشِيحُ . فَعَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابِّينَ اخْذَ الدِّيَةِ . وَاعْتَمَامَ
 الْأَثْنِيَّةِ . فَأَصْرَعَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَأَبَا إِلَّا الْأَخْذَ بِثَارِ الْمُقْتُولِ . فَيَدْنَا
 النَّاسُ يَوْمُ جُونَ تَلَهُمَا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
 الْعَلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَيْمَنَ سَلَامٍ . وَوَجْهُهُ يَنْهَلُ
 مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّلُ عُرْقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسَلَمْتُ الصَّبِيَّ إِلَى أَخَوَالِي . وَعَرَفْتُهُمْ
 خَفِيَّ أَحْوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ اقْتَحَمْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَيْتُ وَفَاءَ الْحَرِّ الْأَعْرَجِ . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَأَجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَعْفُ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُنْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ الْوَفَاءُ مِنَ
 النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ضَمِنْتُ هَذَا الْعَلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مَنْ حَضَرَ فَقَصَّدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمِنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنْ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
 الْمَرْوَةُ أَنْ تُخَيِّبَ قَصْدَهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْعَلَامِ دَمَ أَبِينَا . فَلْتُبَدَلْ وَحْشَتُهُ بِإِنْسَانٍ .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْعَفْوِ
 عَنِ الْعَلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَغَرَّ مَرْوَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ جُلَسَائِهِ . وَاسْتَحْسَنَ اعْتِمَادَ الشَّابِّينَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَنَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ :

مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَائِزُهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دِيَّةَ
أَبِيهِمَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ أُنْبَغَاءَ لَوْجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
نَيْتُهُ كَذَا . لَا يَتَّبِعُ إِحْسَانَهُ مَتَا وَلَا أَدَى . قَالَ الرَّاوي : فَأَعْتَدْتُهَا
مِنْ أَنْفَسِ الْعَجَائِبِ . وَاثْبَتَهَا فِي دِيْوَانِ الْفَرَائِبِ . (للاتليدي)

جحدرد والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ جَحْدَرَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ بَطَلًا شَجَاعًا فَاتَّبَعَهُ شَاعِرٌ أَبْلِيغًا .
فَغَزَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبِغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى
عَامِلِهِ يُوجِّهُهُ بِغَلَبِ جَحْدَرَ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ
أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فِتْيَةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَعَالَ
الْعَظِيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا جَحْدَرَ أَوْ اتُّوا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْفِتْيَةُ إِلَى طَائِفَةٍ
فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِنْقِطَاعَ
إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثِقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَبَيْنَمَا هُوَ
مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
جَحْدَرُ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَابُ الزَّمَانِ . وَجَفْوَةُ السَّاطِرَانِ .
وَجَرَاءَةُ الْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ أَبْتَلَانِي الْأَمِيرُ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفُرْسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُعْجِبُهُ . قَالَ الرَّاوي : فَعَجَّبَ
 الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَمَلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَمْدَرُ إِنِّي قَافِئُكَ فِي
 حَفَائِرِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتَ كَفَانَا مَوْتَكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَقَوْنَا
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قَرُبَ الْقُرْجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
 بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِأَمَلِهِ أَنْ يَرْتَادِلَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيَحْمِلَهُ
 إِلَيْهِ . فَأَرْتَادِلَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهًا أُنْظِرْ كَاشِرًا خَبِيثًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ
 الْمَوَاشِي . وَأَمَرَ أَنْ يُصِيرَ فِي قَفْصِ حَدِيدٍ وَيُسْحَبَ الْقَفْصُ عَلَى عَجَلٍ .
 فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَفَائِرِ وَلَمْ يُطْعَمْ
 شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَأُسْتُكَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَمْدَرٍ أَنْ يُنْزِلُوهُ إِلَيْهِ
 فَأَعطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقِيدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
 يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَمْدَرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَمْدَرٍ
 نَهَضَ وَوَثَبَ وَتَمَطَّى وَزَارَ زَبِيرًا دَوَى مِنْهُ الْجِبَالُ وَارْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
 الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جَمْدَرٌ رَهُوً يَقُولُ :

لَيْتُ وَلَيْتُ فِي مَجَالِ صَنْكَ كِلَاهُمَا ذَوْقُوقٌ وَسَفْكَ
 وَصَوْلَةٌ وَبَطْشَةٌ وَفَتْكَ إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
 فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضَتِي وَمُلْكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَأَعْجَبَ
 الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ ذَرُّكَ مَا أَنْجَدَكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَفَائِرِ وَفَكَ
 وَتَابَهُ وَقِيدَهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ أَمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَتُقَرَّبَ

مَنْزِلَتِكَ . وَإِمَّا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِبِلَادِكَ وَنَشْرِطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُخْذِلَ مَنْكَرًا وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا . قَالَ : بَلْ اخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَجَعَلَهُ مِنْ سَرَّارِهِ وَخَوَاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَلَّاهُ عَلَى الْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حَكَمَى الْوَاقِدِيِّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِيِّ أَخَاهَارُونَ الرَّشِيدَ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ يُيَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَا لِكُلِّهَا سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ الْإِنْفِيَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَيْئَسَ مِنْ عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بَخِيلَهُ وَرَجَلَهُ وَذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَأَفْتَحَهَا وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِفْتُ عَلَى دَمِي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِزُقَاقٍ مُشَيَّتٍ فِيهِ فَوْجَدُهُ غَيْرُ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ نَافِذٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَالِمًا عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أُقِيمُ بِهِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ نَظِيفٍ

فِيهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوُسْدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَغْلَقَ عَلَيَّ
 الْبَابَ وَمَضَى . فَتَوَهَّتُ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَعَالَةِ الْمَأْمُونِ الَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمَعَ
 بِالرَّيْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَيَّ فَبَقِيتُ أَثَقَلْتُ عَلَى جَهْرِ الْغَضَا . فَبَيْنَمَا كُنْتُ
 أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَالٌ حَامِلٌ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبْزٍ
 وَلَحْمٍ وَقِدْرًا جَدِيدَةً وَحَبْرَةً نَظِيفَةً وَكَبِيرَانَا جُدْدًا فُحْطَهَا عَنْ الْحَمَالِ
 وَقَالَ لَهُ : أَمَضِ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَلَّاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ
 لِنَفْسِي قِدْرًا لَمْ أَذْرِ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ الذِّمْنَهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرَبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي أَلَمَ وَيَدْفَعُ أَلْغَمَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَأَسَّتِكَ . فَهَضَى وَجَاءَ نِي بِقَدَحٍ وَبَدَسْتُ مَلَانِ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
 لِي : رَوِّقْ لِنَفْسِكَ مَخَافَةً أَنْ تَتَهَرَّزَ مِنِّي . فَظَنَرْتُ فِي الدَّسْتِ
 فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَّقْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأَبْقَالَ
 مُخْتَلِفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاحِيَةٍ
 أَمَامَكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرَبُهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفْعَلْ
 فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَةٍ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْغِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

عَبْدَكَ يُعْنِي فَلَاكَ عُلُوُّ الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَيُّ أَحْسَنُ
 الْفَنَاءِ . فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُخْفِيَ أَلَسْتَ أَنْتَ
 سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِي خَلِيفَتَنَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمُأْمُونَ لِمَنْ
 دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ عَظُمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
 وَثَبَّتَ مُرُوءَتُهُ عِنْدِي . فَتَنَاولْتُ الْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي
 فِرَاقُ أَهْلِي وَوُلَدِي وَوَطَنِي فَعَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السِّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
 أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ ثَمَلَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدِيرُ
 فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ الطَّرَبُ الْمَفْرِطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
 وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُغْنِي مَا سَخَّ بِخَاطِرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
 أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمُرُوءَتِكَ . فَأَخَذَ
 الْعُودَ وَأَنشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحِبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلُ عِنْدَنَا
 وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عَيْنَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعِينَا
 فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلَاقُونَ مِثْلَنَا نَلَاقِي لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ أَخَانِي مِنَ الطَّرَبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
 كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْمَلَمِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْإِحْسَانِ
 وَأَذْهَبَتْ عَنِّي أَلَمُ الْأَخْزَانِ . فَرَزَدَنِي مِنْ هَذِهِ التَّرْجُحَاتِ فَأَنشَدَ لِلِسُّوءِ :
 تَعِيرُنَا أَنْأَقِلِيلُ عَدِيدُنَا فَقُلْنَا لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَاشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنَمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْعِشَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحَجَّامِ وَحُسْنِ آدِبِهِ . فَخَسَمْتُ
 ثُمَّ أَخَذْتُ خَرِيطةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَانَايِرٌ لَهَا قِيَمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَلَكَ
 عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنَّ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدَرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَاخْذُ عَلَى
 مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ . قُرْبُكَ وَحُلُوكَ فِي مَنْزِلِي غَنَى . وَاللَّهِ لَئِنْ رَاجَعْتَنِي
 بِهَا لَا أَقْتَنَنَّ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيطةَ إِلَى كَهْمِي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمْلُهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنَّ هَذَا
 الْمَكَانَ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوْؤُنَتِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرِّطٍ أَنْ تُنْفِقَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخَرِيطةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرِّطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الدَّعِيشِ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنْ الْخَرِيطةِ شَيْئًا .
 فَتَذَمُّتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْسَمْتُ مِنَ الثَّقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَيْتُ
 بَرِيَّ النِّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالنَّقَابِ وَودَعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلَنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعٍ مَرشُوشٍ فَنَظَرَنِي جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمُأْمُونِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي فَمِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَافِي ذَلِكَ الْمَرْلَقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَأَجْتَهَدْتُ

أَنَا فِي الْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
 وَأَمْرًا وَاقِفَةً فِي الدَّهَائِزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَحَقَّنِي دُمِّي
 فَإِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَطْلَعَنِي إِلَى
 غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدَى رَوْعَكَ
 فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَيَنِمَّا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَقًا
 عَنِيفًا . فَخَرَجْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِي الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجِسْرِ
 وَهُوَ مَشْدُوحُ الرَّأْسِ وَدُمُهُ يُسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
 لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَيَقَالَ : إِنِّي ظَفِرْتُ بِالْعَنَى وَأَنْفَلَتَ مِنِّي .
 وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَابَ وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
 لَهُ فَنَامَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّمَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَظُنُّكَ أَنْتَ صَاحِبُ
 الْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
 جَدَدَتْ لِي الْكَرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
 عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتُ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطْلُعَ عَلَيْكَ فَيَنِمَّ بِكَ .
 فَأَلَّوْهُ بِكَ أَنْ تَنْجُو بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْمَهَلَةَ إِلَى اللَّيْلِ .
 فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَيْسْتُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
 مِنْ عِنْدِهَا وَآتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةِ لِي . فَلَمَّا رَأَتْني بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
 وَحَمَدَتْ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُوهِنُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
 لِلْإِهْتِمَامِ بِالضِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ
 قَدْ أَقْبَلَ بِحَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَاسْتَمَنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

عَيْنَانَا . فَحَمَلُونِي بِالزَّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمَأْمُونِ . فَعَقَدَ مَجَاسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَّاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَلِيَّ النَّارِ مُحْكَمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَمَثَّلَ فَبِعَدْلِكَ وَإِنْ تَعَفُّ فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أُنْشِدْتُ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ

فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَأُصَفِّحْ بِجَهْلِكَ عَنْهُ

إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قَالَ : فَرَفَعَ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمِنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلٌ

فَرَفَعَ إِلَيَّ الْمَأْمُونُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَاسْتَرْوَحَتْ رَوَاحُ
الرَّحْمَةِ مِنْ شِمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعِ مَنْ
حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّ أَشَارَ بِمَثَلِي
إِلَّا أَنَّهُمْ اُخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ
يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ قِتْلَتَهُ فَعْدٌ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قَتَلَ
مِثْلَهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَتَنَكَّسَ الْمَأْمُونُ
رَأْسَهُ مُطَرِّقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأُنْشِدَ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْفُتْنَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَّادُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذُنُوبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَفَوِّدَ مَعَهُ بِعُذْرٍ
 وَعَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَنْطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَارَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ الْإِمَامِ السَّابِعِ
 مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَطَلُّ تَكَاثُلُهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَحَنِينَ وَالِدَةٍ بِقَلْبٍ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَا لَكَ وَضِيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. فَصَبَّتْ الْأَرْضُ وَأَنْشَدَتْ:

رَدَدْتَ مَا لِي وَلَمْ تَجْعَلْ عَلَيَّ بِهِ
 نَأْيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعَمًا
 فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ
 مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعَتْ
 فَإِنْ حَجَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
 إِنِّي إِلَى اللُّؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
 فَقَالَ الْمَأْمُونُ: إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لِدُرًّا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَافَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ:
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمَّ لَقَدْ أَمَتَ حِمْدِي بِحَيَاةِ عُدْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ
 وَلَمْ أَجِرْكَ مَرَارَةً أَمْتَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمَّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظْنُهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَغْفَرَكَ بَعْدُ
 دَوَاتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَمَنِي
 الْعَفْوَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي الْآنَ حَدِيثَكَ فِي اخْتِفَائِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحَجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَّتِي .
 فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِ الْجَمِيعِ . فَلَمَّا جَارِيَّتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ .
 فَقَالَ هَا : مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا فَعَلْتِ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
 مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحَجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ الْحِجَامَةَ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَأَدْخَلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَائِلَتِكَ تَصْلُحُ لِلْمِهْمَاتِ . ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الْحَجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مُرُوءَتِكَ مَا يُوْجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حَدِيثَةُ الْإِفْرَاحِ لِلْيَمِينِ)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ
فِي الْفَكَاهَاتِ

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْخَازِنِ الْكَاتِبُ الدِّيْنَوَرِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي
الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَآلَهُ :

رَحِمَ إِلَاهُ مُجَدِّدِينَ سَلِيمَهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبْضَعٌ مُبْضَعٌ
فَعَصَائِبُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَائِبِ نُشِرَتْ فَتَطْوِي أَدْرَعًا فِي الْأَدْرَعِ
أَفْصَلْتَهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَلْتَهُمْ وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشَّرْعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانَةُ أَسْهَمٍ أَمْ ذُو الْقَفَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَتْرَعِ
غَرًّا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتُكَ بَعْدَهَا يَا غَنَرَةَ الْعَبْسِيِّ غَيْرَ مُدْرَعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ يَطَابُ خَمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بَرَاغِيثًا بُلَيْتُ بِهَا سُودًا إِذَا انْتَبَهَوْا فِي اللَّيْلِ لَمْ أَنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدَغُنِي فَيَنْقُضِي اللَّيْلَ فِي صَيْدِي وَلَدَغِيهِمْ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يَنْقُذُنِي سِوَى ابْنَةِ الْكَرَمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
إِبْعَثْ إِنِّي دَمُ الْعَنْقُودِ أَشْرَبُهَا لَكِي أَنَا مَوْلَا أَشْعُرُ بِسَفْكَ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْأَحْدَبِ :

لَا تَظُنَّ حَدْبَةَ الظَّهْرِ عَيْبًا فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَذَلِكَ الْقِسِيِّ مُحْدُودِبَاتُ وَهِيَ أَنَّكَ مِنَ الطُّبَا وَالْعَوَايِ
وَإِذَا مَا عَلَا السَّامُ فَقِيهِهِ لِقُرُومِ الْجَمَالِ أَيْ جَمَالِ

كُونَ اللَّهُ حَدَبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتُ مِمَّنَ النَّضْلُ لَا مِنْ الْإِضْضَالِ
فَأَتَتْ رُبُوبَةً عَلَى طُودٍ حِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً يَبْجُرِ نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَتَّتْ أَنَّهَا حَلِيَّةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُسَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَامِكَ الْفَتَّانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي الْخُدْبَانِ
يَا مُشَبِّهَ الْفُضْنِ الرُّطِيبِ إِذَا انْتَنَى مِنْ حَدَبَةٍ فَيَمِيسُ كَالرِّيَّانِ
يَا مُعْجَلًا شَكَلَ الزَّمَانُ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نَقْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جَهَالَةً إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةَ بَيَّانِ
هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ذُو حَدَبَةٍ فِي حَلَبَةِ الْمِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا اشْتَقْنَا قِبَابَ الْمُتَحَنَّى مِنْ حَاجِرٍ وَالْتَلَّ مِنْ عُسْفَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبُ وَهُوَ يُلْهِي مُطْرَبًا وَأَنْظَرَ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَدَبُهُ
وَمُدِيرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقْوِ لَطُوفَانِ
وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِيلَ تَمَثَّلًا فِي عَالَمِهِ وَالْقِسْطُ فِي الْمِيزَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْخُدْبَانِ كُلِّ مُكَرَّبٍ بِالْمَدْحِ قَامَتْ حَدَبُهُ الْإِنْسَانِ
مُتَجَمِّعَ الْكَتِفَيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ يَمْشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ السَّرَطَانِ
فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضَّعْفَانِ فِي هَيْئَةِ الْهَيْئَةِ

الطيب والحليمة

٣١٧ يُحْكِي أَنَّ فَلَاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آَلَمَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْآلَامَ وَقَالَ: أَلِمَى فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَمِّي

وَأَضْعَفَ هَمِي . فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا دَاءٌ هَيْنٌ .
وَعِلَاجُهُ بَيْنٌ . أَعْطِنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهَى
وَأَسْتَوْصَفَهُ الدَّوَاءَ . فَقَالَ ضَمِّدْهُ بِجَعَةِ بَيْضٍ كَثِيرَةٍ الْأَبْزَارِ . وَضَعْ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسَخَّنًا عَلَى النَّارِ . فَقَعَلَ ذَلِكَ فَبَرِثَ قَدَمَهُ . وَزَالَ بِالْكَلِمَةِ أَلَمُهُ .
فَفَكَّرَ الْفَلَاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ . وَقَوْلِهِ الْمُصِيبِ . فَرَأَى الرَّاحَةَ . فِي
تَرْكِ الْفَلَاحَةِ . وَالْإِسْتِعَالَ بِعِلْمِ الطِّبِّ فَإِنَّهُ أَمْرٌ هَيْنٌ يُسِيرُ . وَيَأْتِي
أَمْرٌ حَقِيرٌ . يُحْصِلُ أَلْمَالُ الْكَثِيرَ . فَبَاعَ آتِ الزَّرَاعَةِ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطِّبِّ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَفَاتِرَ . وَكَرَّارِيسَ خُرْمَةٍ
مَنَاثِرَ . وَوَسَّعَ أَكْمَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَعَمَامَةِ . وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
وَأَوْرَاقًا وَبَسَطَ بُسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى إِسَانِ مُخْبِرٍ : أَنَّ
الْمَكَانَ الْفُلَانِيَّ فِيهِ طَبِيبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَامَةُ الْأَوَانِ .
وَتَلَامِيذُهُ فِي الطِّبِّ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ . وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ .
وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانُ . عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ :

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فِطْرُ
وَأَجْمَعُ لَدَاكَ كَرَّارِيسًا مُنْتَرَةً
وَضَعُ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ
وَأَجْمَعُ مَعَاجِينَ مِنْ رُبِّ خُلْطُهَا
وَسَمِّ مَا شِئْتَ مِنْ أَسْمَاءٍ مُغْرِبَةٍ
وَقُلْ مِنْ الْهِنْدِ جَاهُذَا وَمِنْ عَدَنِ
بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ طَيْرُ الزَّنَابِيرِ
وَجَمَلَةٌ مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
كَقَبَةِ النَّسْرِ فِي وَزَنِ الْقَنَاطِيرِ
وَأَسْحَقُ سَنُوفًا وَانْكِحَالِ الْعَوَاوِيرِ
كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخَنْفُورِ
هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكٍ تَمْفُورِ

وَذَا مِنَ الْجَرِّ بَحْرُ الصَّيْنِ مَعْدِنُهُ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِأَلْسِنَتِكَ ذَا وَرَمٍ
إِنْ أَقْشَرَ فَقُلْ بَرْدُ عَرَاهُ وَإِنْ
وَإِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ
فَإِنْ يَعِشْ قُلْ دَوَاءِي كَانَ مُنْعِشُهُ
فَإِنْ أَصَبْتَ فَقُلْ عَلِمِي وَمَعْرِفِي
وَإِنْ رَأَيْتَ فَقِيهًا فَرِّ مِنْهُ وَلَا
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَلِكَ إِلَيَّ
فَأَتَّفَقَ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ رَأَى فِي الْمَنَامِ شَيْئًا هَالَهُ وَغَيْرَ
حَالَهُ فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ فَسَمِعَ بِهَذَا الْمُعْبِرِ
الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أَسْتَاذُ مُفِيدٍ . فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَازِينَ مَنْ فَأَخَرَ . أَعْطِنِي دِينَارًا
آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ . يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ .
فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا فُؤَادِهِ مِنْ أَلَمٍ .
أَوْرَثَهُ الْوُجَعُ وَالضَّرَمَ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَيْضِ . صَمِّدْ رِجْلَكَ بِعِجَّةٍ بَيْضٍ .
مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلَيْكِنْ ذَلِكَ مُسَخَّنًا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِئًا وَلَهَبًا . وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طَرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ .
فَأَدَبَهُ التَّأْدِيبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَادِمَةِ السَّالِغِ . وَاسْتَمَرَ
عَلَى كَلَاخَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فِلَاحَتِهِ (فَكَهْمَةُ الْخُلَفَاءِ لَا بَنَ عَرَبِشَاه)

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ وَمِمَّا جَاءَ مِنْ أَخْبَارِ الْبَرَامِكَةِ مَا رَوَاهُ الْأَضْمَعِيُّ قَالَ خَرَجَ الْفَضْلُ لِلصَّيْدِ
وَالْقَصَصِ . وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَوْكِبِهِ إِذْ رَأَى أَعْرَابِيًّا عَلَى نَاقَةٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ صَدْرِ
الْبَرِيَّةِ يَرْكُضُ فِي سَيْرِهِ . قَالَ : هَذَا يَتَّصِدُنِي فَلَا يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي .
فَلَمَّا دَنَا الْأَعْرَابِيُّ وَرَأَى الْمَضَارِبَ تُضْرَبُ . وَالْحَيَامَ تُنْصَبُ . وَالْعَسْكَرَ
الْكَثِيرَ . وَالْجَمَّ الْغَفِيرَ . وَسَمِعَ الْغَوْنَاءَ وَالضَّجَّةَ ظَنَّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَتَزَلَّ
وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . قَالَ : أَخْفِضْ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ
أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : أَلَا نَقَارِبْتَ أَجْلِسَ فَجَلَسَ الْأَعْرَابِيُّ . فَقَالَ لَهُ
الْفَضْلُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . قَالَ : مِنْ قُضَاعَةَ . قَالَ : مِنْ
أَدْنَاهَا أَوْ مِنْ أَقْصَاهَا . قَالَ : مِنْ أَقْصَاهَا . فَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ : مِثْلَكَ
مَنْ يَتَّصِدُ مِنْ ثَمَانِيَةِ فَرَسَخٍ إِلَى الْعِرَاقِ لِأَيِّ شَيْءٍ . قَالَ : قَصَدْتُ
هُؤُلَاءِ الْأُمَاةِ الْأَتَّجَادِ الَّذِينَ قَدْ اشْتَهَرَ مَعْرُوفُهُمْ فِي الْبِلَادِ . قَالَ :
مَنْ هُمْ . قَالَ : الْبَرَامِكَةُ . قَالَ الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْبَرَامِكَةَ
خَلَقَ كَثِيرٌ . وَفِيهِمْ جَلِيلٌ وَخَطِيرٌ . وَلِكُلِّ مِنْهُمْ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ . فَهَلْ
أَفْرَزْتَ لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ مَنْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ وَأَتَيْتَهُ لِحَاجَتِكَ . قَالَ :
أَجَلْ أَطَوَّلَهُمْ بَاعًا وَأَسَمَّحَهُمْ كَنًّا . قَالَ : مَنْ هُوَ . قَالَ : الْفَضْلُ
أَبْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْفَضْلَ
جَلِيلٌ أَلْتَدْرِي عَظِيمُ الْخَطَرِ . إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا لَمْ يَخْضَرْ مَجْلِسَهُ

إِلَّا الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْأَدَبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكِتَابَ وَالْمُنَاطِرُونَ لِلْعِلْمِ .
 أَعْلَمُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَدِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِفُ
 أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدْتَ عَلَى الْفَضْلِ
 بِكِتَابِ وَسِيلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ . مِثْلَكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتَكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . بَابِي ذَرِيعَةٌ
 أَوْ وَسِيلَةٌ تَقْدُمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهِ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمَعْرُوفِ . وَكَرَمِهِ الْمَوْصُوفِ . وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ قَاتِمَهُمَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنْشِدْنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلِحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ
 بِهِمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِلِقَائِهِ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلِحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ بِهِمَا بَرَرْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَحِقَّ إِشْعْرَكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَتَفْعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنِّي أَقُولُ :
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَمْتَصُّهُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّا مَسَّهَا جُوعٌ طِفْلُهَا غَذَتْهُ بِإِسْمِ الْفَضْلِ لَاغْتَدَا الطِّفْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحَنَا
 بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَائِزَةَ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَفَاتُهُ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 بِنَبِيهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَنْبَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُتَخَنًا . هَذَانِ
 الْبَيْتَانِ أَخَذْتَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

رَمَقْتُكَ الْأَدْبَاءُ بِالْأَبْصَارِ وَأَمْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تُنَاصِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

مَلَّتْ جَهَادُ فَضْلِ وَزَنَ نَائِلُهُ وَمَلَ كِتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرَمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسْبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَا الْبَيْتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ . إِذَنْ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِ أَخَا الْعَلَاءِ لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقَتْ جَدُّوَاكَ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ لَأَصْبَحَ مِنْ جَدِّوَاكَ قَدْ نَفَدَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَا
الْبَيْتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَثْنَانِ حَبٌّ وَبَازِلٌ وَإِنِّي لَذَاكَ الصَّبُّ وَالْبَازِلُ الْفَضْلُ
عَلَى أَنَّ لِي مِثْلًا إِذَا ذَكَرَ الْوَرَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَنَشِدْنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكِيَ الْفَضْلُ عَنْ يَحْيَى سَمَاحَةِ خَالِدٍ فَقَامَتْ بِهِ التَّقْوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكْ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ صَجِرْنَا مِنَ الْفَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ
أَنَشِدْنِي بَيْتَيْنِ عَلَى الْكُنْيَةِ لَا عَلَى الْأُسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدَّ الْمُلُوكِ لَهُ نُعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَهُمْ تَحُلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أُنْشِدْنَا غَيْرَ
 الْأِسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَامْتَحَنَنِي
 بَعْدَ هَذَا أَقُولَنَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَمِي .
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لِأَجْمَعَنَّ قَوَائِمَ نَاقَتِي هَذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِ الْفَضْلِ .
 وَلَا زَجَعَنَّ إِلَى قُضَاعَةٍ خَاسِرًا وَلَا أَبَالِي . فَتَكَسَّ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَتَمَعَّنِي الْآيَاتُ الْأَرْبَعَةُ . قَالَ أَقُولُ :

وَلَا نِمَّةٌ لَمْ تَكْ يَا فَضْلُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَبْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
 أَتَهْنِئُ فَضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لَأُورَى فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
 كَانَ نَوَالُ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمَزْنِ فِي مَهْمِهِ قَفَرٍ
 كَانَ وَفُودُ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لَأَقْوَا عِنْدَهُ أَيْلَةُ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ هُوَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ :
 فَأَقِلْنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَفْكَرُ حَاجَتِكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 قَالَ الْفَضْلُ : أَزْدَدْتِ بِنَاوِ بِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطَى عَشْرَةُ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَصْرٍ بِدَفْعِ الْمَالِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا تَيْكَ جَافٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتٍ أُسْتَرْقَتْهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَتَجَزَّيْ بِهِ هَذَا الْمَالِ .

فَقَالَ : اُسْتَحَقَّ بِحُضُورِهِ الْإِنْيَامِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ . قَالَ الْوَزِيرُ : أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكَبْتَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِكَ
وَأَوَمَّاتَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِي . فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ . وَإِلَّا
فَأَسْتَغْطِفُ مَا لَكَ وَيَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ . فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكَبَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ وَأَوَمَّ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِي وَقَالَ لَهُ : رُدَّ سَهْمِي
بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَأَلْشَأَ يَقُولُ :

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَتْرُ النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْغِرِّ فَارْمَ بِهِ فَعَرِي
قَالَ فَضْحَكَ الْفَضْلُ وَأَلْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنْ أَلَا وَمَ أَنْلَ فَلَا تَنْبَسَطْ كَفِّي وَلَا تَنْهَضْ رِجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافَ الَّذِي قَدْ بَدَأْتَهُ فَلَا تُبْقِ لِي بُحْلِي وَلَا تُتْلِفِي بَذْلِي
أَرُونِي بِخِيَالًا نَالَ مَجْدًا بِبُحْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لِيُوزِيهِ . أَعْطِ الْأَعْرَابِي مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِيَكْفِينَا شَرَّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ . فَأَخَذَ الْأَعْرَابِي
الْمَالَ وَانْصَرَفَ . وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِمَّ بَكَوْكَ يَا أَعْرَابِي .
أَلَيْسَ لَنَا لِمَالِ الَّذِي أَعْطَيْنَاكَ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا كَلْهُ
الْتَرَابِ وَتَوَارِيهِ الْأَرْضِ . وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالُ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ حَرٌّ يُمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلَقٌ كَثِيرُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِي مُسْرُورًا (اعلام الناس للاتليدي)

الْبَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي أَنْوَادِ

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كَلَفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْلِيدِ الْأَثَارِ الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْمُلْكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَبْنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ الشَّائِعَ ذِكْرَهُ
الْمُنْتَشِرَ صَيِّتُهُ . وَاسْتَفْرَغَ جَهْدَهُ فِي تَمِيمَتِهَا وَإِتْقَانِ قُصُورِهَا وَازْخَرَفَهُ
مَصَانِعُهَا . فَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرْعَاءِ الْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ
فَوَفَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَنْزَهَاتِ
وِإِنْشَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرُقِ
الْبَلَدِ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ قُرْطُبَةٍ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ اقْتِدَارٍ مُعْجَزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُتَآهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةَ . وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالْحُلَّ الْخُتْلَفَةِ إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّ لَهُ يَرْلَهُ شَيْهًا بَلْ لَمْ يَسْتَعِ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنُ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السُّطْحُ الْمُرْدُ الْمَشْرِفُ عَلَى
الرَّوْضَةِ الْمُبَاهِي تَجَلَّسِ الذَّهَبِ وَالْقَبَّةِ . وَعَجِيبَ مَا تَصَنَّمَهُ مِنْ إِتْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَمَّةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَرِاعَةِ الْمَلَسِ وَالْحَلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرَصٍ مَسْنُونٍ وَذَهَبٍ مَصُونٍ وَعَمَدٍ كَانَمَا أَفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ . وَمَتَّائِلَ

لَا تَهْدِي الْأَوْهَامَ إِلَى سَبِيلِ اسْتِقْصَاءِ التَّغْيِيرِ عَنْهَا (الْكُنْفَى مَثَلًا). وَكَنتَ
تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرَكَةٌ يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا بِصَنْعَةِ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
يَعُومُ أَسَدٌ عَظِيمٌ الصُّورَةِ بَدِيعِ الصَّنْعَةِ شَدِيدِ الرُّوعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبَهِى
مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَابِرِ الدَّهْرِ. مَطْلَبُ بَذْهَبٍ إِبْرِيذٍ وَعَيْنَاهُ
جَوْهَرَتَانِ لَهْمَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ. فَيَمُجُّ الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَبْهَرُ
الْمُنَاطِرُ بِحُسْنِهِ وَرُّوعَةِ مَنَظَرِهِ وَتَحَاجَّةِ صَبِّهِ. فَتُسْقَى مِنْ حُجَاجِهِ جَنَانُ هَذَا
الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِيهَا وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ. وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ
وَقَتْلَاهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَايِبِ الدَّهْرِ لِفَخَامَةِ بُنْيَانِهَا. وَمَا
يُخَصُّ سَائِرَ الْبَنَاءِ فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
الْمُجَرَّعَ مِنْ رِيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةٍ
وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ أَلَيْسِيَّةً الَّتِي أَتَّخَفَ النَّاصِرُ
بِهَا إِلَيَّونَ مَلَأَ قُسْطَنْطِينِيَّةً. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صِهْرٌ مَجْ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّبَقِ.
وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ قَدْ انْعَقَدَتْ عَلَى حَنَائَا
مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرَصَّعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى
سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي. وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحَيْطَانِهِ فَيَصِيرُ
مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ الْمُرْمَرِ وَالْعَمَدِ كَثِيرٌ وَاجْرَى فِيهَا الْيَاةُ وَأَحْدَقَ بِهَا

الْبَسَاتِينَ وَقَدْ أَتَقَنَّهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي
 وَسْطِ الْخَيْرَةِ قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَبَّ الْمَاءُ عَلَى
 رَأْسِ الْقُبَّةِ بِتَدْبِيرِ أَحْكَمِهِ الْمُهَنْدِسُونَ . فَيَسْكُنُ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ
 عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قُبَّةُ الزُّجَاجِ فِي
 غَلَالَةِ مِمَّا سَكَبَ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْتُرُ مِنَ الْجَرِيِّ وَتَوَقَّدُ فِيهَا الشُّعُوعُ
 فَيَرَى لِدَلِكِ مَنْظَرٌ بَدِيعٌ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (المقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَقَدْ شَاهَدْتُ
 مِنْهَا بَلَدًا يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ
 السَّوَادُ . فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا مَلَأَ عَيْنُهُ وَصَدْرُهُ . وَلَا وَصَفُهُ وَاصِفُ الْإِلَاحِ
 أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَثَارِ مَا لَا يَضِيطُّهَا الْعِيَانُ فَضْلًا
 عَنِ الْإِخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْأَرْمَانِ الَّذِي هَرَمَ الدَّهْرُ وَهَلَا يَهْرَمَانِ .
 قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعَظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْفَنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الْإِرْتِفَاعِ
 غَايَةً لَا يَبْلُغُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَحْلِيْقِهِ . وَلَا يُدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى
 تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا أَضْرَمَ بِرَأْسِهِ قَبَسُ ظَنِّهِ الْمُتَكَلِّمُ نَجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ
 قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمِقياسُ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ
 قَدْرُ زِيَادَةِ فَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُوتَةٍ وَمُعْظَمُ انْتِهَائِهِ
 أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ الْكُتُوبِ . وَالْمِقياسُ عَمُودُ رُخَامٍ سَمَرٍ فِي مَوْضِعٍ
 يُنْخَصِرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ انْتِهَائِهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

ذِرَاعًا. وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُقْصَلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
 تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ. فَإِذَا اُسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ وَهِيَ
 الْعَالِيَةُ عِنْدَهُمْ فِي طَيْبِ الْعَامِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومِ الْفَيْضِ.
 وَالْمُقَوِّطُ مَا اُسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ. وَالَّذِي
 يَسْتَحْتِ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَجَهُ سِتُّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا. وَعَلَيْهَا تُعْطَى
 الْبِشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعْلَمُ بِهَا مِائُومَةٌ
 وَمِنْ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِمُهُ وَأَخْبَارُهَا لَا
 تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ. وَهِيَ عَلَى نَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي
 الصَّخْرَاءِ الَّتِي يُفَضِّي مِنْهَا إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجِزَةٌ
 الْبِنَاءِ غَرِيبَةُ الْمَنْظَرِ مَرْبَعَةُ الشَّكْلِ كَأَنَّهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ. قَدْ قَامَتْ
 فِي جَوِّ السَّمَاءِ لَاسِيًا الْإِثْنَانِ مِنْهَا. فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
 رُكْنِهِ ثَلَاثُمِائَةِ خُطْوَةٍ وَسِتُّ وَتِسْتُونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةً الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
 الْعَيْنِ. وَرُبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلْقَى أَطْرَافَهَا الْمُحَدَّدَةَ
 كَأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّحَابِ. قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
 الْمُتَحَوِّتَةِ وَزَكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعُ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُهْجِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ
 نَمَضُ بُلْبَانِهَا. أَمَّا الْأَمْرَمَانِ الْعَظِيمَانِ فَمُخَاذِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ. كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مَرْبَعُ الْقَاعِدَةِ. إِرْتِفَاعُ عُمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ
 ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطُوحٌ
 مَرْبَعٌ رَحْبٌ. وَهَمَّا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِتْقَانِ

الْمُنْدَسَةِ وَحَسَنَ التَّقْدِيرِ بَحِثُ إِنَّهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِعَصْفِ الرِّيحِ وَهَطْلِ
السَّحَابِ وَزَعَزَعَةِ الزَّلَازِلِ . وَهَذَا الْبِنَاءُ لَيْسَ بَيْنَ حِجَارَتِهِ مَلَاطٌ إِلَّا
مَا يُتَخَيَّلُ أَنَّهُ ثَوْبٌ أبيضُ فُرَشَ بَيْنَ حَجَرَيْنِ أَوْ وَرَقَةٌ لَا يَتَخَلَّلُ بَيْنَهُمَا
الشَّعْرَةُ . وَطُولُ الْحَجَرِ مِنْهَا خَمْسَةُ أَذْرُعٍ فِي سَمَكِ ذِرَاعَيْنِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
مَا سَمِعْتُ شَيْئًا عَظِيمًا فَجِئْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ صِفَتِهِ إِلَّا الْأَهْرَمَيْنِ . فَإِنِّي
لَمَّا رَأَيْتُهُمَا كَانَ رُؤْيُيْتُهُمَا أَعْظَمَ مِنْ صِفَتِهِمَا . وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَنْ بَنَى
الْأَهْرَامَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَسَرْتُ عُمُولَ ذَوِي النَّهْيِ الْأَهْرَامِ وَأَسْتُصْغِرْتُ لِعَظِيمِهَا الْأَجْرَامِ
مُسُّ مُوَنَّةِ الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ قَصَرْتُ لِعَالِ دُونِهِنَّ سِهَامِ
لَمْ أَذْرِ حِينَ كَبَا التَّفَكُّرُ دُونَهَا وَأَسْتَوْهَمْتُ لِجَبِيهَا الْأَوْهَامِ
أَقْبُورُ أَمْالِكِ الْأَعَاجِمِ هُنَّ أَمْ طَلَسْتُ رَمْلٍ هُنَّ أَمْ أَعْلَامِ
وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَهْرَامَ بِمَضَرٍّ قُبُورُ مُلُوكٍ عِظَامُهَا آثُرُ وَأَنَّ
يَتَمَيَّزُوا عَلَى سَائِرِ الْمُلُوكِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا تَمَيَّزُوا عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ .
فَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ عَلَى تَطَاوُلِ الدُّهُورِ . قَالَ أُمِّيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

بَعِثْكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا عَلَى مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْ هَرَمِي مِصْرَ
أَنَافًا بِأَعْنَاءِ السَّمَاءِ وَأَشْرَفًا عَلَى الْجَوِّ إِشْرَافَ السَّمَاءِ أَوِ النَّسْرِ
وَقَالَ الْفَقِيهُ عِمَارَةُ الْيَمِينِي الشَّاعِرُ :

مَخْلِيٍّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَنِيَّةٌ تُمَاطِلُ فِي إِتْقَانِهَا هَرَمِي مِصْرَ
تَنْزَهُ طَرَفِي فِي بَدِيعِ بَنَائِهَا وَلَمْ يَنْزَهُ فِي الْمُرَادِ بِهَا فِكْرِي

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيْ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنْعَةِ الْأَهْرَامِ لِأَلْبَابِ
أَخَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلَّ نِقَابٍ
فَكَأَنَّمَا هِيَ كَالْأَيَّامِ مُقَامَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا عَمَدٍ وَلَا أَطْنَابٍ
قَالَ الْقَضَائِيُّ : مِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
بِلَادِ النُّوْبَةِ وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي الْحَرَابِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ حَلْفَ
خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
وَيَمْدُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِقَاصِ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلُّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبٍ
وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبٍ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَقِيًّا يُزْرَعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَعْنَى
عَنِ الْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانِ الْهَيْظِ إِذَا انْضَبَّ الْمِيَاهُ . قَالَ ابْنُ خَرُوفٍ :

مَا عَجَبَ النَّيْلُ مَا أَبْهَى شَمَائِلُهُ فِي ضَفَّتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَحُ
مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَاضُ عَلَى تُرَعٍ تَهْبُ فِيهَا هُبُوبُ الرِّيحِ أَرْوَاحُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقٌ وَأَرْبَاحُ

(أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنقرة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَغَّلَ عَنَتْرُ فِي الْبَرِّ بِالْجَمَالِ
وَالْغَنَمِ . وَقَصَدَ بِهَا الرَّوَّابِي وَالْأَكْمَ . إِلَى أَنْ حَمَيْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَبَعْدَ
عَنْ حَيِّ عَبَسَ . فَقَصَدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ . لِيَسْتَظِلَّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

وَسَرَحَتِ الْأَغْنَامُ تَرْعَى . فِي ذَلِكَ الْمَرْعَى . وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
الْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَتَجَتَّرُ . أَفْطَسُ الْمُنْحَرِ . يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ الشَّرَرُ . يَقْلِبُ
الْوَادِي إِذَا هَمَرَ . بِأَنْيَابِ أَحَدٍ مِنَ النَّوَابِ . وَخَالِبِ أَعْرَمٍ مِنَ الْمَصَائِبِ .
شَدُوقُ شَدَقْمٍ . عَبُوسُ أَدْعَمٍ . تَسْمَعُ الرُّعْدَ إِذَا هَمَّهُمْ وَدَمْدَمَ . يَلْمَعُ الْبَرْقُ
مِنْ عَيْنَيْهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَأَعْتَمَ . شَدِيدُ الْحِيلِ صَعْبُ الرِّاسِ . عَرِيضُ
الْكَتِفِ كَبِيرُ الرِّاسِ . فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحِيلُ رَاحَتَهُ
فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ . وَكَذَلِكَ النُّوقُ وَالْجِمَالُ . شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ .
فَلَمَّا نَظَرَ عَنْتَرُ . إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ . نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يَبْصُرَ .
وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ . وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَابِطٌ بِأَسْطُ يَدَيْهِ . وَهُوَ
يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ . وَالشَّرَرُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
زَعَقَ عَنْتَرُ عَلَيْهِ زَعَقَةً دَوَتْ بِهَا الْجِبَالُ . وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
الْأَشْبَالِ . يَا كَأَبَ الْفَلَاحِ . يَا نَحْسَ وَخُوشَ الْبَيْدَا . فَلَقَدْ أَبْدَيْتَ
بَأْسَكَ وَصَوْلَتَكَ . وَأَفْتَحْتَ بِهَيْمَتِكَ وَهَوَمَتِكَ . فَلَا شَكَّ أَنَّكَ دَلَاكُ
السَّبَاعِ . وَسُلْطَانُهُمُ الْمُطَاعُ . وَلَكِنْ عُدْ بِالْحَنِيبَةِ وَالْإِذْلَالِ . فَمَا أَنَا
كَمَنْ لَا قِيَتَهُ مِنَ الرِّجَالِ . أَنَا مُهْلِكُ الْبَطَالِ . أَنَا مُيَسِّمُ الْأَطْفَالِ .
فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتَلَكَ بِسِنَانٍ وَلَا بِجَسَامٍ . وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْقِيكَ كَأْسَ
الْحِمَامِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَهَمَلَ عَلَى السَّبْعِ وَهُوَ يُنْشِدُ :
يَا أَيُّهَا السَّبْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيتَ مُعَفَّرًا مَنُوبًا
أَتُرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِالْذِّمَامِ مُخْضُوبًا

شَرَدَتْ أَغْنَانِي وَلَمْ تَكُ عَلِيًّا أَنِّي هَزَبْتُ لَا أَزَالُ
 هَذِي وَمَعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْفَلَا هَلَا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
 لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا تَلَقَّى دِنِي وَتَضْحِي لِلْحِمَامِ شَرُوبًا
 لَمْ تَأْتِ تَحْوِي تَبْتَغِي صَيْدًا فَمَدَّ وَأَفَاكَ حَتْفًا عَاجِلًا مَضْبُوبًا
 ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْفُوعُ الْبَرَدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلَ
 الثُّعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
 صَرْخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرْخَتِهِ . وَقَبِضَ عَلَى فِئِهِ بِكَفَيْهِ . وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ
 فَشَقَّ حَنَكَيْهِ . إِلَى حَدِّ كَتِفَيْهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبَيْهِ .
 وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ (سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إِنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوعُ الْمَتَّخِذُ مِنْ قَشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّهِ
 أَمْحَجَمَ أَيُّ الْمُقَالِي . وَصَفَتْهَا أَنْ يُوضَعَ الْقَشْرُ إِمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ الْقَشْرِيَّةُ
 أَوْ مَعَ الْبُنِّ أَمْحَجَمَ الْمَذْقُوقِ وَهِيَ الْبُنِّيَّةُ فِي مَاءٍ . ثُمَّ يُغَلَى عَلَيْهِ حَتَّى
 تَخْرُجَ خَاصِيَّتُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ غَايَةَ اعْتِدَالِ اسْتَوَائِهَا بِطَعْمٍ مَذَاقِهَا
 إِلَى الْمُرَارَةِ . ثُمَّ تُشْرَبُ . فَمَنْ قَائِلٌ بِحَبِّهَا يَدْرِي أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّيُّورُ الْمُبَارَكَةُ
 عَلَى أَرْبَابِهَا . الْمَوْجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
 الْعِبَادَةِ إِطْلَاقًا . وَمَنْ قَائِلٌ بِجُرْمَتِهَا مُفْرِطٌ فِي ذَمِّهَا وَالتَّشْنِيعِ عَلَى
 شُرَّابِهَا . وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبِينَ التَّصَانِيفِ وَالْفِتَاوَى . وَبَالَغَ الْقَائِلُ
 بِجُرْمَتِهَا فَادَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْحُمْرِ وَقَالَهَا بِهِ وَسَاوَى . وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

الْأَضْرَارَ بِالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّلَاوَى وَالتَّعَصُّبَاتِ
 الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْجِدَالِ وَالْفِتَنِ . وَأَمَّا اشْتِقَاقُ اسْمِ الْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ
 الْفَخْرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي يَزِيدٍ فِي مُؤَلَّفِهِ إِثَارَةُ النَّخْوَةِ بِحِلِّ الْقَهْوَةِ)
 فَمِنْ الْأَقْفَاءِ وَهُوَ الْأَجْتَوَاءُ أَيْ الْكَرَاهَةُ . أَوْ مِنَ الْأَقْفَاءِ بِمَعْنَى الْأَقْعَادِ
 مِنْ أَقْفَى الرَّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ أَيْ قَعَدَعْنَهُ وَكَرَاهَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَالْقُعُودُ
 عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْحُمْرَةُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُقَهِّي أَيْ تُكْرِهُ الطَّعَامَ أَوْ
 تُقَعِدُ عَنْهُ أَوْ تُقَعِدُ عَنِ النَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَانْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ
 الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفِ بِالذَّبْحَانِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لَوْظِيْفَةِ تَضَمُّنِ
 الْفِتَاوَى بِعَدَنَ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ اقْتَضَى لَهُ
 الْخُرُوجَ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرٍّ الْأَحْمَرِ فَأَقَامَ بِهِ مُدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَعْمِلُونَ الْقَهْوَةَ
 وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصِيَةً ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَتَذَكَّرَهَا فَشَرِبَهَا
 فَنَفَعَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنْ الْخَوَاصِّ أَنَّهَا تَذْهَبُ النَّعَاسَ وَالْكَسَلَ
 وَتُورِثُ الْبَدْنَ خِفَةً وَنَشَاطًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ
 وَغَيْرُهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِعَدَنَ يَسْتَعِينُونَ بِشَرِبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . ثُمَّ اتَّبَعَ
 النَّاسُ بِعَدَنَ عَلَى شَرِبِهَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنَ الْحِرْفِ وَالصَّلَاتِ وَلَمْ تَرَلْ فِي انْتِشَارِ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :
 يَا قَهْوَةُ تَذْهَبُ هَمُّ الْقَتَى أَنْتِ لِحَاوِي الْعِلْمِ نَعِمَ الْمُرَادُ
 شَرَابُ أَهْلِ اللَّهِ فِيهَا الشِّفَا لِطَالِبِ الْحِكْمَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 نَظِيحًا قِشْرًا فَتَاتِي لَنَا فِي نَكْمَةِ الْمِسْكِ وَلَوْنُ الْمِدَادِ

فِيهَا لَنَا تَبَرُّ وَفِي حَانِهَا
كَالَّذِينَ أَخَالَصُ فِي حِلِّهِ مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالسَّوَادِ
قَالَ آخَرُ :

عَرَجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا فَلَا تُطْفُ قَدْ حَفَّ بِنَدْمَانِهَا
فَإِنَّهَا لَا غَمَّ يُبْقِي إِذَا قَابَلَكَ السَّاقِي بِفُجْأَنِهَا
لَا يُوجَدُ الْغَمُّ بِحَانَتِهَا قَدْ خَضَعَ الْغَمُّ لِسُلْطَانِهَا
بِمَائِهَا نَغْسِلُ أَكْثَادَنَا وَتَحْرِقُ أَهْمَ بَيْرَانِهَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا أَنْ عَلَى الْخَمْرِ وَأَدْنَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا أَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِطُلَانِهَا

(عمدة الصفة في حل القهوة لعبد القادر الجيزي)

ذكر الاندلس وما خُصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٢٣ إِعْلَامُ أَنَّ فَضْلَ الْأَنْدَلُسِ ظَاهِرٌ . كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ .
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ اسْتَحْوَاهَا . وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
زَلُّوْهَا . فَبَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ . عَلَى عِرْقِ كَرِيمٍ . فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ . وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ . وَقَدْ أَعَانَتْهُمْ عَلَى الشَّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ . وَبِقَاعُهُمُ النَّصْرَةُ وَهُمْهُمْ الْأَبْيَةُ . قَالَ صَاحِبُ
الْفَرَحَةِ : أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
الْهَيْمِ وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَاءِ الضَّمِيمِ وَقِلَّةِ أَحْتِمَالِ
الذَّلِّ وَالسَّمَاحَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالنَّزَاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدُّنْيَةِ .

هَنَدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْأَعْلَامِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرَوَايَتِهِمْ
صَنِيعُونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْمُهَنِ الصُّورِيَّةِ .
تُرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مِهْمَاتِهَا .
بَعْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرَفِهِمْ وَرِقَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذِكَايَتِهِمْ
وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ
وَنُفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَانَاَتِهِمْ لِضُرُوبِ
الْفَرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ وَتَدْبِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَاتِينِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُوفِ الزَّهْرِ . فَهُمْ أَحْكَمُ
النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرُّبَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ النَّبِ
فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَحَدُ
النَّاسِ بِالْفَرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّمَنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ أَضْيَائِهِمْ
أَخْتَرَاعُهُمْ لِلخُطُوطِ الْخُصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا .
وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي فِضَائِلِهِمْ أَخْتَرَاعَهُمْ لِلْمَوْشِحَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَنْزِعُونَ مِنْزَعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَتَرْثُهُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
وَقَفَ عَلَيْهِمَا عَلُوطَبَاتُهُمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَهَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِخُرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْأَخِيرَةِ
الْمُهِمَّةِ تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدُودَةِ فِي بِلَادِ أFRیقیة .
فَأَمَّا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَمَالُوا فِي الْبَوَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَاخَلُوا أَهْلَهَا

وَشَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَبَطُوا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَأَحْدَثُوا الْأَرْضِيَّ
 الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلَّمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
 رَأَوْهَا . فَشَرَفَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَغْلَاتُهُمْ وَغَنَمَتُهُمْ
 الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْخَوَاصِرِ فَأُلُوا إِلَى الْخَوَاصِرِ وَاسْتَوْطَنُوهَا . وَأَمَّا
 أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعُمَالُ وَجَبَاةُ الْأَمْوَالِ
 وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمُلْكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِيٍّ مَا وَجَدَ أُنْدَلِسِيٌّ .
 وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَائِعِ فَإِنَّهُمْ فَأَقْوَا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَأَجْمَلُوا
 أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتِبَاعًا لَهُمْ وَمَتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
 فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَغُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِذْقِ وَالْتَّجْوِيدِ
 مَا يَمِيلُونَ بِهِ النُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
 جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
 وَاسْتِبَاطِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَانَ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلَ مَنْ
 اسْتَبَطَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الرُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلَ مَنْ فَكَّ بِهَا
 كِتَابَ الْعُرُوضِ لِلخَلِيلِ . وَأَوَّلَ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِقَى وَصَنَعَ الْأَلَةَ
 الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِثْمَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَأَحْتَالَ فِي
 تَطْيِيرِ جُثْمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ
 مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْأَحْتِيَالَ فِي وَقْعِهِ . وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ
 الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةً
 السَّمَاءِ وَخَيَّلَ لِلنَّظِيرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالْغُيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (للقري)

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقى ملك الروم

لَمَّا وَثَبَ الْفُرسُ عَلَى هَرْمَزِ مَلِكِهِمْ فَسَلَّوْا عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَتَلُوهُ وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ جِهْرَامَ الْمَرْزُبَانَ . كَانَ لِهَرْمَزِ ابْنٌ حَدَّثَ اسْمُهُ كَسْرَى وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَنُوشِروَانَ الْعَادِلِ . فَتَنَكَّرَ كَانَهُ سَائِلٌ وَشَقَّ سُلْطَانَ الْفُرسِ حَتَّى جَاءَ نَصِيبِينَ وَصَارَ إِلَى الرَّهْمَا وَمِنْهَا إِلَى مَبْجُجٍ وَكَتَبَ إِلَى مُورِيقِيِّ كِتَابًا نَسَخْتُهُ :

٣٢٤ لِلْأَبِ الْمُبَارَكِ وَالسَّيِّدِ الْمُقَدَّمِ مُورِيقِيِّ مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كَسْرَى
أَبْنِ هَرْمَزِ السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُعْلِمُ الْمَلِكَ أَنَّ جِهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عِبِيدِ أَبِي جَهْلُوا قَدَرَهُمْ وَنَسُوا أَنَّهُمْ عَبِيدُ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
نَعَمْ أَبَائِي لَدَيْهِمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّ وَأَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ أَنْ أَفْزَعَ إِلَى
مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونُ خَاضِعًا لَكَ . لِأَنَّ الْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا أَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ . وَلَئِنْ يَكُونُ
مَوْتِي عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ أَفْضَلُ وَأَقْلُ عَارًا مِنْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَيْدِي
الْعَبِيدِ . فَقَرَعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءٍ أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتَمْدِدَنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَلَدًا
سَامِعًا وَمُطِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فَلَمَّا تَرَأَّى مُورِيقِيُّ كِتَابَ كَسْرَى بْنِ هَرْمَزٍ عَزَمَ عَلَى إِجَابَةِ مَسْأَلَتِهِ لِأَنَّهُ لَجَأٌ إِلَيْهِ فَأَنْجَدَهُ
بِعَشْرِينَ أَلْفًا . وَسَيَّرَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ أَرْبَعِينَ قَنْطَارًا ذَهَبًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا نَسَخْتُهُ :

٣٢٥ مِنْ مُورِيقِيِّ عَبْدِ يَشُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كَسْرَى مَلِكِ الْفُرسِ وَلَدِي

وَأَخِي السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَمَقَدِّ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَرَدُّوا عَلَيْكَ . وَكُونِهِمْ غَمَطُوا أَنْعَمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
غَمَطًا وَخُرُوجِهِمْ عَلَيْكَ وَدَخْضِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَمَقَدِّ أَخَانِي مِنْ ذَلِكَ
أَمْرٌ حَرَّكَني عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَأَمَّا مَا
ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْإِسْتِئْثَارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْإِسْتِظْلَالَ بِكَفَنِهِ
آثَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْخِصَالِ
وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَّقْنَا قَوْلَكَ وَقَبِلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
أَمْلَكَ وَاتَّمَمْنَا بَغْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمَدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
ظَنِّكَ بِنَاءِ وَوَجْهِنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْتُكَ
لِي وَلَدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبًا فَأَقْبَضَ الْأَمْوَالَ مَبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدْ أَلْجُوشَ
وَسِيرَ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْزُكَ أَشْجَرٌ وَاهْلَعُ . بَلْ تَشْمَرُ لِعَدُوِّكَ
وَلَا تُقَصِّرُ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأَتْ مِنْ دَرَجَتِكَ وَانْحَطَطَتْ عَنْ
مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيُرِدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ
وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرَجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (لَابِي الْفَرَجِ الْمَلَطِي)

كتاب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إني أحمدُ إليك اللهَ الَّذِي لَا إِلَادَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بَيْنَاتِ
الطُّرُقِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ . وَلَمْ

(فوجّه عبسة بالبيتين الى الاعراب لما بقي منهم اثنان) (لابن عبد ربه)

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي العيناء الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعٌ وَزَكَا . وَإِنْ جَفَوْتُهُ ذَبَلٌ وَذَوَى . وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بَرٍّ وَإِغْنَالٍ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى تَسْكُمَ عَدُوٌّ وَشِمْتَ حَاسِدٌ . وَلَعِبْتَ بِي ظُنُونٌ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَاعِبًا وَهُمْ مُحْرَسًا . وَلِلَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدِ فِي قَوْلِهِ : لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَرَعَةٍ

٣٣٠ (فَوَقَّعَ فِي رُقْعَتِهِ) : أَنَا أَسْعَدُكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَمِدْتَ وَمِيْلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ . وَلَيْسَ مَنْ أُنْسِنَاهُ أَهْمَانَاهُ وَلَا مَنْ أَخْرَنَاهُ تَرْكَنَاهُ . مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ أَنَا وَأَقْتَسَامِ زَمَانِنَا . وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تَذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ . وَقَدْ وَقَّعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِنُرِيحَ غَلَّتَكَ وَتُعْرِفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِيَّ أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ (للقيرواني)

فصول لابن عبد ربه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يَخْصَرَ بِفَضْلِهِ مَنْ شَاءَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَ وَلَا حُجَّةٌ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ . كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدُ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيْرَتِي . أَرَى بِبَقَائِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي . لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَنَسَأَلَ الْكِتَابَ إِلَيْكَ . فَمَرَّةً تَوْقِفُ تَوْقِفَ الْخُجَّافِ عَنْكَ

مِنَ الْمُؤُونَةِ وَمَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ وَالْمُعْتَمِدِ مِنْكَ
 عَلَى الْمُقِيلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَابَ الدُّنْيَا بِهَيْجَتِهَا بِكَ وَلَا
 أَخْلَانَا مِنَ الصَّنْعِ لِلَّهِ . فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نَجِدُ لِلْحَيَاةِ طَعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ . وَلَئِنْ كَانَتْ الرِّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذِلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرِّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا . لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ
 بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسَلَّتُهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصُنَّتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ .
 (فَضْلٌ) : لَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفُ
 يُوجِبُ عَلَيْكَ الْوَدَّ وَالْإِتِّمَامَ . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُجِزِّيَنِي مَا لَمْ تَزَلِ
 الْفِرَاسَةَ تَعْدِينِيهِ فِيكَ . (فَضْلٌ) : قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِذَارِ
 وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْنَعُ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أُنْعَمُ
 وَصَلْتُ أَوْ قَطَعْتُ

(العقد الفريد)

كان الأمير عبد الرحمان قد جفا ابنه المذنب وأبعده لسوء خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٣ إني قد تَوَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ زَيْدٍ
 وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آتِسُ إِلَيْهِ . وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْعِزِّ فَقِيدَ
 الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِقَابًا لِذَنْبٍ كَبِيرٍ أُرْتَكَبْتُهُ وَعَلِمَهُ
 مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيبِهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَفْحُهُ :
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لَكَالِدَهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

(للمقري)

(فلما وقف الأمير على رُقعته أرجعه الى ما اعتاده)

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الجئة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمَ آيَوْمٍ اَيْنَ الْحَوَاشِي وَطِيءُ النَّوَاحِي وَسَمَؤُنَا قَدْ اُقْبَلَتْ
وَرَعَدَتْ بِالْخَيْرِ وَبَرَقَتْ . وَاَنْتَ قُطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ . فَلَا
تُفَرِّدُنَا فَنَقِلَ . وَلَا تُفَرِّدُنَا فَنَذِلَ (القيرواني)

كتاب ابي العباس الغساني كاتب صاحب افرقية لبعض الاصدقاء

٣٣٤ سِرٌّ إِلَى مَجْلِسٍ بِكَادٍ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ . وَيَطِيرُ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ
جَوَاهٍ حَتَّى يَحُلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَلِلَّهِ دَرْكُكَالِهِ إِنْ طَلَعْتَ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ
وَحَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غَيَّةٌ نَحْيَاهُ . فَهَوَافُكُ قَدْ حَوَى نُجُومًا تَشْوَقُ إِلَى
خَالُوعٍ بَدْرِيهَا . وَقَطَرٌ قَدْ اُسْتَمَلَ عَلَى أَنْهَارٍ تَشْوَقُ إِلَى بَحْرِهَا . لَتَسْتَمِدَّ
وَنَهُ . فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ . وَإِلَّا فَيَا خَبِيَّةَ السُّرُورِ . قَالَ ابْنُ الزُّنَيْنِ :

قَامَتْ لِمَعْنَتِكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالْكَأْسُ أَصْبَحَ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنِ الزَّهْرِ نَحْوَ الْبَابِ نَاطِرَةٌ وَقَدْ صَغَتْ أُذُنُ السُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَحْ بِجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ شَمْلُ مَسَرَّاتِ الْهَنَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعَيْتُ لَهُ يَا حَبَّذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب صاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مُعْوَلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ . وَقَدْ آبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَضْمُوهُ إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا مِثْنَاكَ . وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

تَعِيَهُ أَذُنَاكَ . وَتَحْنُ لِعَيْنَيْكَ كَقَعْدٍ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَذْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ . وَتَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ فِي مَرِّهِ . وَالْمَاءِ إِلَى مَقَرِّهِ . لِئَلَّا يَخْبُثَ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواحي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول لآحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لِكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي
مَا يَقْبِضُنِي عَنْ الطَّالِبَةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أُمْسَكَ بَرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضَتْهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكِّرًا وَسُودُوكَ شَافِعًا . (فَصْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا أَسْتَعَاثَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرٍ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى النُّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ وَمِنْ طُولِ وِدِّكَ أَنِّي ذَهَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي أَرَاكَ بَعِينَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فَصْلٌ) . إِنْ مَسَّلَتِي إِلَيْكَ حَوَانِجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللَّوْمِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِ عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَمِي بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَعَجَزُ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْأَلَتُكَ
مَا سَنَعَ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتُ لَا تَجْعَلُ عَتَبَكَ سَبَبًا لِنَعْمِ مَعْرُوفِكَ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْنِيْنَا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرْقَبْنَا أَنْذَابَهُكَ مِنْ رَقَدَتِكَ .
وَصَبْرَنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ . فَهِيَ أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطُورِكَ وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَاطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبدربه)
فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمَلِكَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَتَبُ حَدَثٍ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ
بِتَقَاضَى كَرَمُكَ إِجْزَاءَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّفْعَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فصل) أَنْتَ أَغْرَكَ اللَّهُ أَعْلَمَ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ
أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِ بِيدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَشْ . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَرْغَى لِلْحُقُوقِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِلذِّمَامَاتِ . مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُوَمِّلِكَ
صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّهُ . وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ
٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يعده ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب إليه :

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ أَيْدِكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ الْأَنْسَاءِ لِكَيْمَا أَرَادَ أَيْضًا جَمِيلًا
أَنْتِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيمًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُدُ فِي الصُّحُوفِ مَنَّا عَلَى مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بَرًّا وَافْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيمًا

فاجابه ابن الزيات :

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ اللَّهِ رِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيًّا
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَ تَكْ حَوْلًا لَسَكَ عِنْدِي قَلِيلًا
فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعُذْرِ رِ سَبِيلًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْأَمْنِ وَوَمَا سَاحَ الْخُلَيْلُ خَلِيلًا

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبُهُ فُتِّحَ فِعْلُكَ . وَضَعْتُ هَجْرَكَ
وَوَصْلَكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَضَرُّ مِنْهُمَا عَلَى
طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وَدِّي لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
هَيْبَةٍ . وَتَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أُنْذِمَ عَلَى حَسَنَةِ (للخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنْ سُلْطَانِهِمْ . فَاحْذَرِ أَنْ تُدْرِكَنِي
وَأَيَّاكَ عَمِيًّا مُجْهُولَةً . وَضَعَانُ مُحْمُولَةً . وَأَهْوَاءُ مُتَّبَعَةً وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً . فَنَاقِمِ
الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَاشِرِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَأَقْتَحِ بَابَكَ لَهُمْ .
فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَالَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ هُشْتَاكَ وَلَا هَلْ بَيْتِكَ هَيْبَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَهَاطِعُكَ
وَمَرْكَبُكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلَهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَأَبْهَيْتِهِ

هَمَّاهُ فِي السَّيْمَنِ وَالسَّيْمَنِ حَتْفَهَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعَالَمَ إِذَا زَاغَ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ .
وَأَشَقَى النَّاسَ مَنْ يَشْقَى بِهِ النَّاسُ . وَالسَّلَامُ لابن عبد ربه)

كتاب صلاح الدين الى معز الدين صاحب الجزيرة

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ الْإِنْتِمَاءَ إِلَيَّ ابْتِدَاءً وَرَاجَعْتَنِي فِي ذَلِكَ
مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ الْحَيْفَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ .
فَقَبْلَتِكَ وَأَوْيَتِكَ وَنَصْرَتِكَ وَبَسَطْتَ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ
وَأَعْرَضْتَهُمْ . فَفَقَدْتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَه . فَأَتَّفَقَ
وُقُوعُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْإِسْلَامِ قَدَعُونَكَ فَأَتَيْتَ بِعَسْكَرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ
النَّاسُ . وَأَقَمْتَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْمُدِيدَةَ وَقَلَقْتَ هَذَا الْقَلَقَ وَتَحَرَّكَتْ هَذِهِ
الْحَرَكَةُ . وَأَنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدِ حَالٍ مَعَ الْعَدُوِّ .
فَأَنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصِرْ مَنْ تَنْتَبِي إِلَيْهِ غَيْرِي . وَأَحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ
يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ الْثِقَاتُ (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أَحْلَتَ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتَ مُلْكَكَ فَهَبْتَ فِي كُتُبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ أَلِ إِخْوَانٍ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعُ بِكَ
أَتَعَبْتُ كَفِّكَ فِي مُكَاتَبَتِي حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعَبِكَ
(فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ)

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ

أَنْكَرْتَ سَيِّئًا فَلَسْتُ وَاعِلُهُ وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطُ فِي كَيْبِكَ
 إِنْ يَكْ جَهْلَ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي فَعُدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 فَأَعْفُ فِدَتَكَ الْنُفُوسُ عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي آدَبِكَ

فصول في التوصية

كتاب عمر الى ابي عبيدة بعد فتوح الشام

٣٤٤ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلِيِّكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنْ الْحَقِّ . وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَبْنِي مَا سِوَاهُ
 وَالَّذِي اسْتَخْرَجَكَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى جُنْدٍ مَا
 هُنَاكَ مَعَ خَالِدٍ فَأَقْبِضْ جُنْدَهُ وَأَعِزَّهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلَا تَقُلْ إِنِّي
 أَرْجُو لَكُمْ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ .
 وَإِيَّاكَ وَالتَّغَرُّبَ بِالْقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغَضْرٍ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ
 وَالْهَيْعَةَ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ سِتْرُ الْحِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ
 سَلَفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظَرٌ سَفَرًا وَرَحِيلًا مِنْ دَارِ مَضَتْ نَضَارَتُهَا
 وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمُ النَّاسِ فِيهَا الرِّحَالُ عَنْهَا لَغَيْرُهَا وَيَكُونُ زَادُهُ
 التَّقْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ
 فِي الصُّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ فَأَنْتَ الْوَلِيُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب بدیع الزمان الى ابن اخته

٣٤٥ أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ . وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ .

وَالْمُحَبَّرَةُ حَلِيفَتُكَ . وَالْدَّفَقْرُ أَلِيفَتُكَ . فَإِنْ قَصُرَتْ وَلَا إِخَالَكَ . فَمَغْيِرِي
خَالَكَ وَالسَّلَامُ

(رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوعية

٣٤٦ إِنْ حَقَّ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ تَفِيدُ أُمُورَهُمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ فِيمَقْدِمِ مُحْسِنِهِمْ وَيُؤَخِّرِ مُسِيئِهِمْ .
لِيَزِدَّادَهُوَلَاءَ فِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزِدَّجِرَهُوَلَاءَ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَضْلُ لَهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ خُلَفَاءَهُ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلَعَبِيدِهِ عَلَى
خُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّافَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حَقِّهِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَمَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَفَضْلُ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ تَصَلَتْ بِرِعَّتِهِ عَامَّةً وَشَمَلَتْ الرُّعْيَةَ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عَنْدهُمْ فِيهَا وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبَتَدْبِيرِهِ وَذَبَّهَ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حُرْمَتِهِمْ .
وَبِحَيَاظَتِهِ حَصْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سَبِيلِهِمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصِحَتِهِمْ مُوَيْدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِاتِّمَاسِكِهِمْ .
مَوْصُولًا بِالْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المدح والشكر

فصول للحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ إِيَّاهَا . فَإِنَّ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقَ أَمْسَكَتَ بِهِ
وَقُتَّ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خَلَا هَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الْوَصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَارْعَمْتَ أَنْفَ الْحُسُودِ
فَنَحْنُ نُلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنَفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا وَلَا أَكْثَرَ عِيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أُنْجِزَتْ فِيهِ عِدَّةُ الرُّأْيِ وَبُشِّرَى الْفِرَاسَةِ . وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

كتاب ابن مكرم الى احمد بن المديبر

٣٤٨ إِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُشْنِيِّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمَوَّئِينَ مَعَهُ
(لا بن عبد ربه)

فصول في التهنئة والهدايا

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ لَيْسَ تَخَلَّفَتْ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصَاءَ عَنْ خَبْرِكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ

مُهِنًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيروز

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنَ الْعُمُرِ
مَوْصُولَةً بِفَرَاغِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي
وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مُلْكُكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِفَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
بِطَرَفِي إِلَى كَرَامَتِكَ مَا يَفُوجِدُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لَمْهُدِي مَا لَكَ إِلَيْكَ . وَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَحْدَثَةٍ . فَرَأَيْتُنِي إِنْ جَعَلْتُهَا أَهْدِيَّتِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أُمِيزْ مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنْ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْتِرَافَ بِالْتَّصْمِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْعُجْزِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض المالك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَضْرُوفٌ مُحَوَّكٌ .
فَمَا عَسَى أَنْ أَهْدِيَ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَّاتٌ فِيهِ الْعَادَةُ
سَبِيلُ الْهَدَايَا لِلْسَّادَةِ . فَأَقْتَصِرَ نَاعِلِي هَدِيَّةٍ تَقْتَضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجَلِ الْبِرِّ . وَلَا زِلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالْغِبْطَةِ فِي
أَنْحَاءِ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَمُرُّ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

فَتَحْلِلْهَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَالَهَا فَتَلْقَاكَ بِهَا (لابن عبد ربّه)

فصول في التعزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥٢ بَلَّغْنِي مَا قَاسَاهُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مِنْ
 غَمٍّ يُشْكِي بَلَّ يُبْكِي . وَجَزَعٍ يُضْنِي . بَلَّ يُفْنِي . وَالْمَوْتُ خَطْبٌ ثَقُلَ
 حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَى الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى
 الْمُعْزِي لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمُعْزَى . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :
 قَيِّدُونُ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَوْ اخْرُؤْنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي
 وَشَيْخِي أَعْرَفُ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ آدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَامَ
 لِقَضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمَفْجَأَةِ الْمُصِيبَةِ لَدَعَهُ يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مُبَآئَةِ
 الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّقِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الخوارزمي)

غيره لبعضهم

٣٥٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَزَّى وَأَوْلَى مَنْ تَأَنَسَّ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ
 اللَّهِ وَقَبِلَ تَأْدِيبَهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرَّعَ غُصَصِ الْبَلْوَى
 مَنْ تَنَجَّزَ مِنَ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَأَعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي
 قَلْبِهِ سَلَوَةٌ مِنْ فَقْدِ كُلِّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَطِبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأُنْسُ مِنْ كُلِّ
 فَقِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللَّوْعَةُ بِهِ . وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ وَمَوْرِدُ
 الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَائِفِ أَوْلِيَاءِهِ أَفْضَلُ الْعِبَرَةِ وَأَحْسَنُ
 الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا بِأَجْزَلِ الْإِعْطَاءِ

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِاحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهَا بِإِوفْرِ الْأَنْصَاءِ . فَوَهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عَصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْفَائِزِينَ وَقُرْبَةً الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا
(لابن عبدربه)

كتاب ابي العيناء الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا خَافَهُ
لَهُ . وَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عُقْبَى أَفْضَلَ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَأَقْبَلَ مِنْ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعُطْيَةِ وَأَصْبَرَ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزْيَةِ

فصول الى عليل

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تلميذه له قد ظهر عليه الجدرى

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبْرُ الْجَدَرِيِّ فَنَالَ مِنِّي وَهَيْجَ حَزَنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَسْهَرَ عَيْنِي وَهَذِهِ أَلَعَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ قِطْعَةً
شَدِيدَةً . فَإِنْبَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيقَهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَعَمْرِي إِنِّهَا تَوْرَثُ سَوَادَ الْوَلَدِ . وَتَذْهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَسِيرُ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا مَنَ خَاقَ عَلَيْكَ . وَارَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذُنُوبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالْيَقِينَ طَيِّبَكَ .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَدَاءٌ أَدْوَأُ مِنْ أَجَالٍ . وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ مَهَلٍ . وَلَا فِرَاشَ

أَوْطَأُ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيِّبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بأنه عليل

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّنِي
أَطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَفَّارَةً
وَأَخْرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
وَيُودِي لَوْ قَرَّبَ عَلَيَّ مُتَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَأَحْتَمْتُ عَنْكَ بِالتَّعَهُدِ
وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ
كَقِسْمِكَ . وَمَرِضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَظَنُّ أُنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا
لَا نَصْرَفْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
فِيكَ الْمُحْذُورَ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعَبِكَ لَهُ

فصول في وصاة للجاحظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفَتْهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبَتْهُ إِلَى طَلِبَتِهِ مَنْ
تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَنَزَعَ نَحْوَكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلُنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وله) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فَلَانٍ وَلَهُ لَدُنَا
مِنْ الذِّمَامِ مَا يَلْزِمُنَا مُكَافَأَتَهُ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمُعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِي شُكْرَهُ (لا بن عبد ربه)

الْبَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي التَّرَاجِمِ (*)

شعراء النصرانية

٣٥٨ (الْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥). هُوَ أَبُو النَّصْرِ بْنِ رَوْحَانَ بْنِ أَسَدٍ
الْتَّمِيْمِيُّ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ. وَكَانَ فِي صِغَرِهِ
يَتَّبِعُ رِعَاةَ الْإِبِلِ وَيَحْلُبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَاهِبٍ حَوْلَ الْمَرَاغِي
فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ تِلَاوَةَ الْإِنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بدينِهِ. ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
بَعْدَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْفُرُوسِيَّةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَحُلُمٍ مَا لَمْ يَكُنْ لغيرِهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ :
يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ اسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَبْغِيهِ
وَالْبَسْ لِسْرِكَ مَا تَخْفِيهِ مُجْتَهِدًا وَالْبَسْ عَفَافَكَ فِي مَا كُنْتَ تَبْغِيهِ
فَصَاحِبُ الصَّدَقِ يَجْنِي صَدْفُهُ حَسَنًا وَصَاحِبُ الشَّرِّ سُوءُ الشَّرِّ يَجْنِيهِ
وَمَا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي طِيٍّ وَقَضَاءَةُ الْحَرْبِ الْمَشْهُورَةِ
وَتَعَاظَمَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمْ وَاتَّسَعَتْ أَعْيَا التَّدْبِيرِ فِي الصُّلْحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ
مَنْ كَانَ مُعْتَرِلًا عَنْهُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم بجنى
على الكثير تاريخهم. وقد افردنا باباً آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضبط
المقام بوضعه في الجزء التالي. وقد اصطغنا في الارقام ان يكون العدد الاول دالاً على سنة الميلاد
والثاني على سنة الوفاة. وان لم تَرَ إلا عدداً فذلك تاريخ سنة الوفاة. وهو بحسب التاريخ المسيحي

وَسَارِ قَبَائِلَ رَبِيعَةَ يَسْتَنْجِدُونَهُ وَقَالُوا : قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا
عَلَيْهِ . وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَزِلًا عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ . فَأَخَذَتْهُ الْغِيرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
أَعْمَرِي لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِنَائِي أَوْ أَسِيرُ
أَأْزِلُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسَرُّ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَ بِهِمْ عَسِيرُ
ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
بَأْسِهِمْ وَتَجَدَّتِهِمْ فَشَدُّوا بِنَا الْحَيْلَ وَابْدُؤُوهُمْ بِالْفَارَةِ . فَوَضَعُوا فِيهِمْ
السُّيُوفَ وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
قَبِيلَةٍ مِمَّا يَلِيهَا . فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقُضَاعَةٌ بَعْدَ قِتْلَةٍ مَرِيعَةٍ .
وَاتَّبَعَهُمُ الْبَرَّاقُ . وَأَمْتَلَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ .
وَعَظُمَتْ مَنَزَلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَاسْتَهَالُوا أَمْرَهُ وَأَثْنُوا عَلَيْهِ
جَمِيلًا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ .

٣٥٩ (أَمْرُ وَالْقَيْسِ ٥٦٦) . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ أَمْرُ وَالْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ
ابْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ سَاحِبِ الْمُعَلَّقَةِ الْمَشْهُورَةِ . وَكَانَ مِنْ فُحُولِ
شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَائِرِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . سَبَقَ إِلَى
أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ . وَكَانَ حُجْرُ
أَبُو أَمْرِ الْقَيْسِ مَدًّا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً . قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ :
فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِ الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ فَقَالَ : الْحَمْدُ عَلَيَّ
وَاللَّعْبُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً . وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةً
ثُمَّ قَامَ أَمْرُ وَالْقَيْسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا قَدْ تَرَعَّعَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ

الْعَرَبِ . وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرِقْتُ إِبْرَقَ لَيْلٍ أَهْلُ يُضِي سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَصْرٍ تَرَعَزَ مِنْهُ الْقَلَلُ
بَقَيْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَالٍ

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ بَكْرًا وَتَغَابَ فَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ .
وَبَعَثَ الْعُيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَنَذَرُوا بِالْعُيُونِ وَجَاءُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ .
فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَبَنُو أَسَدٍ جَامُونَ عَلَى الْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتِ الْجُرْحَى
وَأُقْتِلَ فِيهِمْ . وَحَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتْ بَنُو أَسَدٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ
وَتَغَابَ أَبَوَانِ يَتَبَعُوهُ وَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ ثَارَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا .
قَالُوا : بَلَى وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشُومٌ . وَكَرِهُوا قِتَالَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَنْصَرَفُوا
عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحَمِيرٍ . ثُمَّ خَرَجَ فَظَفِرَ بِبَنِي أَسَدٍ
(قَالُوا) وَأَلَحَّ الْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ أَمْرِ الْقَيْسِ وَأَمَدَهُ أَنْوَشِرُ وَأَنْ بَجِيشٍ مِنْ
الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَ حَمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَتَجَا فِي
عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي أَكْلِ الْمُرَارِ حَتَّى نَزَلَ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي
حَنْظَلَةَ وَمَعَ أَمْرِ الْقَيْسِ أَدْرَاعٌ يَتَوَارَثُونَهَا مَلَكًا عَنْ مَلِكٍ . فَقَلَمَا
أَشْوَاعُنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي أَكْلِ الْمُرَارِ . فَاسْلَمَهُمْ وَتَجَا
أَمْرُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبَنَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ أَمْرِ

الْقَيْسِ وَالْأَذْرُعُ وَالسَّلَاحُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرُو بْنُ جَابِرِ بْنِ مَازِنٍ
الْفَزَارِيُّ : يَا أَبْنَحَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفُسُ
بِمَثْلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
الْغَمَّانَ فَلَمْ أَرِ لِيَصِيفِ نَازِلٌ وَلَا لِمُجْتَدِ مِثْلُهُ وَلَا مِثْلُ صَاحِبِهِ . قَالَ :
مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوَلُ بَنِيَاءَ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
يَمْنَعُ ضَعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ غَيْبِكَ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
كَبِيرٍ . فَمَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى السَّمْوَلِ فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُفَاجِئًا وَإِلَى السَّمْوَلِ زُرْتَهُ بِالْأَبْلَقِ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمَلُ حَاجَةً إِنْ جِئْتَهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مَرَهَقِ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبَقِ
وَعَرَفَ لَهُمُ السَّمْوَلُ حَقَّهُمْ فَأَنْزَلَهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بِرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ
مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمٍ
الْعَسَّائِيِّ بِالشَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَاسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
الْأَذْرُعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ عَمِّهِ . فَمَضَى
حَتَّى أَتَى إِلَى قَيْصَرَ فَقَبِلَهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَأَنْدَسَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
مُسْتَحْفِيًا ثُمَّ إِنْ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ عُذْرٌ وَلَا تَأْمَنُ
أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَغْرُوكَ بِمَنْ بَعَثَ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ

حِينَئِذٍ بَحْلَةٌ وَشَيْءٌ مَسْمُومَةٌ مَسْجُوعَةٌ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرْسَلْتُ
 إِلَيْكَ بِحَلَّتِي الَّتِي كُنْتُ أَلْبَسُهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكَ فَأَلْبَسْهَا
 بِالْيَمِينِ وَالْبَرَكَةِ . وَاتَّخَذَ ابْنُ بَجْرَكٍ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلًا . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
 لِبْسُهَا فَاسْرَعَ فِيهِ الشَّمُّ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسُيِّي ذَا الْقُرْوَاحِ (الْأَغَانِي)
 ٣٦٠ (عَدِي بْنُ زَيْدٍ ٥٨٢) . هُوَ مِنْ أَوْلَادِ نِزَارٍ وَكَانَ شَاعِرًا فَصِيحًا مِنْ
 شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أَيْفَعَ طَرَحَهُ فِي الْكُتَّابِ
 حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمُرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًا إِلَى كِتَابِ الْفَارِسِيَّةِ .
 فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْفَارِسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
 مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهِمَا وَأَفْصَحِهِم بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشُّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرَّمِيَّ
 بِالنِّسَابِ فَخَرَجَ مِنْ الْأَسَاوِرَةِ الرُّمَامَةِ . وَتَعَلَّمَ ابْنُ الْحُجَمِ عَلَى الْحَزَلِ
 بِالصَّوَالِجَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ اثْبَتَهُ كَثْرَى مَعَ وَلَدِ الْمُرْزُبَانَ فَكَانَ عَدِيُّ
 أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيوَانِ كَثْرَى . يُؤْذَنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ
 وَهُوَ مُحَبَّبٌ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَأَرْتَفَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ
 الْمُنْذِرِ عَلَى الْحَمِيرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْهِ لَهُ
 أَمْرُهُمَا أَبِي وَعَامِرٌ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَجْزَلَ صِلَاتِهِمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَأَوْلَاهُ
 مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى اسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ لَا
 يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيُّ يَقُولُ الشُّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :
 أَلَا مَنْ مَبْلَغُ النُّعْمَانِ عَنِّي وَقَدْ تَهَوَّى التَّصِيحَةُ بِالْمَغِيبِ
 أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغَلًّا وَالْبَيَانَ لَدَى الطَّيِّبِ

أَتَاكَ بِأَنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسْأَمْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ
وَبَيْتِي مُتَقَرُّ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ الْخَيْبِ
يُسَادِرْنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِي كَشَنَ خَانَهُ خَزَزُ الرِّيبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُعَابَ عَلَى الرَّأْيِ الْمَصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
وَكُتِبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كِسْرَى :

وَتَقُولُ أَلْعَدَاةُ أَوْدَى عَدِي وَبَنُوهُ قَدْ أَيَقَنُوا بِعَاقِ
يَا أَبَا مُسَهَّرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنُ الْعِرَاقِ
أَبْلِغَا عَامِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنَّنِي مُوثِقٌ شَدِيدٌ وَثَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغِلَالٍ وَثِيَابٍ مُنْصَحَاتٍ خِلَاقِ
فَارْكَبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُونُوا أَخَاكُمُ إِنَّ عِيرًا تَجَهَّزَتْ لِأَنْطَلَاقِ
فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كِسْرَى فَكَلَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكَتَبَ إِلَى النُّعْمَانِ يَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِهِ . فَأَتَى النُّعْمَانُ أَعْدَاةَ
عَدِي فَأَعْرَفَهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لَا بِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِي)

(*) وَاخْبَرَ صَاحِبَ كِتَابِ الْإِغَانِي أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ خَبَرُ قَتْلِ عَدِي إِلَى كِسْرَى سَكَتَ اشْهَرًا
عَلَى ذَلِكَ وَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ مَا وَقَعَ . وَجَمَعَ النُّعْمَانُ يَسْتَعِدُّ وَيَتَوَقَّعُ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابُهُ أَنَّ أَقْبَلَ فَإِنَّ
لِلْمَلِكِ حَاجَةً إِلَيْكَ . فَحَمَلَ سِلَاحَهُ وَمَا قَوِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ لَحِقَ بِالْبَادِيَةِ وَأَقْبَلَ يَطُوفُ عَلَى قِبَالِ الْعَرَبِ
وَالِيسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُهُ خَوْفًا مِنْ كِسْرَى . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : عِنْدِي رَأْيٌ لَكَ اسْتَأْشِرْ
بِهِ عَلَيْكَ لِأَدْفَعَكَ عَمَّا تَرِيدُهُ مِنْ مَجَاوِرَتِي وَلَكِنَّهُ الصَّوَابُ . فَقَالَ : هَاتِهِ . فَقَالَ : إِنْ كُلُّ أَمْرٍ
يَجْعَلُ بِالرَّجُلِ إِنْ يَكُونُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمَلِكِ سَوْقَةً وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِكُلِّ أَحَدٍ . وَلَئِنْ
مُتُّ كَرِيمًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَجْعَلَ الذِّلَّ أَرْتَبِقُ سَوْقَةً بَعْدَ الْمَلِكِ . فَامَضَ إِلَى صَاحِبِكَ وَاحْمِلْ

٣٦١ (حَاتِمُ الطَّائِي ٦٠٥) . هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي .
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَيُنْفِكُ الْعَائِي وَيَحْمِي الذَّمَارَ
وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيَشْبِعُ الْجَائِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ
وَيُنْفِثِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ طَائِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
أَعْرَبِ جَوَادًا يُشَبِّهُ شِعْرَهُ جُودَهُ . وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثُمَا
نَزَلَ عُرِفَ مَنْزِلُهُ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَنْهَبَ . وَإِذَا
سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضَلِّ الطَّرِيقِ فَيَأْوِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَقُولُ :
أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرَّيْحُ يَأْمُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ يَخْرُجُ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دواوين العرب)
٣٦٢ (أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلَاتِ ٦٢٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الصَّلَاتِ
الْتَمِيمِيُّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمِيَّةٌ مِنْ
رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفَضْلَائِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ . وَيُنْشِدُ
فِي أَثْنَائِهِ الشَّعْرَ الْمُسِيحَ وَأَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمَ . وَلَهُ فِي الْفَخْرِ :

إِلَى هَذَا وَمَا لِي وَالِي نَفْسِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا إِنَّ صَفِيَّ عَنْكَ فَعَدْتَ . مَلَكًا عَزِيزًا . وَمَا لِي
أَصَابَكَ فَلَمُوتَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَلَبَّ بِكَ صَمَالِيكَ عَرَبٌ وَتُخَطِّفُكَ ذَنْبُهَا وَتُكَلِّمُكَ مَالُكَ
وَيَعِشُ فَقِيرًا مُجَاوِرًا أَوْ تُقْتَلُ مَقْبُورًا . فَضَى إِلَى كَسْرِي حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الدَّائِرِ بَلَغَ كَسْرِي أَنَّهُ
بِالْبَابِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَنَبَّهَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى مَجْنُ كُنْهُ بِخَانِقَيْنِ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ
الْكَلْبِيُّ : نَقَاهُ تَحْتَ أَرْجْلِ الْفَيْلَةِ فَوُطِئَتْهُ حَتَّى مَاتَ وَذَلِكَ قَبِيلُ الْإِسْلَامِ بَحِينُ (الْإِغَانِي)

وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ كَبَرَا زَارٍ فَأَوْرَثَنَا مَاثِرَنَا بَيْنَنَا
وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمَتْ مَعَدٌ أَقَمْنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
تُخْبِرُكَ أَلْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ إِذَا عَدُّوا سِعَايَةَ أَوْلِينَا
بِأَنَّا أَلْنَارِلُونَ بِكُلِّ تَغِيرٍ وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا التَّقِينَا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَا الْعَامِلُونَ إِذَا أُنَاخَتْ
وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍ خُطُوبٌ فِي الْعَشِيرَةِ تَبْتَلِينَا
نُشَرِّدُ بِالْخَفَاةِ مَنْ أَتَانَا أَكْفَأُ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
لَسِيرٍ بِمَعَشَرٍ قَوْمًا لِقَوْمٍ وَيُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
فِيهَا وَرْدٌ أَبْيَضٌ وَاحْمَرُّ فَأَمَرَهُ بِوَصْفِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي كَشَرُهُ يَبْقَى مِنْ طِيبِ مَعَانِكَا
دِمَاءٌ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةٌ قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيْدِيكََا
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنَ جَدْعَانَ التَّيْمِيِّ صَدِيقَهُ :
خَلِيلُ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحُ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَلَّتَهَا بُنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَادُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّيْءُ
قَالَ الْأَشْيِيُّ : لَمَّا مَرَضَ أُمَيَّةُ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ :
قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهَذِهِ الْمَرَضَةُ مَنِيَّتِي . فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتَهُ أَغْمِيَ عَلَيْهِ قَلِيلًا

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : لَبَيْكَا لَبَيْكَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكَا . لَا مَالَ لِي
يَفْدِيَنِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَازِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُعُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصَبَ بَيْنَكَ وَأَحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غَوَلَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ فُصُورِ الطَّائِفِ (لَا يَزُكِّيَا النُّووي)
٣٦٣ (أَبُو زَيْدٍ ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بَنُ الْمُنْذِرِ مِنْ بَنِي طَيْيٍّ . وَكَانَ
نَصْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
كَانَ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ . وَكَانَ عَالِمًا بِسِيرِهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
ابْنُ عُفَّانٍ يُقَرِّبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدْنِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفُ الْأَسَدِ
فَتَذَاكُرُوا مَآثِرَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهَا فَاتَّفَقَتْ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ :
يَا أَخَا تَبَعِ السَّيِّحِ اسْمَعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَأْتُ أَنَّكَ تُحِيدُهُ فَأَنْشُدْهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَنْ مَبْلَغُ قَوْمِنَا النَّائِينَ إِذْ شَحَطُوا أَنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيْئٌ وَلَيْعُ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ : تَاللَّهِ تَفَقْتُ تَذَكُّرُ الْأَسَدَ مَا حَيَّتَ وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَحْسِبُكَ جَبَانًا هَرَبًا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ مَنْظَرَ أَوْ شَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يُجَدِّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي .
وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . وَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنْىَ كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ : خَرَجْتُ فِي صِيَابَةٍ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْئَةٍ

وَشَارَةَ حَسَنَةَ تَرْمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَائِهَا وَنَحْنُ زَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي سُمَيْرٍ
 الْعَسَانِي مَلِكُ الشَّامِ . فَأَخْرَوْطَ بِنَا السَّيْرُ فِي حَمَارَةِ الْقَيْظِ حَتَّى إِذَا
 عَصَبَتِ الْأَفْوَءُ . وَذَبَلَتِ الشَّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَادُ . وَاذْكُتِ الْجُوزَاءُ الْمَغْرَاءُ
 وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرُّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي ضَوْجِ هَذَا
 الْوَادِي . وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَا لَنَا كَثِيرُ الدَّغْلِ دَائِمِ الْغُلِّ . أَشْجَارُهُ مَغْنَّةٌ
 وَأَطْيَارُهُ مَرْنَةٌ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتٍ كَنْهَبَاتٍ . فَاصْبَنَّا مِنْ
 فَضَلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَاهَا الْمَاءُ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّيَوْمِنَا وَمَطَاظَتَهُ إِذْ
 صَرَ أَقْصَى الْحَيْلِ أَذُنِيهِ . وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ
 جَالَ . ثُمَّ حَمَمَ الْحَيْلَ وَتَكَمَّكَتِ الْأَيْلُ وَتَقَهَّجَتِ الْبِغَالُ . فَمِنْ نَافِرٍ
 بِشَكَاكِهِ . وَنَاهِضٍ بِعَقَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ أَتَيْنَا وَأنَّهُ السَّبْعُ فَفَزَعَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جَرَاهِهِ . ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
 الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَظَالَعُ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مُجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
 بِصَدْرِهِ مُحِيطٌ . وَلِبَالِعِهِ غَطِيطٌ . وَلِطَرْفِهِ وَمِيزٌ . وَلِأَرْسَاعِهِ نَقِيزٌ .
 كَأَنَّمَا يُخْبِطُ هَشِيماً . أَوْ يَطَأُ صَرِيماً . وَإِذَا هَامَةً كَالْعَيْنِ . وَخَدْ كَالْمَسْنِ .
 وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ . وَكَفٌّ شَتْنَةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى
 مَخَالِبِ كَالْحَاجِنِ . فَضْرَبَ بِيَدِهِ فَأَرْهَجَ . وَكَشَرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
 كَالْمَعَاوِلِ مَصْقُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُوقَةٍ . ثُمَّ أَقْبَى فَأَقْشَعَرَّ ثُمَّ مَثَلَ فَأَكْفَهَرَ . ثُمَّ
 تَجَهَّمَ فَأَزْبَارَ . فَلَا وَدُوْ بَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَادُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فِرَارَةِ
 كَانَ صَنْحَمُ الْجُرَّارَةِ . فَوْقَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَتَضَقَّضَ مَتْنِهِ فَجَعَلَ

يَلُغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْتَلَجَ رَجُلًا أُعْجِرَ ذَا حَوَايَا فَنَفَضَهُ
نَفَضَةً تَرَائِلَتْ مَفَاصِلُهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَفَرَتْ ثُمَّ زَفَرَفَرَبَر . ثُمَّ زَارَ فَجَرَ جَر .
ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لَحَلَّتْ أَلْبَرْقُ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَبَيْنِهِ .
فَارْعَشَتْ أَلْيَدِي وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ وَأَطَبَ الْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَّتِ
الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ وَانْخَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسَكْتَ فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
عُمَرَ مِائَةَ سَنَةٍ بَنِيْفٍ وَدُفِنَ فِي الرِّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الَاغَانِي)
٣٦٤ (الْقَطَامِي ٧١٠) . هُوَ لَقَبُ غَلَبَ عَلَيْهِ وَأَتَمَّهُ عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطَامِيِّ
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يُحْيِلُ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ وَالشُّعْرُ لَا يَنْفِقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ فَأَمْدَحَهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتَ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَتَمَرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ إِحْرَابَةَ بَنِي عَتَابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطٌ ثَقُلَ اسْتَحْرَ بِهِمْ
الْقَتْلُ وَأَصِيبَ أَكْثَرَهُمْ وَأَسِرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْقَطَامِيُّ . وَأَخَذَتْ إِبِلُهُ
فَأَتَى الْأَمِيرَ زُفَرَ فَنَحَلَ سَيْلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَامِيُّ يَمْدَحُهُ :
يَا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ . قَدْ كُنْتُ فِي الْحَيِّ قَدِيمَ الْمَقْدَمِ .
إِذَا أَجَمَ الْقَوْمُ وَلَمَّا تُجَمِ . إِنَّكَ وَابْنُكَ حَفِظْتُمْ مُحَرِّمِي

وَحَقَّنَ اللَّهُ بِكَفِّكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَنْقَذْتَنِي مِنْ بَطْلٍ مُعَمَّمٍ وَأَخْلَيْتُ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمُسَوِّمِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِي قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ : أَجِبْ أَنَّ لَكَ قِيَاضًا بِشَعْرِكَ شَعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنَّكَ قُتِلَتْهُ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُتِلْتُ أَيَّامًا قَالَمًا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ الْقِنَاعِ . قَلِيلُ السَّمَاعِ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ . قَالَ : وَمَا قَالَ . فَأَشَدَّهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ :
 إِنَّا مُحِيطُوكَ فَأَسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
 وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَتَنَقَّلُ
 قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْأَمْسِجَلِ الزَّلَلُ
 حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : تَكَلَّتْ
 الْقَطَامِيُّ أُمُّهُ . هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ غَوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِفَةِ . وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ :
 يَا غَلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ اللِّسَانِ . فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ . وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَمَحَلَّهُ فِي الشَّعْرِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفٍ . وَهُوَ وَجِيرٌ وَأَقْرَدٌ
 طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ . سُئِلَ حَمَّادُ الرَّائِيَّةُ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ : مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شَعْرَهُ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَوْ أَدْرَكَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَجَاهِلِيَّةٍ مَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لَجَرِيرٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا اجْتِرَاءً وَأَرْمَانًا لِلْفَرَائِصِ
 وَأَمْدَحَ النَّاسِ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شِعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ جَرِيرٌ ثُمَّ الْفَرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبِّهُ الْأَخْطَلَ بِالنَّابِغَةِ لَصِحَّةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشَبُّهُ بِالْأَجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرٍ وَأَقْلَمُهُمْ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمِرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطِيبُ فَرَا حَوَامِنِكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَغْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا تَبِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَيَحْكُ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْأَفَاقِ أَنَّكَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْتَفِي بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمْرَ لَهُ بِجَنَفَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّتْ
 دَرَاهِمَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خِلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يَحْيَى وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزَّ فِي عُنُقِهِ سَائِلَةٌ ذَهَبٌ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٌ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِغَيْرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَّاتُ الشُّعْرَاءِ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ بَمَا لَا يُلْحَقُ فِي فِيهِ . فَقَوَّلِي بِالْمَدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبَدَى النَّوَاجِدَ يَوْمَ عَارِمٍ . وَكَرَّرَ
 الْحَارِثُ بْنُ الْغَمَرَةِ أَمِيُونُ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

وَقَوِي فِي الْحِجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَمِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا الْعَمِيدُ
لَيْمٍ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْمَرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هِجَاءً فِي عَنَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَوْتُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا تَسْتَحْيِي الْعَذْرَاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌّ .
فَكُنْتُ أُطُوفُ فِي كُنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَحْبُوسٌ . فَبَعَثْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبَرَ بِنَسَبِي .
فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ :
حَاجَتُكَ مَهْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنَّ الْقَسَّ حَبَسَنِي هَهُنَا فَتُكَلِّمُهُ لِيُخَيِّلَنِي عَنِّي .
فَأَتَيْتُ الْقَسَّ فَأُنْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحَّبَ وَعَظَّم . فَقُلْتُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةً . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ تُخَيِّلُنِي عَنْهُ . قَالَ : أُعِيدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَبِي مُتَكَبِّئًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَا أَفْعَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَالْخَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعَ

وَتَسْتَخْذِي لَهُ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الاغاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ أُسْقِفُ نَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ
وَشَاعِرُهَا وَحَلِيمٌ وَحَكِيمٌ وَحَكَمُهُمَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسِّ بِسُوقِ عَكَظٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا
وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ فَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلُ
دَاجٍ . وَسَمَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . بِحَارُ تَرْخَرُ . وَنُجُومُ تَرْهَرُ . وَضَوْءُ وَظَلَامٌ .
وَبُرٌّ وَأَثَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . وَإِلَهُ
قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ
أَذْرَكَهُ فَأَتَّبَعَهُ وَوَيْلُ لِمَنْ خَالَفَهُ ثُمَّ أَتَى يَقُولُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِي نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

(*) ومن شعراء النصرانية المتلمس وحنين الحيري من فحول المغنين . وله صنعة فاضلة
متة مة . ومنهم قيس بن زهير تنصر قبل وفاته . ومنهم ابو قابوس والرباب بن البراء وخالد
القسري . وقد ذكره جميعاً صاحب الاغاني . ومنهم ابو الملح المائي ذكره ابن خلكان . ومنهم
ثابت بن هارون الرقي ورثاؤه لتبني معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نفع الطيب .
ومنهم سايان بن اسمعيل الماردني وله نظم رفيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف
جبرائيل الكلداني الكاثوليكي وله اقتصاد الضائقة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والخوري
نيقولا الصانع وغيرهم ممن يستغنى بشهرتهم عن ذكرهم

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِّلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا يَمِضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَاوِرُ
أَيَقُنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا (*)

٣٦٧ (إِلْيَا الثَّلَاثُ ١١٢٨ - ١١٩٠) . هُوَ ابْنُ الْحَدِيثِيِّ الْمَعْرُوفُ

بِأَبِي حَالِمٍ . هَذَا الْأَبُ كَانَ كَهْلًا حَسَنَ الْخُلُقَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَبِيبًا
كَرِيمًا عَلِيمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ مَيَّافَارِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيبِينَ
فَانْتَشَرَتْ شُهْرَتُهُ . وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَّ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
لِلْإِخْتِيَارِ . وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يُمَاتِلُهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكَرَمًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَفَصَاحَةً . فَاخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضَيِّ وَأَقِيمَ فِطْرًا بِدَيْرِ الْمَدَائِنِ وَوَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
أَخْبِرَاتِ عَلَى يَدِهِ . وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمُطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال : بينا أنا بجبل يقال له سيمان في يوم شديد
الحر إذ أنا بقس بن ساعدة وبقبرين بينهما مسجد فقلت له : ما هذان القبران قال : هذان
قبرا أخوين كانا لي فانا فاتخذتُ بينهما مجداً أعبد الله جلَّ وعزَّ فيه حتى ألحق بهما . ثم ذكر أيامهما
فبكى ثم أنشأ يقول :

| | |
|---|---|
| خَلِيلِي هَبَّا طَلَمَا قَد رَقْدْتُمَا | أَجْدَاكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا |
| أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَاوِدِ هَذِهِ | وَلَا بِخُزْزَاقٍ مِنْ نَدِيمِ سَوَاكُمَا |
| مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا | طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا |
| جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّعْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا | كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعَقَارَ سَقَاكُمَا |
| أُنَادِيكُمَا كَيْفَا تَجِيبَا وَتَنْطَقَا | وَلَيْسَ عَجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكُمَا |
| أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَحْيِيَانِ دَاعِيَا | خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَعَاكُمَا |
| قَضَيْتُ بَابِي لَا مَحَالَةَ هَالِكٌ | وَأَنِّي سَيَعُرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكُمَا |
| سَأُبْكِيكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي | يُرْذُ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ إِنْ بَكََاكُمَا |

مَارِيَ الرَّسُولَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبَيْعِ وَالْأَذْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
 بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْخَلْقَةِ سَخِيًّا بِالْمَالِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعَفَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَاتِينَ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
 ذَلِكَ كَانَ مُرْتَضًا بِالْعُلُومِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السُّرْيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
 وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الْأَعْيَادِ
 السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرَسَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ
 الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصَحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَبَّرَ الْكُرْسِيَّ تَذْهِيرًا
 حَسَنًا وَأَسْتَنَاحَ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
 رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
 وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرِثِي نَفْسَهُ وَيُعْزِيهِمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ :
 أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخُطَابِ
 يَمَنْ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَمْلِكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ
 (ملخص عن كتاب المجدل لعبدرو بن متى) (*)

مشاهير أطباء النصرانية

٣٦٨ (جِيورْ جِيسُ بْنُ بَجْتِيشُوعَ ٧٧٠) . كَانَ الْمَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
 عِنْدَمَا بَنَى بَغْدَادَ أَدْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسُوءٌ اسْتِمْرَاءٌ وَقَلَّةٌ شَهْوَةٌ
 وَكُلَّمَا عَالَجَهُ الْأَطِبَّاءُ أَزْدَادَ مَرَضُهُ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيورْ جِيسَرَ بْنِ

(*) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين .
 ومنهم يوسف بن أيوب الحمدي الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
 بغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف جما قبولاً . ثم انقطع إلى الله وتنصرت بالقسطنطينية

بِحُتْمِشُوعَ الْجَنْدِيسَا بُورِي إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِهِ فَأَنْفَذَهُ
الْعَامِلُ بِجَنْدِيسَا بُورَ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِحُتْمِشُوعَ
بِالْبِيَارِ سِتَانِ . وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ تَلْمِيزَهُ عِيسَى بْنُ شَهْلَاتَاهُ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
بَغْدَادِ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْخَضِرَةِ دَعَا لَهُ بِالْمَارِسِيَّةِ
وَالْعَرَبِيَّةِ فَعَجِبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حُسْنِ مَنَظِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَرَهُ بِمَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ
جِيورْجِيسُ : أَنَا أَدْرِيكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةِ
جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِيعِ بِإِزَالِهِ فِي أَجَلٍ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
كَمَا يَكْرُمُ أَخْصَ الْأَهْلِ . وَلَمْ يَزَلْ جِيورْجِيسُ يَتَأَطَّفُ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ
حَتَّى بَرَى مِنْ مَرَضِهِ وَفَرِحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِي الرُّومِيَّاتِ ثَلَاثُ فَرْدَهْنَ جِيورْجِيسُ . فَلَمَّا
اتَّصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
لَا يَجُوزُ لَنَا مَعَشَرَ النَّصَارَى أَنْ تَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرِ مِنْ أُمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
دَامَتِ الْمَرْأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسُنَ مَوْقِعُ هَذَا مِنَ الْخَلِيفَةِ وَزَادَ
مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمَرَةُ الْعَفَةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيورْجِيسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا
أَشْتَدَّ مَرَضُهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِحَمْلِهِ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ . وَخَرَجَ بِأَشْيَاءَ إِلَيْهِ
وَتَعَرَّفَ خَبَرَهُ فَخَبَرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي
الْإِتِمَاعِ إِلَى بَلَدِي لِأَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مِتُّ قُبِرْتُ مَعَ آبَائِي .
فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مِنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

تَعْتَادُنِي . فَقَالَ جِيُورُ جَيْسُ : أَنَا أَخَفُّ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَيْسَى
تَلْمِيزِي فَهُوَ مَاهِرٌ . فَأَمَرَ لِيُورَ جَيْسَ بَعَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَأَذِنَ لَهُ
فِي الْأَنْصَرِافِ . وَأَنْفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَحْمِلْهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُدفَنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْتِيشُوعُ بْنُ جِيُورَ جَيْسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرِضَ مِنْ صُدَاعٍ لَحِقَهُ . فَقَالَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ . هُوَلَاءُ الْأَطِبَّاءُ
لَيْسُوا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَيَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْتِيشُوعِ بْنِ جِيُورَ جَيْسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حِمْلِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَافَ عَلَيْهِ خَلْعَةً سَنِيَّةً .
وَوَهَبَ لَهُ مَالًا وَافِرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةً (٧٩٠) مَرِضَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى . فَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْتِيشُوعٍ أَنْ يُخْدِمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرٌ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْتِيشُوعٍ : أُرِيدُ أَنْ
تُخْتَارَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ قَالَ بَحْتِيشُوعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هُوَلَاءِ الْأَطِبَّاءِ أَحَدًا مِنْ أَيْبَنِي جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضَرْنِيهِ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ يُخْفِيهِ . فَدَبَّرَهُ فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَبَرَأَ فَأَحْبَبَهُ جَعْفَرُ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ أَشْتَهَرَ
حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ الْعِبَادِيُّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ رَهِمُ
قَوْمٍ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى اجْتَمَعُوا وَأَنْفَرُوا عَنْ

النَّاسِ فِي قُصُورِ ابْتَوَاهَا بظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَتَسَمَّوْا بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
 إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْعَمِيدُ فَيُضَافُ إِلَى الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ
 خَلْقُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَدِي بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
 حُنَيْنٍ صَيْدَ لَا نِيًّا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا نَشَأَ حُنَيْنٌ أَحَبَّ الْعِلْمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ
 وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوْحَنَّا بْنِ مَاسُوِيَهٍ وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
 إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَلْتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
 فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ امِّسْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ
 سَلْتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْحَمْلِيلَ
 ابْنَ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ يَوْسُفُ
 الطَّيِّبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلَ بْنِ بَجْتِيشُوعَ فَوَجَدْتُ حُنَيْنًا
 وَجَبْرِ بِلَ يُخَاطِبُهُ بِالْتَّجِيلِ وَيُسَبِّحُهُ الرَّبَّانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّنَ
 ذَلِكَ جَبْرِ بِلَ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْثِرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا الْهَقِي .
 قَوْلَ اللَّهِ لَنْ مَدَّةَ لَهُ فِي الْعُمَرِ لِيَفْضَحَنَّ سَرَجِيسَ . وَسَرَجِيسُ هَذَا هُوَ
 الرَّأْسَ عَيْنِي الْيَعْقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السَّرِّيَانِي . وَلَمْ يَزَلْ
 أَمْرُ حُنَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَرَاوِدُ وَعَجَائِبُهُ تَظْهَرُ فِي الثَّقَلِ وَالْتَفَاسِيرِ حَتَّى
 صَارَ يَنْبُوعًا لِلْعُلُومِ وَمَعْدِنًا لِلْفَضَائِلِ . وَاتَّصَلَ بِهِ بِالْحَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ
 قَامَرٍ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ امْتِحَانَهُ .
 فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُنَيْنٌ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
 أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءً يَقْتُلُ عَدُوًّا زَيْدٌ قَتَلَهُ . وَلَيْسَ

يُمْكِنُ إِعْلَانُ هَذَا وَزَيْدُهُ سِرًّا . فَقَالَ حُثَيْنٌ : مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ
 النَّافِعَةِ وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا . ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَّاهُ
 وَأَحْضَرَ سَيْفًا وَنَظْعًا . فَقَالَ حُثَيْنٌ : قَدْ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ
 الْكُفَايَةُ . قَالَ الْخَلِيفَةُ : فَإِنِّي أَفْتُكَ . قَالَ حُثَيْنٌ : لِي رَبٌّ يَأْخُذُ لِي
 حَقِّي غَدًا فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ . فَتَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ : طِبَّ نَفْسًا
 فَإِنَّمَا أَرَدْنَا أَمْتًا نَكُ وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَيْكَ . فَقَبَّلَ حُثَيْنُ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ .
 فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْ صِدْقِ
 الْأَمْرِ مِنَّا فِي الْحَاضِرِ . قَالَ حُثَيْنٌ : شَيْئَانِ هُمَا الدِّينُ وَالصَّنَاعَةُ . أَمَّا
 الدِّينُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِاصْطِنَاعِ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَانِنَا فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْأَصْدِقَاءِ .
 وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَإِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ بِنَاءِ الْجَنَسِ وَمَقْصُودَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ .
 وَمَعَ هَذَا نَقْدُ جَعَلَ فِي رِقَابِ الْأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِأَيَّامِ مُغَاطَةِ أَنْ لَا
 يُعْطُوا دَوَاءً قَتْلًا لِأَحَدٍ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : إِنَّهُمَا شَرَعَانِ جَلِيلَانِ . وَأَمْرٌ بِالْخَلْعِ
 فَأَفِضَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا وَجَاهًا (لَا بِي الْفَرَجِ الْمُلْطِي)
 ٣٧١ (إِسْحَاقُ بْنُ حُثَيْنٍ ٨٣٠-٩١١) . هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ حُثَيْنٍ
 ابْنُ إِسْحَاقَ الْعَبَادِيِّ الطَّبِيبُ الشُّهُورُ كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ
 الطِّبِّ . وَكَانَ يُلْحِقُ بِأَبِيهِ فِي التَّمَلُّكِ وَفِي مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَاتِ وَقَصَاحَتِهِ
 فِيهَا . وَكَانَ يُعَرِّبُ كُتُبَ الْحِكْمَةِ الَّتِي بَلَّغَهَا الْيُونَانِيُّونَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
 كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوهُ . إِلَّا أَنَّ الَّذِي وَجَدَ مِنْ تَعْرِيْبِهِ فِي كُتُبِ الْحِكْمَةِ
 مِنْ كَلَامِ أَرِسْطَاطَالِيسَ وَغَيْرِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُوجَدُ مِنْ تَعْرِيْبِهِ لِكُتُبِ

الطَّبِّ . وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مَنْ خَدَمَهُ أَبُوهُ . ثُمَّ
 انْقَطَعَ إِلَى الْقَائِمِ بْنِ عُمَيْدٍ اللَّهِ وَزَيْرِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ . وَاخْتَصَّ
 بِهِ حَتَّى إِنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ كَانَ يُطْلِعُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيُنْضِي إِلَيْهِ بِمَا
 يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ . وَلَا يَبِيهِ الْمَصَنَّفَاتُ الْمُفِيدَةُ فِي الطَّبِّ . وَلِحَقِّهِ الْقَالِجُ
 فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (لَا بَنَ خَلَا كَانَ)
 ٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَسَوِيهِ ٨٥٧) . وَمِنْ أَطِبَّاءِ الرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ
 مَسَوِيهِ النَّصْرَانِيُّ السَّرْيَانِيُّ وَلَدَ الرَّشِيدِ تَرْجَمَةُ الْكُتُبِ الطَّبِّيَّةِ
 الْقَدِيمَةِ . وَخَدَمَ الرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ . وَكَانَ مُعَظَّمًا
 بِبَعْدَادَ جَائِلٌ الْقَدْرَ وَلَهُ تَصَانِيفٌ جَمِيلَةٌ . وَكَانَ يَعْقِدُ مَجَالِسًا لِلنَّظَرِ
 وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ . وَكَانَ
 يُدْرَسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذٌ كَثِيرُونَ . وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دَعَاةٌ شَدِيدَةٌ
 يُخْضِرُهُ مِنْ حَضَرٍ لِأَجَلِهَا فِي الْأَكْثَرِ . وَكَانَ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ
 وَشِدَّةِ الْحَدَّةِ عَلَى أَكْثَرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ بَنْتِيَشُوعَ . وَكَانَتْ الْحَدَّةُ
 تُخْرِجُ مِنْ يُوحَنَّا أَفْظَا وَهِيَ مُضْحَكَةٌ . فَمَا حُفِظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنَّ رَجُلًا
 شَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالتَّصَدُّقِ فَقَالَ لَهُ : لَمْ أَعْتَدِ التَّصَدُّقَ . قَالَ
 لَهُ يُوحَنَّا : وَلَا أَحْسَبُكَ أَعْتَدْتَ الْعِلَّةَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ (لَا بِي الْفَرَجِ)
 ٣٧٣ (ابْنُ التَّلْمِيذِ ١١٦٥) . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ التَّلْمِيذِ
 النَّصْرَانِيُّ الطَّبِيبُ الْمُتَّقِبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ . شَيْخُ النَّصَارَى وَالْأَطِبَّاءِ
 وَسُلْطَانُ الْحُكَمَاءِ مَقْصِدُ الْعَالَمِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ بِقِرَاطِ عَصَرِهِ

وَجَالِيُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مَنْ بَلَغَ مَدَاهُ
فِي الطَّبِّ . عُمَرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَدِيمًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بَهِيُّ
الْمَنْظَرِ حَسَنُ الرُّوَاءِ عَذْبُ الْمُحْتَلَى وَانْجَحْتَنِي طَيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
الشَّخْصِ بَعِيدُ أَهْمٍ عَالِيُ الْهِمَّةِ ذَكِيُّ الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
رَأْسُ النَّصَارَى وَقَيْسِيُّهُمْ وَرَبِيسِيُّهُمْ . وَلَهُ فِي النِّظَمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
وَحِدَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَغَزَارَةٌ بَهِيَّةٌ . وَذَكَرَ فِي أَمْثُودَجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ
الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيزِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَقَنَّتًا فِي الْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ .
وَعَقْلٍ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مَجَالِسُهُ أَحْسَنَ
مِنَ التَّبَرِّ الْمَسْبُوكِ وَالْدَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يَتَعَجَّبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
حُرِّمَ الْإِسْلَامَ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النِّظَمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ أَوْحِدِ الزَّمَانِ هَبَّةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
فَأَسْلَمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجُذَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرَى مِنَ الْجُذَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيزِ شُعْرًا :
لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبَدُّو فِيهِ مِنْ فِيهِ
يَتِيهِ وَالْكَأْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنَزِلَةٌ كَأَنَّهُ بَعْدَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ اللَّهِ
وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيزِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَدُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَسْطَرُّ لَا يَشُعْرًا :
أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُتَقَنِّيهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَقِي نَقِيزُ

فَهَذَا بِالتَّوَّاضِعِ فِي الثَّرِيَّا وَهَذَا بِالتَّكْبِيرِ فِي الْحُضِيضِ
وَتُوِّيْ ابْنُ التَّلْمِيذِ سَنَةً سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةً وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمْرِهِ
(١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْحَيَاتَيْنِ مَنْ لَمْ يَخْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
جَنَازَتَهُ . وَلَا بَنُ التَّلْمِيذِ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفُ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
أَقْرَابَازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلِمَاتِ ابْنِ سِينَا (الخريدة للعماد الاصبهاني) (*)

مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية

٣٧٤ (أَبُو الْقَرَجِ الْمَلَطِي ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالُ الدِّينِ غَرِغُورِيُوسُ
أَبُو الْقَرَجِ بْنُ حَكِيمٍ (*) الطَّبِيبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَبْرِيِّ تَلُجُ
الْفُضْلَاءِ . مُحَلِّلُ الْمُسْكَاتِ الْحَفِيَّةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ . وَحَيْدُ
الْعَصْرِ وَفَرِيدُ الزَّمَانِ . رَأْسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَخَالِصَةُ
نُضَارِ الْمِلَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ . كَانَ كَثِيرَ الْإِطْلَاعِ وَحَصَلَ عُلُومًا شَتَّى
وَأَثَقَهَا وَأَنْفَرَدَ بِالطَّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ الرِّحَالُ بِأَرْضِ

(*) (ومن اشتهر ايضا بين النصارى في الطب سعيد بن ماري صاحب المقامات الستين .
ويوحنا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون . ومنهم ابن العطار متطبب القاهرة . ومنهم كتيقات
خدم البساسيري . ومنهم ابن المقشر المصري طبيب العزيز . ومنهم ابن بطلان وله تصانيف جليلة
في الطب انقطع في آخر عمره للعبادة . ومنهم حسنون الرهاوي خدم سيف الدين وزير قلم
ارسلان . ومنهم يعقوب بن صقلان الملكي المقدسي اجتمع بالملك العظيم ابن الملك العادل وعالجه
وارتفعت عنده حاله . ومنهم صاعد بن هبة الله وابو الخير الاركيذاقون أخو الجاثليق ابن
المسيحي . ومنهم صاعد بن توما البغدادي الملقب بأمين الدولة استوثقه الامام الناصر

(*) (وأخبر في تاريخه قال : في سنة أربعين وستة (١٢٤٣) لما سمع أهل ملطية ما
فعل التاتار بقتسارية هلعوا وجزعوا أفضح الجزع طالعين حاب . فأمسك والذي عن الخروج
واجتمع بالمطران دينوسيوس وثأورا في مرابطة المدينة . وجما المسلمين والنصارى في البيعة

الْمَغْرِبِ . وَأَقِيمَ أَسْقُفًا عَلَى مَدِينَةِ مَلَطِيَّةَ وَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ فُضَلَاءِ
الْمُسْلِمِينَ . وَبَيْنَ تَصَانِيفِهِ كِتَابُ تَارِيخِ مُخْتَصَرِ الدُّوَلِ وَهُوَ مِنْ أَشْهُرِ
التَّوَارِيخِ وَشَرَحَ قَانُونُ ابْنِ سِينَا وَبُتْرَاطَ وَدِيُونِسُورُسَ وَكِتَابُ دَفْعِ
الْأَعْمَى وَدِيُونَانُ شِعْرِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَغَيْرُهَا (*)

٣٧٥ (ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ ٨٣٦-٩٠٢) . أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَرَايَا الْحَاسِبُ
كَانَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ صَيْرَفِيًّا بِحِرَّانَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ . وَاشْتَغَلَ
بِالْعُلُومِ الْأَوَّلِ فَهَرَفَ فِيهَا . وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْفَلَسَفَةُ وَلَهُ تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ
فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ مِثْلُ عَشْرِينَ تَأْلِيفًا . وَأَخَذَ كِتَابَ أَفْلِيدُسَ الَّذِي
عَرَبَهُ حَنِيزُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعَبَّادِي فَهَذَّبَهُ وَنَقَحَهُ وَأَوْضَحَ مِنْهُ مَا كَانَ مُسْتَعْجِلًا .
وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ عَصْرِهِ فِي الْفَضَائِلِ . وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ
أَشْيَاءٌ أَنْكَرُهَا عَلَيْهِ فِي الْمَذْهَبِ . فَرَأَفَعُوهُ إِلَى رَئِيسِهِمْ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ
مَقَالَتَهُ وَمَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ الْهَيْكَلِ فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ
حِرَّانَ وَزَلَّ كَفَرْتُو ثَا وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً إِلَى أَنْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى مِنْ

الكبيرة وتحالفوا أَنْ لَا يَخُونُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَا يَخَالِفُوا الْمَطْرَانَ فِي جَمِيعِ مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَدَارَاةِ
التَّائِبِينَ وَالْقِيَامِ بِحِفْظِ الْمَدِينَةِ وَالْبَيْتُوتَةِ عَلَى أَسْوَارِهَا وَكَفَّ أَهْلَ الشَّرِّ عَنِ الْفَسَادِ . فَنَظَرَ اللَّهُ إِلَى
حَسَنِ نِيَّاتِهِمْ وَدَفَعَ الْعَدُوَّ عَنْهُمْ وَوَصَلُوا بِالْقُرْبِ مِنْ مَلَطِيَّةَ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا إِلَيْهَا . وَفِي إِحْدَى
وَأَرْبَعِينَ (١٢٢٢) غَزَا شَاوَرُونُونَ بِلَادَ الشَّامِ وَاجْتَازَ بَطَلِيَّةَ وَخَرَّبَ بِلَادَهَا وَأَخَذَ غَلَاظَهَا . ثُمَّ
رَحَلَ عَنْهَا وَطَلَبَ طَبِيبًا يُدَاوِيهِ عَنْ مَرَضٍ عَرَضَ لَهُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَالِدِي وَسَارَ مَعَهُ إِلَى
حَرْثَ بَرْتٍ فَدَبَّرَهُ حَتَّى بَرَأَ . ثُمَّ جَاءَ وَلَمْ يُطِلْ الْمَقَامَ بِمَلَطِيَّةَ وَرَحَلَ بِنَا إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ فَاسْكَنَهَا

(*) (وَمِنْ مُؤَرِّخِي النَّصَارَى سَعِيدُ بْنُ الْبَطْرِيقِ بِطَرِكُ الْأَسْكَدَرِيَّةَ وَجَرَجِسُ بْنُ الْعَمِيدِ
مُكَمِّلُ تَارِيخِ الطُّهْرِيِّ . وَمِنْهُمْ ابْنُ الرَّائِبِ وَابُو الْبَرَكَاتِ وَابْنُ الْأَسْبَغِيِّ وَكَثِيرٌ آخَرُونَ مَا يَشْهَدُهُمْ
ابْنُ خَلْدُونٍ فِي تَارِيخِهِ . وَمِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ مَتَّى (١٣٢٠) نَقَلَ عَنْهُ الْعَلَامَةُ السَّعْمَانِيُّ

بِلَادِ الرُّومِ . فَأُجْتَمِعَ بِهِ فَرَّادُ فَاضِلًا فَصِيحًا فَأَسْتَصْحَبَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنْزَلَهُ
 فِي دَارِهِ وَوَصَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ . رَتَّبَهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبْرَاهِيمَ
 بَلَغَ رُتَبَةً أَبِيهِ فِي الْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَاقِ الْأَطِبَّاءِ . عَالَجَ مَرَّةً السَّرِيَّ
 الرَّفَاءَ الشَّاعِرَ فَأَصَابَ الْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَبِيبٍ :
 هَلْ لِلْعَمِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةَ شَافِي بَعْدَ الْإِلَهِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
 فَكَانَهُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقًا يَهْبُ الْحَيَاةَ بِأَيْدِي الْأَوْصَافِ
 يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَأَ لِلْعَيْنِ رَضْرَاضُ الْغَدِيرِ الصَّافِي
 ٣٧٦ الْكِنْدِيُّ (٢٤٦ هـ) (٨٦٠ م) . هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ
 النَّصْرَانِي . وَكَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ بَصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقُ أَمِيرًا عَلَى
 الْكُوفَةِ لِلْمُهَدِيِّ وَالرَّشِيدِ . وَيَعْقُوبُ هَذَا أَوْحَدُ عَصَرِهِ فِي فُنُونِ
 الْأَدَبِ وَشَهْرَتُهُ تَغْنِي عَنْ الْإِطْنَابِ . وَكَانَ لَهُ أَلِدُ الطُّولَى بِعُلُومِ
 الْيُونَانِ وَالْهِنْدِ وَالْعَجَمِ مُتَفَنًّا عَالِمًا بِالطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَتَأْلِيفِ الْكُتُبِ
 وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ تَأْلِيفُ
 مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مَنْ أَشْهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بُعَاثَةَ عِلْمِ
 الْفَلَسَفَةِ حَتَّى يَمُوتَ فَيَلْسُوفًا غَيْرَ يَعْقُوبَ . وَكَانَ مُعَاصِرًا لِقُسْطَا بْنِ
 لُوقَا الْفَلَسُوفِ الْبَعْلَبَكِيِّ النَّصْرَانِي وَأَسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْ أَبِي
 مَعْشَرٍ الْبَلْخِيِّ . وَمِنْ أَنْسِبَاءِ يَعْقُوبَ هَذَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ إِسْحَاقَ
 الْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهَرَةٌ فَنَدَّ فِيهَا أُعْتَرَضَاتِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْهَاشِمِيِّ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . ذَكَرَهَا أَبُو رِيحَانَ الْبَيْرُونِيُّ فِي تَارِيخِهِ

٣٧٧ (الصَّائِي ٩٣٤-٩٨٣) أَبُو الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنُ زَهْرُونَ بْنِ حَبُونِ الْحَرَّانِي الصَّائِي صَاحِبُ الرِّسَالِ الْمَشْهُورَةِ
 وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ الْإِنشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ الْخُلَيفَةِ وَعَنْ عِزِّ
 الدَّوْلَةِ بِخِتَارِ بْنِ مَعْرِ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ الدَّيْلَمِيِّ . وَتَقَدَّدَ دِيوَانَ الرِّسَالِ
 سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ . وَكَانَتْ تُصَدَّرُ عَنْهُ مَكَاتِبَاتٌ إِلَى عَضُدِ
 الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ بِمَا يُؤْلِيهِ فَحَقَّدَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَضُدُ
 الدَّوْلَةَ بِبَغْدَادَ أَعْتَقَلَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ . وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ
 لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ فَعَمِلَ الْكِتَابَ التَّاجِيَّ . فَقِيلَ لِعَضُدِ
 الدَّوْلَةِ إِنَّ صَدِيقًا لِلصَّائِي دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَاهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ
 التَّلْعِيقِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّبْيِيزِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ : أَبَاطِيلُ أُنْمَقُهَا
 وَأَكَاذِيبُ أُلْفَقُهَا . فَحَرَّكَتْ سَاكِنَتُهُ وَهَاجَتْ حِقْدُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعَدًا
 فِي أَيَّامِهِ . وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ . وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسَلِّمَ
 فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ (*) (لِابْنِ خُلْكَانَ)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين النصارى نستفي يذكر بعضهم فنهج ابن
 المفعف الكاتب المشهور صاحب الرسائل البدعية والدرّة القيمة ومعرّب كتاب كليله ودمنة .
 ومنهم زكريا الافريجي المنطقي نزيل بغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
 الفيلسوف عرب كُتِبَ كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس قرما المشي ومنهم القديس
 يوحنا الدمشقي يعرفه العرب بابن منصور وكان ابوه من اعيان الدولة الاموية خرجّه في
 العلوم والمعارف على القديس قرما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاةً للآداب . ودافع
 عن اكرام الصّور فردّت له العذراء يده المقطوعة بدسائس الملك لاون الايزوري . ثم انقطع
 الى الله في بلاد فلسطين وأُفِّ عِدَّة تاليف فلسفيّة ولاهوتيّة فُلِقِبَ بسجري الذهب وتوفي سنة
 ٧٨٠ . وقد اشتهرت اليسوعيّة داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب توما

الْبَابُ الْعِشْرُونَ فِي التَّارِيخِ

صاحب الشريعة الاسلامية محمد بن عبد الله

٣٧٨ ذَكَرَ السَّابُّونَ أَنَّ نِسْبَتَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمَّةٌ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وَلَادُهُ بِمَكَّةَ سَنَةً اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةً لِلْإِسْكَندَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سَنَتَانِ بِالتَّقْرِيبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أَمَنَةً بِنْتُ وَهَبٍ سِتِّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تَوَفَّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحَيَاتِهِ وَصَّهْهُ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا زَلُّوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ اسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَخْلُلُ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَاهُ
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُ
وَعِشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَيسَارِ اسْمُهَا خَدِيجَةُ أَنْ
يَخْرُجَ بِمَا لَهَا تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجْلَبَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا وَعُمُرُهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّيَتْ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عَمُّهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشٌ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

فَهَا جَرَّ عَنْهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ يَثْرِبُ . وَفِي (السَّنةِ الْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ
إِحْتَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَنَصَرُوهُ عَلَى الْمُكَيِّسِينَ أَعْدَائِهِ . وَفِي (السَّنةِ الثَّانِيَةِ)
مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَدْرٍ وَهِيَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
وَهَزَمَ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْقَائِمِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
الْمُشْرِكِينَ . وَفِي هَذِهِ السَّنةِ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ
إِلَى جِهَةِ الْكَعْبَةِ . وَفِيهَا فَرَضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (السَّنةِ الثَّالِثَةِ)
خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ أُحُدٍ وَفِيهَا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ
وَكَسَرَتْ رِجْلَهُ . وَفِي (السَّنةِ الرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي النَّضِيرِ الْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ
إِلَى الشَّامِ . وَفِيهَا اجْتَمَعَ أَحْزَابُ شَتَّى مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ
وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلَاقَاهُمْ هَالِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ
أَمْرٌ بِخَفَرٍ خَنْدَقٍ وَبَقُوا بِضْعَةَ عَشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ .
وَفِي (السَّنةِ السَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي الْمُضْطَلِقِ وَأَصَابَ
مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا . وَفِي (السَّنةِ السَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرِ مَدِينَةِ
الْيَهُودِ وَنَقَلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَالَجَ بَابَ خَيْبَرٍ وَأَقْتَلَعَهُ وَجَعَلَهُ
مِجْنًا وَقَاتَلَهُمْ . وَفِي (الثَّامِنَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ الْفَتْحِ فَفُتِحَ مَكَّةَ وَعَهْدُ الْمُسْلِمِينَ
أَنْ لَا يَثْبُتُوا فِيهَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنْ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ أَعْلَقَ
عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ سِوَى قَوْمٍ
يُؤَدُّونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سَفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ السَّيْفِ . وَفِي
(السَّنةِ الثَّاسِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَلَمْ يَجْتَمِعْ فِيهَا إِلَى

حَرْبٍ . وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ . ثُمَّ وَعَكَ وَمَرَضَ وَتُوِّفِيَ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلْيَلَمَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمَرُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً . وَلَمَّا
تُوِّفِيَ ارَادَ اَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ اِلَيْهَا لِانْهَآ مَسْقُطٌ وَاُسْبَهُ .
وَارَادَ اَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْاَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِانْهَآ دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ
نُصْرَتِهِ . ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حُجْرَتِهِ حَيْثُ قُبُضَ (*) (الاي الفرج)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٢ - ٦٦١)

خلافة ابي بكر (٦٣٢ - ٦٣٤)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والانصار للبيعة فارفعت الأصوات وكثر اللفظ . فلما أشفق
عمر الاختلاف قال : اَنَا وَاللهُ مَا وَجَدْنَا امْرَأَةً هُوَ اقْوَى مِنْ مَبَايَعَةِ اَبِي بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ لَأَبِي بَكْرٍ : ابْسُطْ
يَدَكَ فَاَبَايَعُكَ . فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَبَايَعَهُ الْاَنْصَارُ . وَلَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ ضَرَبَ
عُتَا عَلَى اَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ . وَأَمْرُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ جُلُ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى مَا تَرَى نَجْمٌ فِيهِمُ النِّفَاقُ وَانْتَقَضُوا بِكَ . فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُفَرِّقَ عَنْكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ .
فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ اَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السَّيَاحَ تَخْطِفُنِي لَأَنْفَذْتُ بَعَثْتُ أُسَامَةَ اِلَى الشَّامِ .
وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَرْيَةِ غَيْرِي لَأَنْفَذْتُهُ . ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ اِلَى الْبَعْثِ حَتَّى أَتَاهُمْ . فَاشْتَصَّهُمْ وَشَبَّعَهُمْ
وَهُوَ مَاشٍ وَأُسَامَةُ رَاكِبٌ . فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللهُ لَأَتْرَكَنَّكَ أَوْ لَأَتْرَأَنَّكَ . فَقَالَ :
لَا تَرَأَنَّكَ وَلَا أَرَكُبُ وَمَا عَلَيَّ أَنْ أَغْبِرَ قَدَمِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الاسود العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كَانَ الْاَسْوَدُ هَذَا غَابَ عَلَى صَنْعَاءَ وَمَفَازَةَ حَضْرَمَوْتَ اِلَى عَمَلِ الطَّائِفِ اِلَى الْيَمَنِ .
وَادَّعَى النَّبُوَّةَ وَطَابَقَتْ عَلَيْهِ الْيَمَنُ وَجَعَلَ يَسْتَطِيرُ اسْتَطَارَةَ الْحَرِيقِ . فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا
لِحَاوَلَتِهِ أَوْ مُصَاوَلَتِهِ . فَدَخَلُوا عَلَى اَزَادٍ وَهِيَ امْرَأَتُهُ فَقَالُوا لَهَا : يَا ابْنَةَ الْعَمِ قَدْ عَرَفْتَ بِلَاءَ هَذَا

(*) وَصَفُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : كَانَ رَاجِحَ الْعَقْلِ يَكْثُرُ الذِّكْرُ وَيَقِلُّ الْغَوْ دَائِمُ الْبَشَرِ
طِيلَ الصَّمْتِ لَا يَنْفِرُ احَدًا . وَكَانَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ نَحْنُ الرَّاسُ كَتَّ الْحَيَّةَ مَشْرَبًا وَجْهُهُ
حَمْرَةً وَقِيلَ : كَانَ اَدْبَعُ الْعَيْنَيْنِ سَبَطَ الشَّعْرَ سَهْلَ الْخَدَّيْنِ . وَاخْتَلَفَ فِي اَزْوَاجِهِ قَالَ أَبُو الْفَدَاءِ :
تَزَوَّجَ بِخَمْسِ عَشْرَةِ امْرَأَةً وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ اَوْلَادٍ كُلُّهُمْ مِنْ خَدِيجَةَ الْاَبْرَهْمِيِّ ابْنِهِ فَانَّهُ مِنْ مَارِيَةِ
الْقُبْطِيَّةِ الَّتِي بَعَثَ جَاهِلُ الْقَوْسِ وَلَمْ يَعِشْ مِنْهُمْ بَعْدَهُ الْاَفَاطَةُ فَتَوَفَّيَتْ بَعْدَ اِيَّاهَا بِثَلَاثَةِ اشْهُرٍ

الرجل عند قومك قتل أبك وطأطأ في قومك القتل وسفل بن بقي منهم فهل عندك من مالاؤ عليه . فاجبت أزداد اذ قولهم . ولما جن الليل أدخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجنا . وهو يغتسل فاحسوه بمسالة وأمرؤا الشفرة على حلقه . فغار خوار الثور . فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : النبي يوحى اليه . ولما قُتل الأسود وأراح الله الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للغري)

ثم ظهر مسيلمة الكذاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل البصرة وكان يؤذن له ويشهد له بالرسالة . وكان يجمع قومه باجماع يزعم أنها قرآن يأتيه ويأتي بخناق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكر بن خالد بن الوليد بالمسير الى عمارته . وكان بينها وقعات واشتد الحرب بين الفريقين . واقبح المستنون باجماع الى مسيلمة وأصحابه . فقاتلوه حتى أجمرت الأرض بالدماء . ونظر عبد أسود اسمه وحشي الى مسيلمة فرماه بحجرية فوقعت على خصرته فسقط عن فرسه قتيلا (للطبري)

فتح العراق (٦٣٢) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الخيرة ففتحها صلحا . وكان ذلك أول شيء فتح من العراق . وقد كان أبو بكر وجه قبل ذلك أبا عبيدة بن الجراح في زهاء عشرين ألف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام . فوجه اليهم مرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحارجم . وكتب أبو بكر الى خالد عند فتحة الخيرة يأمره أن يسير الى أبي عبيدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم بأجنادين فاهزم الروم . وقُتل مرجيس البطريق وذلك أنه في حربه سقط من فرسه . فركبه غلامه فسقط فركبه ثانيا فبيط ايضا وقيل لهم : فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي . وفي سنة ثلاث عشرة المشجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثني خنون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلافة عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٢) مصر (٦٤٢)

٣٨٢ ثم قام الأمر بعده عمر بن الخطاب ببيع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر . فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الحشن والقناعة باليسير وفتح الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرّخ التاريخ ودون الدواوين وحصّر الأمصار وشهد بدرا . وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس . وعابه الناس هبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . ولما ولي الأمر لم يكن له حمة الا العراق . ففقد لأبي عبيد بن مسعود على زهاء ألف رجل وأمره بالمسير الى العراق فمباروا اليها . فزحف اليهم العجم ففناجزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب .

فحمل العرب جملة رجل واحد وقتلوا هيران قائدهم . فانهمز العجم لاحقين بالمدائن . ثم ولي
يزدجرد عظيماً من عطاء مرازبه له سنٌ وتجربة يُقال له رستم . وعقد أيضاً لرجل آخر يُسمى
الهرمزان في جنود كثيرة . وعند الالتقاء قُتِلَ هذان المرزبانان ومُرت العرب في أثر العجم
يقتلون من أدركرامهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عُمر فتح أبو عبيدة وخالدهُ دمشق بعد حصار سبعة أشهر فخرج أهلُ دمشق
وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأمنهم وصالح أهل طبرية وقيسارية وبعلباك . وعلى يد عُمر انتهى
الفتح إلى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس .
وفتح عمرو بن العاص مصر عنوةً وفتح الإسكندرية صلحاً . حتى غاب عُمر ملوك فارس والروم .
ومع ذلك كَلِدَ بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه وافياله وتواضعه يسير منفرداً
من غير حرس ولا حجاب . لم تغيره الإمرة ولم يستطبل على مسلم بلسانه . ولا حابى أحدًا في
الحق . وكان لا يطمع الشريف في حيفه ولا يئأس الضعيف من عدله . ومات عُمر يوم الأربعاء
لخمس بقية من ذي الحجة . وقتله أبو لؤلؤة الجومني وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت
خلافة عشر سنين وستة أشهر . ولما فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا النخوي النصراني
كتب الحكمة التي في الخزان الملكية . فكتب عمرو إلى الخليفة يستأذن أمير المؤمنين . فكتب
إليه عُمر : الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غني . وإن
كان فيها ما يخالفه فلا حاجة إليه فتقدم باعداها . فشرع عمرو في تفريقها على حمائم
الإسكندرية واحرقها في مواقيدها . فاستيقظت في مدة ستة أشهر (لابن العميد)

عثمان بن عفان (٦٤٥ - ٦٥٧)

٣٨٣ بُويغ له بالخلافة في أول يوم من سنة أربع وعشرين . وكانت له شفقة ورأفة
بالرعية . وافتتحت في أيامه أفریقیة وغزامةاوية قبرس وأنقرة وافتتحها صلحاً . وانزع عثمانُ عمرو
ابن العاص عن الإسكندرية فأمر عليها أخاه لأُمِّه . ثم إن الناس انكروا على عثمان أشياء منها كفه
بأقاربهِ . فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع وزلوا فرسناً من المدينة . وبعثوا إلى عثمان
من يستعبه ويقول له : إما أن تعتدل أو تعتزل

وكتب عثمان إليهم كتاباً يقول فيه : إني انزع عن كل شيء انكرتموه وأتوب إلى الله .
فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط
عثمان فضربه أحدهم بمشقص في أوداجه . وقتله الآخر والمصحف في حجره . وكانت خلافته
اثنتي عشرة سنة . وعمره ثيف وثمانون سنة (للدمايري)

علي بن أبي طالب (٦٥٧ - ٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتِلَ عثمان اجتمع طلبة والزُّبَيْر والمهاجرون والأنصار وأتوا علياً يأيمنونه

فَأَبَى . وَقَالَ : أَن أَكُونَ وَزِيرًا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَن أَكُونَ أَمِيرًا وَمَنْ اخْتَرْتُمْ رَضِيَتْهُ . فَالْحَيَّوْا عَلَيْهِ
وَقَالُوا : لَا نَعْلَمُ أَحَقَّ مِنْكَ حَتَّى غَلَبَوْهُ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ ادَّعَى الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَطَلْحَةَ الْإِكْرَاءَ بَعْدَ
ذَلِكَ وَقَالَ : عَلَى نَقْضِ إِمَارَةِ عَلِيٍّ . فَلَحَقَ عَلِيٌّ بِجَمْعٍ وَنَاجَزَهُمُ الْحَرْبَ وَقَتَلَ الزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ .
وَسَمَّيْتَ هَذِهِ الْوَقْعَةَ وَقَعَةُ الْحِجَلِ . وَلَمَّا بَلَغَ مُعَاوِيَةُ خَبَرَ الْحِجَلَ دَعَا أَهْلَ الشَّامِ إِلَى الْقِتَالِ .
فَخَرَجَ عَلِيٌّ مِنَ الْكُوفَةِ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فِي صِفِّينَ . ثُمَّ تَحَادَنَا وَافْتَرَقَا . ثُمَّ تَعَاهَدَ شَيْبٌ وَابْنُ
الْمُجَبَّمِ عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ وَكَمْنَانَهُ فِي السَّجْدِ . فَلَمَّا خَرَجَ عَلِيٌّ وَنَادَى بِالصَّلَاةِ عَلَاهُ سَيْبٌ بِالسَّيْفِ
وَضَرَبَهُ ابْنُ الْمُجَبَّمِ عَلَى مَقْدَمِ رَأْسِهِ . فَدَعَا عَلِيٌّ قَبْلَ مَوْتِهِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ابْنَيْهِ وَوَصَّاهُمَا وَقَالَ :
أَوْصِيَكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُمَا . وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ ذَوَى مِنْهَا عَنْكُمَا . وَقُولَا الْحَقَّ
وَارْحُمَا الْيَتِيمَ وَكُنَا لِلظَّالِمِ خَصَمًا وَلِلظَّالِمِ نَاصِرًا . وَلَا تَأْخُذْ كَمَا فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ . وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ
كَتَبَ وَصِيَّتَهُ الْعَامَةَ ثُمَّ قُبِضَ . وَصَفَهُ ضَرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ قَالَ : كَانَ عَلِيٌّ بَعِيدَ الْمَدَى شَدِيدَ
الْقُوَى يَتَغَبَّرُ الْعَمَّةُ مِنْ جَوَانِبِهِ . وَتَنْطِقُ الْحَكَمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ . يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا .
وَيَأْنَسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ . غَزِيرُ الْعَبْرَةِ . طَوِيلُ الْفِكْرَةِ . يَعْجَبُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا خَشَنَ . وَمِنَ الطَّعَامِ مَا
جَشَبَ . وَكَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا . يَحْيِيْنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ وَيَأْتِينَا إِذَا دَعَوْنَاهُ . وَنَحْنُ مَعَ تَقْرِيْبِهِ لَا نَكَادُ
نَكَلِمُهُ هَيْبَةً لَهُ . لَا يَضْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ وَلَا يَبْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ (لابن خلدون)

الحسن بن علي بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ وَلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ بِالْكُوفَةِ فَبَايَعُوا ابْنَهُ الْحَسَنَ . وَبَوَّعَ مُعَاوِيَةُ بِالشَّامِ .
فَسَارَ الْحَسَنُ إِلَى الْمَدَائِنِ وَاسْتَقَرَّ بِهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ . وَلَمَّا رَأَى الْمُنَافِقَةَ بَيْنَ الْأَخِيَّيْنِ قَالَ : لَا حَاجَةَ
لِي فِي هَذَا الْأَمْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَسْلَمَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَيَكُونُ فِي عُنُقِهِ تَبَاعُثُهُ وَأَوْرَازُهُ . فَقَالَ لَهُ
الْحُسَيْنُ أَخُوهُ : أَتُنْذِرُكَ اللَّهُ أَنَّ لَا تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ عَابَ أَبَاهُ وَرَغِبَ عَنْ رَأْيِهِ . فَقَالَ : لَا بَدَّ مِنْ
ذَلِكَ وَقَدْ اخْتَرْتُ الْعَارَ عَلَى النَّارِ . وَبَعَثَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِتَسْلِيمِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ شَرْوْطًا .
فَأَحَابَهُ مُعَاوِيَةُ إِلَى مَا أَلْتَمَسَهُ مِنْهُ . فَسَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَبَايَعَ لَهُ خَمْسَ بَقِيْنَ مِنْ رِبْعِ
الْأَوَّلِ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأَى الْمَصْلَحَةَ فِي جَمْعِ الْكَلِمَةِ وَتَرَكَ الْقِتَالَ (لابي الفداء)

دولة الامويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ وَلَمَّا بَوَّعَ بِاخْتِلَافِ اسْتِقَامٍ لَهُ الْمَلِكُ وَصَفَتْ لَهُ الْوَلَايَةَ . وَكَانَ مُعَاوِيَةُ مَلِيحَ الشَّكْلِ عَظِيمِ
الْهَيْبَةِ وَافْرِ الْحَشْمَةِ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْفَاخِرَةَ وَيَرْكَبُ الْحَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ . وَكَانَ كَثِيرَ الْبَذْلِ
وَالْعَطَا مُحْسِنًا إِلَى رَعِيَّتِهِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمَقَاصِيرَ وَأَقَامَ الْحُرْسَ وَالْحِجَابَ وَأَوَّلُ مَنْ مَشَى
بَيْنَ يَدَيْهِ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ بِالْحُرَابِ وَلَهُ فِي الْحَلَمِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ . وَاعْلَمْ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ مَرِيئِي

دولٍ وسائس أممٍ وراعي ممالك ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه أحد إليها . منها أنه وضع البرد لوصول الاخبار بسرعة . واخترع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه محتومة لا يتمكّن احد من تغييرها . وفي سنة خمسين سير جيشاً كثيفاً الى القسطنطينية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي ايامه بُنيت القيروان وكمل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال : أستم اهلِي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قديمي فردوها عليّ أن استطعم . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تغرم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (للنجري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠—٦٨٣)

٣٨٧ بويغ له بالخلافة يوم مات ابوه . وكان يزيد بمحصر فقدم منها وابيعه الناس . ولم يبايعه الحسين بن علي بن ابي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسير جيشاً الى محاربة الحسين فادركوه فحملوا عليه واصحابه واحترقوا راس الحسين . اما عبد الله بن زبير فلحق بمكة وتحصن في المسجد الحرام . فسار اليه الحصين بن خنيس ونصب الخنيس على ابي قيس ورمى به الكعبة فحرقت استارها . وبيناهم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل الى ابن زبير يسأله الموادة فاجابه الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين . وكان آدم جمعاً احور العينين . بوجه آثار جدري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موثراً الرغبة في اللهو والقنص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لابي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة اشهر . ثم تخلى بالعبادة ومات بالطاعون . واما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام الا الاردن . ثم بويغ بالاردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السر لعثمان . ثم دخل الشام فاذعن اهلها له بالطاعة . وسار اليه من قبل عبد الله بن زبير الضحّاك بن قيس . فاقتلوا بنوطة دمشق فقتل الضحّاك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥—٧٠٥)

٣٨٩ بويغ سنة خمس وستين بالشام . واما ابن الزبير فبعث اخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة واعطاه اهلها الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار اليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادته ما اعجب به . فبعثه الى عبد الله بن زبير فقتله وسلخ جلده وحشاه نبأ وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً عاقلاً

فقيهاً عالماً وكان ديناً . فلما تولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ — ٧١٥)

٣٩٥ هو سادس خلفائهم وكان مغرمًا بالبناء واستوثقت له الامور . ومن بناياته المسجد الأقصى واعطى المجذمين ومنهم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعد خادماً وكل ضريح قائدًا . ومنع الكتاب التصاري من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فنهض لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بفحص شريش فهزم الله لذريق واذغت الاندلس لامر الوليد . وفتحت في ايامه الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسبي . وفتح محمد بن القاسم التنقي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق * وكان فيه كنيسة فيدمها . فانفق عليه اموالاً كثيرة تجل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصي من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفاً . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للدميري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥ — ٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧٢٠ — ٧٢٥)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو سابعهم . واحسن السيرة ورد المظالم وآوى المقترين واخرج الغبوسين . وكان غيوراً شديد الغيرة خجماً واتخذ ابن عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهز اخاه مسلمة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فشقى مسلمة على قسطنطينية وزرع ناس بها الزرع واكملوه . واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متخفياً . وكانت خلافة سليمان ستين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز كان عمر غنياً زاهداً ناسكاً عابداً تقياً . وهو اول من فرض لائنة السبيل . وابطل في الخطب سب علي . وكان اليه المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمعان وكان موته بالسنة عند اكثر اهل التاريخ . فان بني أمية علموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعيده بعده الا لمن يصلح للامر فعالجوه وما املوه . وكانت خلافته ستين وخمسة اشهر . وكان في وجهه شجرة من رجم دابة . وكان يدعى بالاشج . وكان متخرباً سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يمثل جمذه الايات :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليك نور والردى لك لازم
يفرك ما يقنى وتفرح بالمنى
كما غر باللذات في نوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غبه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً ملجج الوجه خرج في ايامه يزيد بن المهلب فارسل عليه اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بويج له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ايض . وكان ذا راي ودعاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اتم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالجل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فانتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لرحمهم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فامسرت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي . فجمع المساكر وناوش زيدا القتال فاصاب زيدا سهم في جبهته فحمل من المعركة مات وذفن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من قبره فصلبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٤)

٣٩٣ كان الوليد مقيماً في البادية فلما مات هشام سار من فورهِ الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني اُمّية ادباً وفصاحةً وظرفاً واعرفهم باللغة والفحو . وكان جواداً مفضلاً . ومع ذلك لم يكن في بني اُمّية اكثر ادماناً للشراب والسماع ولا اشد مجوناً وفتكاً واستخفافاً باسم الامة من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعه وقتله لاشتهاره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقه . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قُتل شرقتله وصُلب راسه على شُرافات قصره . ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر على بني اُمّية اعداؤهم ولم تقم لهم قائمة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسعي الناقص فتفائل بنو اُمّية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويتخلق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يمتنع وبفتنه المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٤ ثم بويج اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الخزان واخفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وخلعوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويج له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان قرب الموصل . فهزم مروان وقُتل في هربه وظهرت دولة بني عباس وانقرضت دولة بني اُمّية (لاني الفداء) ثم بجواه تعالى

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

| وجه | وجه |
|-----|-----|
| ٦٧ | ٣ |
| ٧٣ | ٣ |
| ٨٥ | ٤ |
| ٨٦ | ٥ |
| ٨٦ | ٦ |
| ٨٧ | ٧ |
| ٨٨ | ٩ |
| ٨٩ | ١١ |
| ٨٩ | ١٢ |
| ٩٢ | ١٣ |
| ٩٢ | ١٥ |
| ٩٢ | ١٥ |
| ٩٨ | ١٧ |
| ٩٨ | ٢٠ |
| ١٠٤ | ٢١ |
| ١٠٨ | ٢٢ |
| ١٠٩ | ٢٣ |
| ١١٠ | ٢٧ |
| ١١٠ | ٣٣ |
| ١١٧ | ٣٤ |
| ١١٨ | ٣٥ |
| ١١٨ | ٣٨ |
| ١١٩ | ٤١ |
| ١٢٠ | ٤٨ |
| ١٢١ | ٦٥ |
| | ٣ |
| | ٣ |
| | ٤ |
| | ٥ |
| | ٦ |
| | ٧ |
| | ٩ |
| | ١١ |
| | ١٢ |
| | ١٣ |
| | ١٥ |
| | ١٥ |
| | ١٧ |
| | ٢٠ |
| | ٢١ |
| | ٢٢ |
| | ٢٣ |
| | ٢٧ |
| | ٣٣ |
| | ٣٤ |
| | ٣٥ |
| | ٣٨ |
| | ٤١ |
| | ٤٨ |
| | ٦٥ |

الباب الاول في التدئين

عظمة الخالق وجبروته

من الشيبانية في التوحيد

قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق

من بدء الامالي في التوحيد

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

قصيدتان له في الابتغال الى الله وحده

وله ايضا من قصيدة في الرجاء بالله

قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

قصيدة للبابي في التوسل والاستعاضة

الباب الثاني في الزهد

الزهد في الدنيا والانتقطاع الى الله

قصيدة للبرعي في الزهد

زهد رجل من بني عباس

ذو النون والزاهدة

ذلة الدنيا

زوال الدنيا

ذكر المنية والعواقب

في الدهر ونوائبه

قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

للبرعي في الاغراء بالتوبة

ما كتب على القبور

الباب الثالث في المراثي

رثاء مشاهير العرب

الباب الرابع في الحكيم

| وجه | وجه |
|--|---|
| ١٥٩ قصيدة ابن البواب في وصف الخط | ١٢٢ اشارة البنفسج |
| ١٦٠ في الادب وتربية الصغار | ١٢٣ اشارة الخزام |
| ١٦٢ الباب الثامن في السيف والقلم | ١٢٤ اشارة الشقيق |
| فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم | ١٢٥ اشارة السحاب |
| ١٦٣ في الدول | ١٢٦ اشارة العزار |
| ١٦٦ في شرف الكتّاب | ١٢٧ اشارة الباز |
| ١٦٨ الباب التاسع في اللطائف | ١٢٨ اشارة الحمام |
| ١٦٨ وزير المأمون والشاعر | ١٣٠ اشارة الخطاف |
| ١٦٩ مروان بن ابي حفصة وجعفر البرمكي | ١٣١ اشارة البوم |
| ١٧٠ الصلوات والصلاة | ١٣٢ اشارة الدرة |
| ١٧١ عن بن زائدة والثلاث جوارى | ١٣٣ اشارة الديك |
| ١٧٢ الحسين بن الضحاك عند المتوكل | ١٣٤ اشارة البط |
| ١٧٣ الباهلي والرشيد | ١٣٦ اشارة الخل |
| ١٧٥ علي بن الخليل وزيد بن المزيّد | ١٣٧ اشارة الشمع |
| ١٨٠ الباب العاشر في المدح | ١٣٨ اشارة الغراب |
| ١٨٠ بلعاء بن قيس وبنو هاشم | ١٤١ اشارة الهدد |
| ١٨٠ مدح المأمون | ١٤٢ اشارة الكلب |
| ١٨١ مدح مقامات الحريري | ١٤٤ اشارة الجمل |
| ١٩٣ الباب الحادي عشر في الفخر والحجاسة | ١٤٥ اشارة الفرس |
| ٢٠١ قصيدة ابن سناء الملك في الفخر | ١٤٦ اشارة دود القز |
| ٢٠٥ الباب الثاني عشر في العجو | ١٤٨ اشارة العنكبوت |
| ٢٠٨ الباب الثالث عشر في الالغاز | ١٤٩ اشارة النملة |
| ٢١٤ الباب الرابع عشر في الوصف | ١٥٠ اشارة العنقاء |
| ٢١٤ وصف مصر | ١٥٢ الباب السابع في الذكاء والادب |
| | مدح مختلف العلوم |
| | ١٥٢ ابو تمام والمتنبي وابو عبادة الجعفي |
| | ١٥٦ وصف القلم |
| | ١٥٧ وصف المحبرة و وصف الخط |

| وجه | وجه |
|-----|--|
| ٢٧٧ | وصف دابة |
| ٢٧٩ | وصف ابليس لنفسه |
| ٢٨٠ | زهرية صني الدين الحلي |
| | قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام ٢٢٥ |
| ٢٨٢ | الباب الخامس عشر في الحكايات ٢٢٩ |
| ٢٨٢ | هارون بن عبد الله والفيل ٢٢٩ |
| ٢٩٦ | الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء ٢٣٠ |
| ٢٩٨ | مجاهير الأطباء النصرانية ٢٣٢ |
| ٢٩٨ | مجاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من ٢٣٢ |
| ٣٠٥ | اهل النصرانية ٢٣٦ |
| ٣٠٩ | الباب السادس عشر في الفكاهات ٢٣٦ |
| ٣٠٩ | صاحب الشريعة الاسلامية محمد ٢٤٥ |
| ٣١١ | الخلفاء الراشدون خلافة ابي بكر ٢٤٨ |
| ٣١١ | خبر الاسود العنسي ومسالمة الكذابين ٢٥٣ |
| ٣١٢ | فتح العراق وانشام وموت ابي بكر ٢٥٣ |
| ٣١٢ | خلافة عمر وفتح دمشق وفارس ومصر ٢٥٥ |
| ٣١٣ | عثمان بن عفان ٢٥٨ |
| ٣١٣ | علي بن ابي طالب ٢٦٠ |
| ٣١٦ | الحسن بن علي بن ابي طالب ٢٦٢ |
| ٣١٦ | دولة الامويين خلافة معاوية ٢٦٥ |
| ٣١٥ | خلافة يزيد بن معاوية ٢٦٥ |
| ٣١٥ | معاوية الثاني ومروان بن الحكم ٢٦٨ |
| ٣١٥ | عبد الملك بن مروان ٢٧٠ |
| ٣١٦ | عبد الوليد بن عبد الملك ٢٧١ |
| ٣١٦ | سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ٢٧٣ |
| ٣١٧ | يزيد الثاني وهشام ٢٧٥ |
| ٣١٧ | الوليد الثاني ويزيد الثالث ٢٧٦ |
| ٣١٧ | ابراهيم بن الوليد ومروان الثاني ٢٧٦ |
| | وصف ابليس لنفسه ٢٢٥ |
| | زهرية صني الدين الحلي ٢٢٥ |
| | قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام ٢٢٥ |
| | الباب الخامس عشر في الحكايات ٢٢٩ |
| | هارون بن عبد الله والفيل ٢٢٩ |
| | الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء ٢٣٠ |
| | مجاهير الأطباء النصرانية ٢٣٢ |
| | مجاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من ٢٣٢ |
| | اهل النصرانية ٢٣٦ |
| | الباب السادس عشر في الفكاهات ٢٣٦ |
| | صاحب الشريعة الاسلامية محمد ٢٤٥ |
| | الخلفاء الراشدون خلافة ابي بكر ٢٤٨ |
| | خبر الاسود العنسي ومسالمة الكذابين ٢٥٣ |
| | فتح العراق وانشام وموت ابي بكر ٢٥٣ |
| | خلافة عمر وفتح دمشق وفارس ومصر ٢٥٥ |
| | عثمان بن عفان ٢٥٨ |
| | علي بن ابي طالب ٢٦٠ |
| | الحسن بن علي بن ابي طالب ٢٦٢ |
| | دولة الامويين خلافة معاوية ٢٦٥ |
| | خلافة يزيد بن معاوية ٢٦٥ |
| | معاوية الثاني ومروان بن الحكم ٢٦٨ |
| | عبد الملك بن مروان ٢٧٠ |
| | عبد الوليد بن عبد الملك ٢٧١ |
| | سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ٢٧٣ |
| | يزيد الثاني وهشام ٢٧٥ |
| | الوليد الثاني ويزيد الثالث ٢٧٦ |
| | ابراهيم بن الوليد ومروان الثاني ٢٧٦ |

PJ
7631
C538
1913
v.4